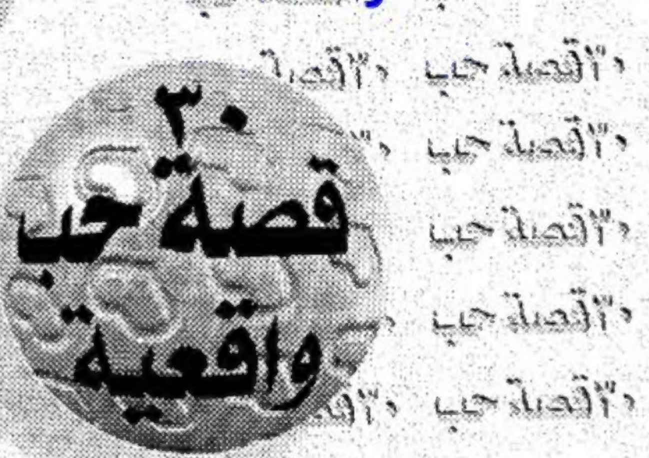


أقنعة الحب السبعة!

عبد الوهاب مطاوع

بحر الحب.. بلا شطآن!

«بيت من الشعر الفارسى القديم»

لمـــاذا الحـــب ..
ولمـاذا أقنعته السبعة ؟

على عكس كل كتبى السابقة بدأت عند إعداد هذا الكتاب للنشر بما انتهى إليه عادة عند إعداد كتاب جديد وهو اختيار العنوان !

فلقد اخترت العنوان أولا أو « استعرتــه » بمعنى أصح ثم بدأت فى اعداد مادته للنشر واختيارها .

أمــا لماذا لم أستطع مقاومــة نــداء استعارتــه من مبـدعه الأصلى وهــو الأديب الفرنسى أندريــه موروا ، فلأننى منذ قرأت كتــابه الذى يحمل نفس هــذا العنوان.. وأنــا أفكر فى تكـرار تجربته فى عــرض مجموعــة من قصص الحب التى تعكس أشكاله وأحواله المتنوعة !

ولقــد اختــار مــوروا تعبير « الأقنعة السبعــة » رمــزا لتعــدد الأشكــال والألوان التى قــد يتمثل فيها الحب ، وعــرض لسبعة ألوان مختلفــة منه من خلال عرضه لسبعة أعمال روائية لأدباء عالميين .

وكانت فكرتى هى أن أجمع بين دفتى كتــاب ثلاثين قصة صنعها الحب بأشكالــه المتعددة فى دنيا الــواقع وليس فى عالم الخيــال الروائى، فإذا قلت عنهــا انها تتخفى وراء « أقنعة الحب السبعــة »، فليس معنى ذلك أنــه ليس للحب ســوى سبعــة أشكال محددة، فقد استعمل أدباء ومفكــرون عديدون تعبير « الأقنعة السبعــة » كإشارة للأقنعة السبعــة أو الغلالات السبع التى قيل إن الأميرة اليهــودية ســالــومى قد ارتــدتها وخلعتهــا خلال رقصتهــا الخليعة أمام عمها هيرودوس حاكم الجليل .

وأصل القصــة التــاريخيــة هى أن هيرودوس حـــاكم الجليل فى أرض فلسطين القديمة قد اغتصب زوجة أخيــه هيروديا واتخذها لنفسه عروسا ، فنــدد يوحنــا المعمدان النبى اليهــودى الــذى بشر بظهور المسيح، بفعلتــه

النكراء المخالفة للشريعة وأمر هيرودوس بالقبض عليه وايداعه السجن وهم بقتله لولا أنه خشى من إغضاب الشعب الذى التف حول النبى الشجاع ، وأحنق هيروديا تنديد يوحنا المعمدان بها حتى من سجنه ودبرت أن ترقص ابنتها الجميلة سالومى فى حفل ميلاد عمها رقصا خلابا يأخذ بلبه ثم تطلب منه بعده رأس يوحنا كمكافأة لها على إجادة الرقص ، ورقصت سالومى بالفعل رقصتها الخليعة أمام عمها وزوج أمها واستخدمت فى رقصتها سبعة أقنعة أو سبع غلالات خفيفة فاضحة وخلبت لبه فسألها أن تطلب ما تشاء « ولو إلى نصف مملكته » فكان مطلبها هو أن يقدم إليها رأس يوحنا المعمدان واستجاب لها هيرودوس وأمر بقتله وجز رأسه .. وقدم إليها بالفعل على طبق من الفضة ، وعلى مدى العصور التالية سجلت ريشة الفن هذا المشهد الفريد فى لوحات فنية عالمية عديدة وعولجت القصة التاريخية فى أعمال مسرحية وأوبرالية عديدة منها مسرحية شهيرة للكاتب البريطانى أوسكار وايلد وأوبرا أخرى تحمل نفس الاسم للموسيقار شتراوس .

وبعد أكثر من سبعة قرون قال سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن على رضى الله عنه تعليقا على نفس القصة :

— من هوان الدنيا على الله .. أن رأس يحيى بن زكريا « يوحنا المعمدان » قد أهدى إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل !

أما تعبير « الاقنعة السبعة » رمزا للتعدد والتنوع فلقد أصبح تراثا أدبيا وتقليدا فكريا ، يتكرر فى كتابات الأدباء والمفكرين رمزا للتنوع والتعدد .

وحين بدأت التفكير فى إعداد هذا الكتاب تلبية لدعوة كريمة من الزميل الأستاذ نبيل أباظة مدير عام قطاع الثقافة بمؤسسة أخبار اليوم ، « وبتحريض » ثقافى عظيم من الزميلة الأستاذة نوال مصطفى المحررة بالأخبار، لم أجد فى ذهنى عنوانا لكتاب يقدم نماذج مختلفة من قصص الحب الواقعية التى تعاملت معها فى بريد الجمعة سوى هذا العنوان .

فإذا كان قد فاتنى استئذان أحد فى استعارته فلأن العنوان نفسه قد أصبح من التراث الأدبى المشاع .

وإذا كنت قد عانيتُ من قبل فى اختيار نماذج من أفضل القصص

الإنسانية التى نشرت فى بريد الجمعة لإصدارها فى كتب ، فلقد كان عنائى مع هذا الكتاب أكبر وأعظم لأن الموضوع محدد .. والأشكال متعددة ومتنوعة .. ولابد من اختيار الأفضل والأكثر تميزا وإيحاء من غيره من القصص .

وهكذا فقد راجعت كل ما نشر فى بريد الجمعة خلال ١٤ عاما كاملة واخترت منه ثلاثين قصة حب صنعها الزمن وكتب لى عنها أبطالها الحقيقيون يستشيروننى فى أمرهم ورددت عليهم بما رأيت فيه خيرهم .

وفى هذا الكتاب بانوراما واقعية عريضة لألوان متعددة من الحب « بأحواله » المألوفة .. ففيه الحب الصادق .. والحب الموهوم .. والحب الطاهر .. والحب الآثم .. والحب البانى .. والحب الهادم .. والحب الهادىء .. والحب العنيف .. والحب من أول نظرة .. والحب الذى نضج على نار هادئة بطيئة .. وفيه أيضا الحب الأبدى .. والحب قصير العمر كالزهور سريعة الذبول .

فإذا كنت قد اخترت هذه المرة تلك النوعية وحدها من قصص بريد الجمعة الإنسانية ، فلأنى أؤمن مع الفنان الإيطالى العظيم ليوناردو دافنشى بأنه :

— كلما عظُمت النفس الإنسانية .. زاد الحب عمقا !

ولأنى أؤمن أيضا بأن الإنسان القادر على الحب هو الإنسان القادر على العطاء للحياة .. وعلى العدل والرحمة والرفق بالإنسان والحيوان والنبات . فمفهوم الحب الإنسانى عندى أوسع وأشمل كثيرا من مفهوم العاطفة التى تربط بين رجل وامرأة ، وإلا فبماذا نصف مشاعر الأم تجاه طفلها .. ومشاعر الطفل تجاه أمه وأبيه ومشاعر الأب تجاه أبنائه والأخ تجاه إخوته والصديق تجاه أقرب أصدقائه . إلا بأنها أحد أشكال الحب العاطفى العميق وإن اختلف « القناع » واختلف أسلوب التعبير عنه .

إن الحب العاطفى بين الرجل والمرأة شكل من أشكال الحب لكنه شكل متعدد الألوان كقوس قزح .. أما بحر الحب الإنسانى نفسه فلا حدود له .. ولا حد لأشكاله وأنواعه وصوره .

ولو تأملنا تاريخ البشر لعرفنا أن كل من أرادوا خير الإنسان وأضافوا

للحياة إضافات ثمينة كانوا عشاقا محبين للإنسانية لكن دائرة عشقهم اتسعت فشملت إلى جوار حبيبة القلب حب النوع الإنسانى كله وحب القيم الدينية والأخلاقية والمثاليات . ولا عجب فى ذلك لأنك لن تجد أبدا كارها للإنسان يقدر على الحب الحقيقى والعطاء المخلص لأحد من البشر ، ولأنه كلما ازدادت مساحة الحب فى الحياة ضاقت مساحة الشر والغدر والخديعة والظلم .

وقديما قال الكاتب والشاعر الأمريكى هنرى ثورو إن « الإنسان المجرد من المشاعر والذى لا تحركه إلا غرائزه هو ابن عم أشجار الصنوبر وأحجار الصخور ! » .

وهذا صحيح إلى حد كبير .. وكلما اتسعت مساحة العناء والقسوة والشر فى مجتمع ما كان ذلك دليلا على أن عدد « أبناء عم » أشجار الصنوبر وأحجار الصخور ، فى هذا المجتمع قد تخطى حاجز الأمان !

وكلما زاد العطف الإنسانى وعلت قيم العدل والرفق والرحمة والتكافل والمشاركة كان ذلك دليلا على كثرة عدد أصحاب القلوب الحكيمة الذين يؤمنون بخيرية الحياة ويتعاملون مع البشر بفروسية المُحب النبيل .. وقيمه الأخلاقية والمثالية .

وهل كانت الأديان السماوية كلها فى جوهرها إلا دعوة للحب والرحمة والعطف والعدل والسلام ؟ وهل كان الأنبياء والمصلحون جميعا إلا محبين للبشر والإنسانية وقادرين على العطاء لهم والتضحية واحتمال الأذى من أجلهم ؟ وكل ذلك فى النهاية من « أحوال الحب » الصادق .. وإن اختلفت المجالات .. وتنوعت أساليب التعبير .. وتعددت الأقنعة !

عبد الوهاب مطاوع

قالوا عنه !

الحب هو أن تهرب مع شخص واحد .. من تفاهة الأشخاص الآخرين !

إبيل بونار (كاتب فرنسى)

الحب هو الاستمتاع برؤية شخص يعجبنا ويحبنا والاستمتاع «بإدراكه» بكل الحواس .. وبكل الطرق الممكنة !

الأديب الفرنسى ستاندال

حين يتحاب اثنان فلن يسعدهما شىء أكثر من أن يعطى كل منهما للآخر حياته وأفكاره وعصارة نفسه .

الأديب الفرنسى جى . دى . موباسان

لكل إنسان رائحة خاصة لا تشمها إلا حبيبته !

د . محمد فتحى

لا اعتدال فى الحب وليس فى الحب وسط ولا بين بين وحيث يكون السأم تكون الكراهية !

ميشيليه (مفكر فرنسى)

الحب تجربة حية فريدة لا يعانيها إلا من يعيشها .

الأديبة الفرنسية سيمون دى بوفوار فى كتابها عن الجنس الآخر

تحاببنا .. ونحب .. وسوف نحب !

عبارة نقشت على شاهد قبر يضم زوجين متحابين بناء على طلبهما قبل أن يودعا الحياة هما الروائى الانجليزى تشارلس كنجسلى وزوجته

الحب الحقيقى صداقة اشتعلت فيها نار العاطفة !

من أمثال الشعوب

أحبك لأنى أحب الله !

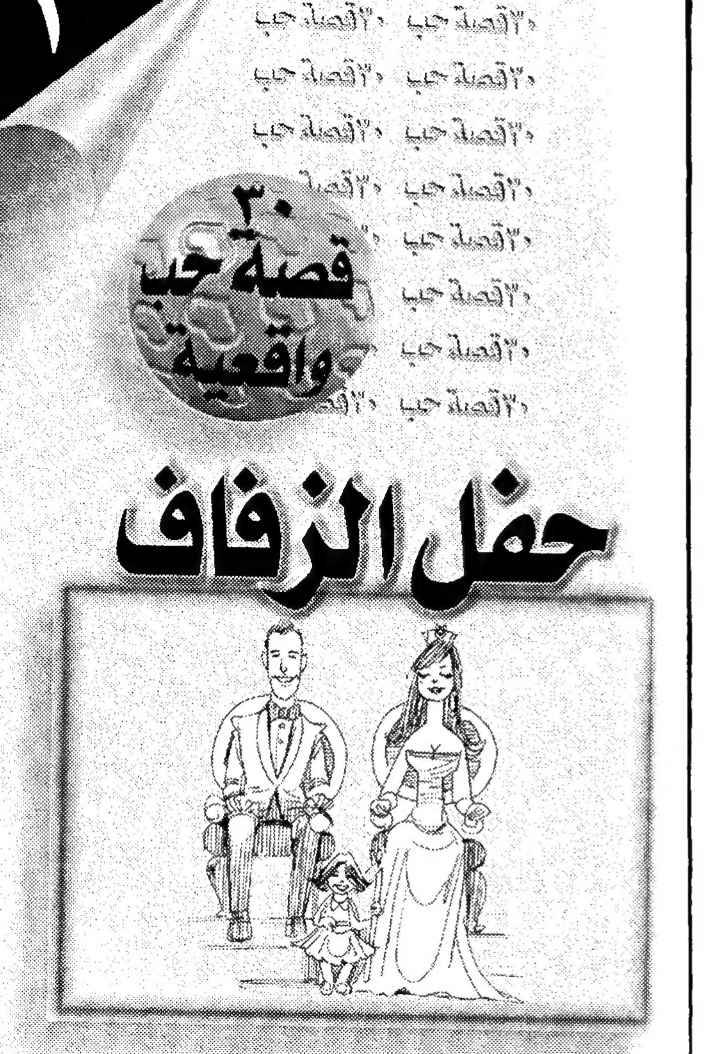
الفريد تنيسون (شاعر إنجليزى)

الحب دواء وداء وجنة وجحيم وأشواك وأزهار .

من أمثال الشعوب

من علاماته أن ترى المحب يحب أهل محبوبه وقرابته وخاصته حتى يكونوا أحظى لديه من نفسه وجميع خاصته !

الإمام الفقيه ابن حزم الأندلسى


٣٠
قصة حب
واقعية
حفل الزفاف

أنا يا سيدى شاب عشت تجربة فريدة وأود أن أضعها أمام قرائك ليستفيدوا منها مثلما أستفيد أنا من تجارب الآخرين . فقد نشأت فى أسرة ميسورة الحال .. ووالدى ضابط شرطة وصل إلى أعلى رتبها.. وهو ابن «باشا» سابق أما والدتى فسيدة مجتمعات مثقفة جدا ، ولى شقيقة وشقيق يشغلان الآن وظيفتين محترمتين.. وأنا الابن الأكبر لأبوى.. وقد نشأنا جميعا فى جو أرستقراطى يهتم كثيرا بالشكليات والتقاليد وكل شىء فيه بمواعيد ونظام .. وصداقاتنا العائلية كلها من نفس المستوى..

ولأسباب لا أعرفها حتى الآن وجدت نفسى لا أميل كثيرا إلى هذه الحياة.. ولا أجد نفسى فى صداقات الشبان والفتيات من وسطنا الاجتماعى.. فاتجهت صداقاتى كلها إلى الشبان البسطاء المكافحين مما جعلنى موضع نقد من أفراد أسرتى الذين اتهمونى بأنى لا أحافظ على مستواى الاجتماعى !

ولأن أبى قد ورث عن أبيه ميراثا ضخما فلقد كنا نعيش حياة مترفة وعندما التحقت بكلية الطب كانت لى سيارة بويك كبيرة أذهب بها إلى الكلية وكثيرا ما رجوت أبى أن يستبدلها لى بسيارة صغيرة لكيلا أشعر بالحرج من زملائى وأساتذتى فكان يرفض بإصرار وكنت أتعمد تركها بعيدا نسبيا عن مبنى الكلية..

وأثناء دراستى بالكلية ارتبطت عاطفيا بإحدى زميلاتى شدتنى إليها ببساطتها ولمست فى أعماقها حنان الدنيا فضلا عن جمالها وذكائها وكانت متفوقة وكنت أيضا متفوقا وتعاهدنا على الارتباط الأبدى بإذن الله وجاء يوم التخرج ونجحنا نحن الاثنين بتقدير عال.. وجاءت اللحظة التى ينبغى أن أحول فيها حلمنا إلى حقيقة وفاتحت أسرتى برغبتى فى خطبتها ودعوتها لزيارتنا فجاءت ورآها أبى وأمى وأخوتى وأعجبوا جميعا بجمالها وهدوئها وذوقها فى اختيار ملابسها ..

وبعد الزيارة سألنى أبى عن مهنة أبيها وما إن أجبته حتى انفجرت

براكين الغضب فى أعماقه وهب واقفا يحطم بيديه الأكواب التى أمامه يعلن بكل إصرار أن هذا الزواج لن يتم أبدا.. فهل تدرى لماذا؟ لأن والد حبيبتى.. حلاق نعم حلاق واقولها بكل فخر واعتزاز لأنه رجل شريف كافح أدى واجبه تجاه أسرته وحقق ما لم يحققه بعض «الباشوات» ما أهدى إلى الحياة ثلاثة أطباء ومهندسا معماريا وضابطا رغم انه لم ينل حظا كافيا من التعليم.

وانحازت أمى إلى جانب أبى وانحاز معهما شقيقى وشقيقتى، ووجدت نفسى وحدى أتساءل ما ذنبى أنا وفتاتى فى أن يُحرم كل منا من الآخر.. وأنا الذى لم أعرف للدنيا معنى إلا بعد أن أحببتها؟ وقررت أن أدافع عن حبى وحياتى وتوجهت إلى بيت حبيبتى وقابلت أباها.. وأعطيته صورة صادقة عن الموقف ففوجئت به بعد أن عرف بمعارضة أسرتى يرفض هو أيضا زواجى من ابنته ويقسم انه لن يسمح بذلك أبدا لأنه لا يرضى لنفسه ولا لأسرته أن يقال عنهم انهم قد «ضحكوا على» وخطفونى من أسرتى، وحين رأى تمسك ابنته بى أعلن بكل وضوح انه سيتبرأ منها لو تزوجتنى على غير إرادته وإرادة أسرتى.

ووجدنا نفسينا حائرين.. أسرتى ترفض بسبب نظرة اجتماعية بالية.. وأسرة حبيبتى ترفض دفاعا عن كرامتها.

وقررت بعد تفكير طويل أن أضع حدا لهذا العذاب فاصطحبت فتاتى ذات يوم ومعى صديقان إلى مكتب المأذون وأخرجنا بطاقتينا وطلبنا منه عقد زواجنا.. وحين قال لى قل يا سيدى: قبلت زواجك على سنة الله ورسوله وعلى الصداق المسمى بيننا وعلى مذهب الامام أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه.. انهمرت دموعى ودموعها ودموع صديقىَّ.. وخرجنا من مكتبه زوجين أمام الله والناس لنواجه قدرنا وحدنا بلا سند إلا الله سبحانه وتعالى، ولم تتأخر المتاعب طويلا فما إن علم أبى بما حدث حتى طردنى من البيت وسحب منى السيارة فخرجت من البيت أحمل حقيبة ملابسى الصغيرة وفى جيبى سبعة جنيهات هى كل ما بقى معى بعد أجر المأذون، وما إن علم أبوها بما جرى حتى طردها هى أيضا فخرجت من البيت ومعها حقيبة ملابس صغيرة وأربعة جنيهات، ووجدنا نفسينا فى الشارع بلا

مأوى.. وكنا فى شهر فبراير ولم يبق سوى شهر على تسلم عملنا كطبيبى امتياز حيث سيتقاضى كل منا أربعين جنيها، وكانت ليلة طردنا ليلة شديدة البرودة.. فجلسنا فى محل نحتمى داخله من الصقيع ونفكر فيما سنفعل.. وكلما مرت ساعة ولم نجد مأوى ازداد خوفنا.. حتى جاء الفرج ونجحت فى الاتصال بأحد أصدقائى واقترضت منه خمسين جنيها وذهبنا إلى إحدى اللوكاندات الشعبية الرخيصة.. وحين احتوتنا الغرفة المتواضعة لأول مرة.. كان كل منا يعرف فى أعماقه ان أمامنا أياما صعبة لن يخفف منها سوى عطف كل منا على الآخر وحمايته له.. وعشنا فى هذه اللوكاندة فترة تسلمنا خلالها العمل فى المستشفى، ثم وفق الله أحد أصدقائى فى أن يجد لنا شقة من حجرتين على الطوب الأحمر فى بيت صغير فى زقاق ضيق بأحد الأحياء الشعبية، وكانت هدية من السماء لأن صاحبها كان فى حاجة إلى نقود فقبل تأجيرها لنا بلا مقدم ولا خلو بخمسة وعشرين جنيها، وفرحنا بها فرحة كبرى وأسرعنا ننتقل إليها.. واشترينا أول أثاث عرفناه لبيتنا وكان مرتبة من الاسفنج ووسادتين ومكتبا خشبيا صغيرا وكرسيين ووابور جاز.. وبرادا وكوبين وحلتين فقط لا غير!

وفى هذا العش الهادىء عشنا حياتنا سعداء بوجودنا معا لا يزعجنا فيه شىء سوى كثرة الفئران والحشرات وكانت زوجتى قوية الارادة فتعاهدنا على أن نبنى حياتنا دون مساعدة من أحد.. وكانت أيضا مدبرة فكان مبلغ الخمسة والخمسين جنيها التى تتبقى لنا بعد دفع الايجار تكفينا طوال الشهر للأكل والمواصلات ولكن بلا أى ترفيه أو شراء ملابس، وأحبنا جيراننا البسطاء.. وأحببناهم وكانوا يشفقون علينا من شظف حياتنا ويتعجبون من سوء حالنا ونحن طبيبان حتى قال لى أحدهم مرة بتلقائية غريبة «كنا فاكرين ان الدكاترة كلهم أغنياء لكن ياما فى الحبس مظاليم!»

وخففت عنا صداقاتهم بعض صعوبة الحياة فكانت جاراتنا يعرضن خدماتهن على زوجتى بشهامة صادقة فتطلب منها جارة مثلا ملابسنا لكى تغسلها مع غسيلها لأننا طبيبان مشغولان بالعمل.. وتتطوع أخرى بشراء حاجيات البيت لها.. وتصر ثالثة على أن تشاركها تنظيف الشقة بهمة، وأنا أتذكر هذه الأشياء البسيطة الآن.. لأنى كثيرا ما وجدت فيها

تعويضا لنا عن جفاء أهلنا وقسوتهم علينا فى هذه الأيام الصعبة رغم علمهم بكل ظروفنا، ففى مقابل هذا العطف من الجيران البسطاء.. لم يحاول أحد من أهلنا زيارتنا أو السؤال عنا.. بل ولم يتركونا أيضا فى حالنا ففوجئت فى إحدى الليالى وأنا وزوجتى نائمين بعد يوم شاق فى العمل بأربعة وحوش يقتحمون شقتنا، ويحطمون المكتب والكرسيين ويمزقون المرتبة الوحيدة التى ننام عليها وكتبنا وأوراقنا ويسبوننا بأفظع الشتائم.. بحجة انهم يفتشون الشقة! ثم خرجوا ورئيسهم يهددنى قائلا: أنتم لسة شفتم حاجة.. عشان تبقى تتحدى الباشا! يقصد أبى الذى كان قد ترقى وقتها إلى رتبة اللواء!

وخرج الرجال الأربعة.. وانحنينا نحن نلملم الاسفنج الذى تفزز من بطن المرتبة ونعيد حشوها ونخيطها.. ونجمع كتبنا الممزقة.. ونحاول إصلاح المكتب والكرسيين.. ثم غلبنا التعب فنمنا على المرتبة وقد أمسك كل منا بالآخر بقوة كأنه يحتمى به مما تخفيه له الأيام.. وبالفعل فلقد انتابنى الاحساس بأن أبى لن يدعنا فى حالنا.. وتحققت مخاوف حين أبلغنى صديق لى بأن أبى يدبر أن يلفق لزوجتى قضية آداب! إن هذا ما حدث والله العظيم ولم يرجع أبى عن نيته إلى بعد أن أقسم له صديقى بأنه سيقنعنى بتطليقها راجيا منه ألا يفعل ذلك لكيلا «أعاند» وأتمسك بها أكثر لو حدث لها مكروه، وأصبحت مهمة صديقى هى أن يزوره كل عدة أيام ليطلب منه الصبر.. حتى ينجح فى إقناعى بالطلاق وذلك بهدف إضاعة الوقت لعله يهدأ وينسانى قليلا.. وخلال ذلك جاءت فترة التجنيد وأمضيت عاما لا أتقاضى فيه سوى ستة جنيهات كل شهر وكنت أعمل لهذه الفترة ألف حساب لكن الله لم ينسنا فوجدت زوجتى عملا فى مستوصف قريب من البيت وأصبحت هى التى تتولى الانفاق على الأسرة..

وانتهت فترة التجنيد وخرجت من الجيش لأجد زوجتى مصممة على تسجيل الماجستير لى ولها فظننت أن عقلها قد أصابه الجنون! فقد كنت انتظر بفارغ الصبر انتهاء فترة التجنيد لكى نبحث عن عمل فى الخارج ونهرب بعيدا عن قسوة الأهل وتربصهم بنا، لكنها صممت وقالت لى اننا

متفوقان وقد صمدنا للضيق والشدة والمضايقات فلماذا لا نكمل مشوارنا العلمي ثم نحقق بعد ذلك أحلامنا.

واستجبت لاقتراحها مرغما ومعجبا بها وبقوة إرادتها في نفس الوقت وسجلت أنا وهي للماجستير.. وبدلا من أن نستريح بعد كل ما لقيناه.. بدأنا نستعد لفترة أخرى أشد قسوة ومرارة.. لأن الماجستير يحتاج إلى تكاليف وإلى كتب وإلى عناء كثير..

وبدأنا نذاكر للماجستير.. وقاسينا من الضيق والحاجة أشد مما قاسيناه في بداية زواجنا.. ويكفي أن أقول لك ان طعامنا خلال الشهرين الأخيرين من الدراسة كان لا يتجاوز الخبز والدُّقة والملح والماء تقريبا، وأننا كثيرا ما قاسينا الجوع في ليالي المذاكرة الطويلة.. ولم نكن نجد ما نسكته به سوى الماء، ومازلت أذكر حتى الآن أني أسرفت ذات ليلة في شرب الماء لكي أتقي الجوع فانقلبت معدتي وتقيأت وشعرت بالجوع أكثر وأكثر ولم نجد بدا من التضحية ببضعة قروش فخرجت في الليل أبحث عن شيء يؤكل..

ورغم ذلك كنا سعداء.. ولم نشك يوما.. ولم نندم ولم أر زوجتي مرة باكية.. أو حزينة.. أو غاضبة لأي سبب من الأسباب.. بل كنت كلما رفعت رأسي عن الكتاب.. متململا وجدتها تنظر لي بعينيها الجميلتين والابتسامة الحبيبة تغطي وجهها.. فأبتسم لها ثم أحني رأسي مرة أخرى على الكتاب.. وقد زال ضيقي!

وكلّل الله جهودنا بالنجاح فحصلنا على الماجستير في زمن قياسي خلال عامين فقط.. لكن أزمتنا لم تنفرج بل عشنا عاما آخر بعد الماجستير نعاني من شظف العيش وننام فوق المرتبة وليس في حياتنا أية نسمة راحة حتى وفقني الله بعد جهد جهيد في الحصول على عقد عمل لي ولزوجتي في إحدى الدول العربية ولأول مرة بعد ٥ سنوات من العناء عرفت حياتنا أول لحظة راحة.. فعشنا في شقة جميلة وعرفنا النوم على الفراش.. وعرفنا التليفزيون بعد أن كنا قد نسيناه.. وعرفنا الطعام الجيد بعد أن كنا قد ودعناه منذ ٥ سنوات وخلال عامين كنا قد تمكنا من شراء شقة تمليك في أحد أحياء القاهرة وأثثناها.. واشتاقت نفسي للعودة إلى بلدي بعد أن وجدنا لأنفسنا

فيها مأوى كريما، لكن حبيبتي «المجنونة» خرجت على مرة أخرى بطموح جديد هو أن تحصل على زمالة كلية الجراحين الملكية بلندن.. وبنفس المنطق: نحن متفوقان.. وقد مضت أيام الشدة ولدينا الآن النقود التي تسمح لنا بالانفاق على الزمالة.. الخ.. وباختصار فقد حصلنا على الزمالة من لندن بتوفيق من الله.. وبجدّنا واجتهادنا وبعد الحصول عليها تعاقدنا للعمل في دولة أخرى بمرتبين خياليين وتقدمنا في عملنا فأصبحت مديرا فنيا للمستشفى الذي أعمل به وأصبحت زوجتي مديرة للقطاع الطبي بالشركة التي تعمل بها.. ورزقنا الله بطفلة جميلة لم أتردد في أن أسميها باسم شريكة كفاحي وشقائي وسعادتي أي باسم زوجتي..

وبعد ٣ سنوات من الغربة.. عدنا إلى القاهرة في اجازة.. وفي داخلي تصميم على شيء لم أصارح به زوجتي إلا بعد وصولنا لمصر بأسبوع.. هو أن نحتفل بزفافنا الذي لم نحتفل به يوم تزوجنا منذ ٨ سنوات لأن من حق حبيبتي أن ترتدي ثوب الزفاف الأبيض الذي لم ترتديه وأن أرتدي أنا أيضا بدلة الفرح التي لم يكن لي مثلها حين تزوجت.. وصممت ونفذت وتحديت الجميع وأقمت حفل الزفاف في نادي الشرطة! ودعوت كل أصدقائي الذين وقفوا إلى جوارنا في وقت الشدة.. وتصدر الحفل جيراني البسطاء في شقة الطوب الأحمر فرحين مندهشين ودخلت القاعة مع زوجتي بثوب الزفاف وأمامنا المشاعل.. والشموع وفرقة الزفة.. وطفلتي تجري بين أقدام المدعوين وتضحك سعيدة وهي لا تدري انه حفل زفاف أبويها! ونمت ليلتها قرير العين شاكرا لربي نعمته التي أنعمها عليّ..

انني أكتب إليك الآن لأني سعيد وراض عن كفاحي لأقول لكل إنسان ان الصبر والكفاح يحققان للإنسان ما يريده لنفسه وأن على كل إنسان الا ييأس من رحمة الله لأن لكل شدة نهاية ولكل ضيق آخر وعلينا فقط أن نؤدي واجبنا تجاه أنفسنا ثم نسلم الأمر للخالق جل شأنه ليختار لنا ما يشاء. والسلام عليكم ورحمة الله..

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول:**

منذ زمن طويل لم أتلق رسالة واحدة كرسالتك هذه لا يطلب فيها كاتبها شيئا سوى أن يضع تجربته السعيدة أمام الآخرين ليستفيدوا

منهـا، ولا عجب فى ذلك لأن من يكتب عن نفسـه يميل بـه قلمـه غـالبـا إلى النجوى وبث الهموم كأننا نردد جميعا مع المتنبى قوله:

ليت شعرى هل أقول قصيدة   فلا أشتـكى فيهـا ولا أتعتبُ ؟

لكنك قلت « قصيـدتك » يا صـديقى فلم تشك فيهـا ولم « تتعتب» رغم ما لقيتـه من شقاء فى حيـاتك ولذلك فلقـد سعدت بها كثيرا ودهشت لحفل الـزفاف المؤجل منـذ ٨ سنوات ولم أعجب لـه لأن من حق من يشقى أعظم الشقـاء أن يسعد أيضـا أعظم السعادة، كما لم يخف عنى معنى «مغـزى» اختيارك لنادى الشرطة بالذات لإقامـة هذا الحفل الغريب فيه كأنك تريد أن تبعث بـه إلى أبيك رسـالة تقـول لـه فيهـا انك قـد صمدت لعـدوانـه عليك وكافحت ونـجحت وحققت لنفسـك السعادة التى أردتها باختيـارك لشريكة عمرك..

والحق ان زوجتك تستحق هذا الحفل وأكثـر.. لأنها من بانيات الـرجال وقد دفعتك خطـوات واسعة إلى الأمام بإرادتها الصلبة وبصبرهـا وكفاحها معك وإخلاصها لك ولأنك أيضا وجدت معها جنتك الحقيقية وأنتما ترقدان فوق حشيـة الاسفنج فى شقة الطـوب الاحمر.. وسوف تجدهـا معها دائما بإذن الله وسوف تحقق معها الكثير والكثير أيضـا..

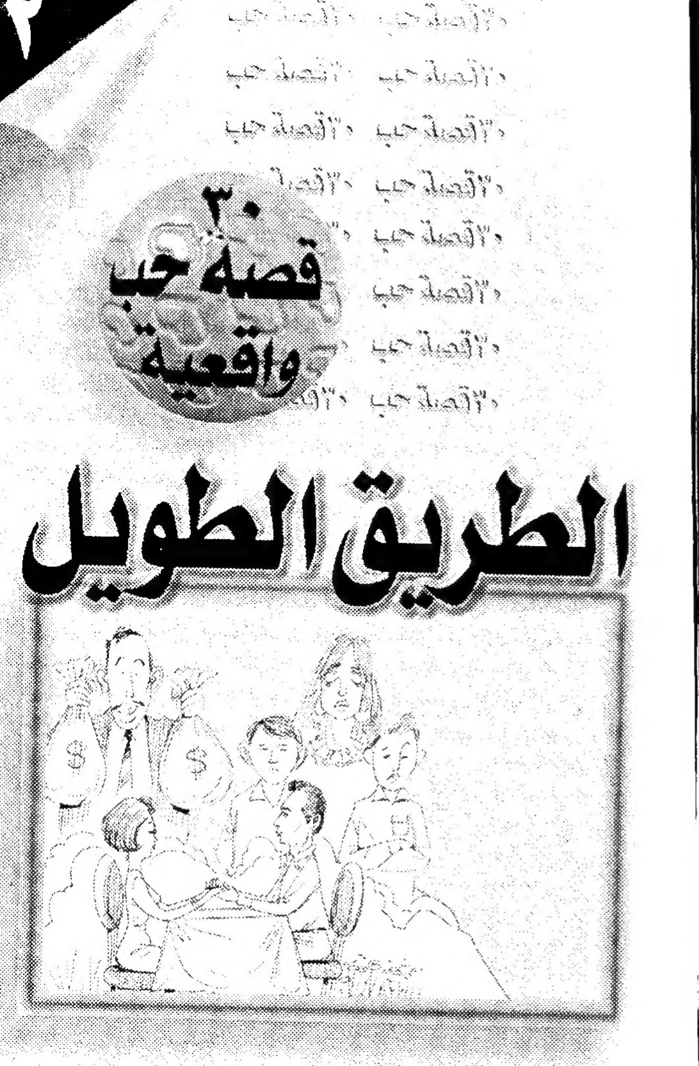
وبالـرغم من تقديسى دائما لـرمز الأب واعتراق لـه بحقه فى أن يحجب موافقته على زواج ابنه وفقا لما يراه من اعتبارات، إلا انى فزعت من أن تصل معـارضته لـزواجك إلى حد استخـدام الأساليب البـوليسية الكـريهة معك لإكراهك على الانفصال عنها..

فلقد كان يكفيه أنه طردك من بيتـه وحرمك من معونته وقبض عنك يده وتـركك تقاسى شظف العيش وتغـالب الجوع والحرمـان مع زوجتك، نعم كان يكفيه كل ذلك ثم يدعك لتخـوض تجربتك وفقا لاختيارك، أما أن يطلق عليك وحـوشه ليقضـوا مضجعك، ويهدد بتلفيق قضيـة مـاسة بـالشرف لزوجتك فهذا هـو الجُرم الذى ما كان ينبغى له أن يرتكبـه فى حق ابنه أبدا.. ذلك أن الأب لا يملك لابنه الـرشيد فى النهـاية سـوى النصح والارشاد، فإن لم يمتثل لنصيحته فليـدعه لحياته ولمصيره وربما كـان الأقرب إلى الرحمة ولمعنى الأبوة بعد ذلك أن يمـده من بعيد بمعونته حتى ولـو تمسك بموقفه

الرافـض منه، أمـا أن يطارده بهذا الشكل المفـزع فهذا هـو التجبر وغرور السلطـة بعينهما إذ ماذا كـان يملك أن يفعل لـو لم يكن فى موقع يسمح لـه بإرسال الوحوش إلى بيت ابنه!

فلنترك على أية حال هـذا الحديث المؤلم.. ودعنى أقل لك بعد كل ذلك ان الأيام تأسو الجراح وان أيام الشقـاء قد مضت بخيرها وشرها.. وأنتما الآن زوجان سعيـدان وشريكان ناجحان متفـوقان ولستما فى حاجة إلى معـونة أحـد لكنكما فى حاجـة بالتـاكيـد إلى أن يكون لكما أهل وأقـارب، فالانسـان الوحيد الذى تشغله رحلة الكفاح عن نفسه.. يبحث حين تستقر سفينته عن أهله، وقد يتلمس أقاربه البعيدين لينتسب إليهم ويجدد صلاته بهم..

أنتما لستما فى حـاجة إلى البحث عن الأهل والأقـارب لأنهم موجـودون والحمـد لله لكن ظـروف حيـاتكما قـد بـاعـدت بينكم، فلماذا لا تستكمل سعـادتك بأن تفتح صفحـة جديـدة حتى مع من أسـاءوا إليك وظلمـوك؟ ولم لا تستعيد صلاتك بأسرتـك وتستعيد زوجتك صلاتها بأسرتها وأنتما الآن زوجان تفخر بهما أية أسرة! بل ولماذا لا تتيح لأسرتك فرصة أن تعرف زوجتك على حقيقتهـا.. وطفلتك التى لم تـرهـا حتـى الآن؟ إنك ان فعلت فسـوف يكـون ذلك تأكيـدا جديـدا لاستقـامـة خلقك وعلى انك من ذوى النفوس الكبيرة التـى لا تؤثر فيهـا الصغـائر ولا الأحقـاد، فلم لا تفعل لكى يعـرف من أساءوا إليك أى جـرم ارتكبوه فى حقك حين بـاعدوك وطـاردوك لغـير شىء سـوى لأنك قـد وجدت نعيمك وسعـادتك مع هـذه الشريكـة الرائعة !



٣٠
قصة حب
واقعية
الطريق الطويل

سيدى .. أكتب إليك هذه الرسالة من « استراحة » صغيرة فى الطريق الذى أقطعه كل يوم إلى عملى الشاق فأنا شاب فى السابعة والعشرين من عمرى تخرجت فى كلية الهندسة منذ عامين ، وقبل انتهاء دراستى بثلاثة أعوام ارتبطت عاطفيا بزميلة لى وهى فتاة رائعة جميلة اختار كل منا الآخر وتعاهدنا على أن نكمل معا مشوار الحياة . ولأننى إنسان مستقيم وواضح فلقد طلبت منها يوم إعلان النتيجة أن تقدمنى لأسرتها وزرت الأسرة وتعرفت بالأب والأم والأشقاء واختليت بأبيها وقلت له إننى شاب لا يملك إلا مستقبله وإنى يتيم لا أملك سوى معاش أبى وقد سعيت لهذا اللقاء لكى أدخل البيوت من أبوابها وإنى أريد إذا قبلنى خطيبا لابنته فى المستقبل أن أقرأ الفاتحة معه وأقدم لها دبلة الخطبة وبعد أن أعمل أواصل خطوات الزواج ، فاستمع إلى باهتمام شديد ووعدنى بأن يعطينى الجواب بعد عشرة أيام ..

وعدت إلى بيتى سعيدا وصارحت أمى بما حدث فأنا ابنها الوحيد إلى جانب شقيقتين متزوجتين وأعيش معها فى شقة مقبولة . وقبل انتهاء المهلة بيوم اتصلت بفتاتى لأعرف الجواب فوجدتها حزينة لأن أباها لم يرحب بى! وسألت عن الأسباب .. فقالت لى أن وجهة نظر أبيها هى أننى شاب طيب مستقيم لكنى لا أملك شيئا ولا أمل لى فى إيجاد شقة أو فى المساهمة فى تكاليف الزواج .

سمعت صوتها الحزين ينعى إلى أحلامى بهذه الكلمات فأحسست بأن الدنيا تدور بى .. نعم لا أمل لى فى شقة خلال فترة قصيرة .. لكن ألست إنسانا من حقه أن يكون له عش أحلامه مع الفتاة التى اختارها ، كنت غارقا فى أفكارى فلم أتنبه إلى صوتها وهى تنادينى .. وتسألنى هل مازلت أسمعها .. فاستردت نفسى سريعا وقلت لها نعم أسمعك .. وسأحضر إلى أبيك الآن وأناقشه . وفى تصميم من يدافع عن حياته أسرعت إلى بيتها .. وفوجىء بى أبوها .. فقلت له بلا مقدمات : إننى لم أحضر لأعرف جوابك

لأنى قد عرفته لكنى جئت لأدافع عن حياتى وأملى .. فلقد تخرجت فى كلية الهندسة وسوف أجد عملا وسأسعى للسفر للخارج وأنا مرتبط بابنتك ولا أتصور لنفسى حياة بعيدا عنها .. وهى كذلك .. وأنا أعرف عنك أنك أب رحيم وحريص على سعادتها .. فلماذا لا تمنحنا فرصة لكى نحقق أحلامنا معا ؟ .. إنها صغيرة فى السن وأنا فى مقتبل حياتى .. والحياة ممتدة أمامنا.. فماذا يضيرنا أن نكافح عدة سنوات لبناء بيتنا ؟ وسمعنى الأب وهو متحرج وصمت طويلا حتى أشفقت عليه من حيرته ثم تكلم أخيرا فقال لى إنه يوافق على ارتباطى بابنته بشرط عدم إعلان الخطبة الآن وبشرط ألا أحضر لزيارتها فى البيت وأن أبدأ بالبحث عن عمل فى الخارج .. وألا أعود إليه إلا ومعى عقد العمل .. فإذا جئت به أعلن خطبتنا وخرجت وأنا لا أدرى هل نجحت .. أم فشلت فى تحقيق أحلامى فكيف أجد عملا فى الخارج .. وأين هو هذا العقد السحرى الذى يفتح لى الأبواب المغلقة .

واستمر اتصالى بها تليفونيا وعرفت منها أن أباها وافق مضطرا لكيلا يكون قاسيا معها .. لكنه مقتنع بأنه لا أمل لنا وأن من الأفضل أن يبحث كل منا عن مستقبله فى طريق آخر .. فلم يغير ذلك من تصميمى .. وقبلت عملا بسيطا فى مكتب خاص لا يدر علىّ سوى ١٥٠ جنيها ورغم شدة حاجتى إلى النقود فقد حرمت نفسى منها وبدأت ادخر حوالى ١٠٠ جنيه كل شهر .. وواصلت رحلة البحث عن العمل فلم اترك شركة لم أتصل بها .

وأحس صاحب المكتب الذى أعمل معه بمشكلتى فسألنى عن ظروفى فرويتها له بأمانة فوعدنى بتقديمى لمقاول محاجر من معارفه سيعطينى مرتبا اكبر وتسلمت عملا جديدا لديه بـ ٤٠٠ جنيه فى الشهر .. وبدأت الكفاح الحقيقى .. فاصبحت أخرج من بيتى فى الخامسة صباحا فاركب الاتوبيس إلى ميدان المحطة بالجيزة حيث تنتظرنا سيارة نقل فاركبها إلى موقع العمل .. وهناك أعمل كل شىء وأى شىء .. أشارك فى قطع الأحجار.. واقوم بإصلاح سيارات النقل .. وإصلاح موتورات المناشير التى تستخدم فى قطع الحجر .. وأراقب العمال .. وأركب سيارة النقل لأحضر المازوت والبنزين الذى يحتاجه العمل .. ثم أعود إلى بيتى فى العاشرة مساء لأستلقى على السرير بلا حراك وانام وفى يوم الجمعة أذهب

إلى بيت فتاتى رغم « التعليمات » فلا يجد الأب مفرا من استقبالى فأرى فتاتى ونواصل أحلامنا ثم وافق الأب أخيرا على التخلى عن شرط « عقد العمل » وأن أقدم دبلة الخطبة بغير احتفال ، فقدمتها وسعدت أنا وخطيبتى بذلك سعادة كبرى ، وواصلت عملى .. وكلما مر شهر وقبضت مرتبى أعطيت أمى جزءا منه ووضعت الباقى فى مظروف المدخرات .. وأنا أحسب كم بلغت .. فلا أجد للطريق نهاية لكنى لا أفقد الأمل ومن ناحية أخرى فقد وجدت خطيبتى عملا مرهقا بعد اشتغالى بحوالى سنة وبدأت تدخر كل ما تتقاضاه منه لكى تساهم به فى مقدم الشقة التى نحلم بها .. وفجأة ونحن نحصى الجنيهات كل شهر .. ونتبادل التشجيع .. تعرضت خطيبتى لتجربة عائلية أثرت فيما بعد على علاقتنا أثرا كبيرا . فلقد عاد قريب لها لم يزر مصر منذ ٤ سنوات من الخارج ، وزار بيتها محملا بالهدايا وجلس فى الصالون يتحدث بالآلاف .. ويحكى عن الشقة التى حجزها فى مصر ودفع ثمنها بالدولارات ثم تساءل فجأة عن الدبلة التى فى يدها .. وأبدى دهشته لأنه لم يعرف بخطبتها وأظهر شيئا من خيبة الأمل لأنه كان يعتقد أنها غير مخطوبة ! وبعد هذا اللقاء تكررت زياراته لهم وأحدث ظهوره قلقا فى محيط الأسرة لأنه جاء ليقيم فى مصر لمدة سنة يحصل خلالها على الماجستير فى الطب ثم يعود لعمله .. وقد جاء منتويا أن يتزوج خلال هذا العام .. ويعود بزوجته إلى مقر عمله وتقدم لخطبة خطيبتى .. فرفضت لارتباطها بى ، لكنه أصبح يمثل أمام الأب الحل المثالى لكل المشاكل وصهرنى الألم لكنى لم أتكلم وآلمنى ذات مرة أنها عبّرت عن خواطرها بطريقة عفوية فقالت لى ذات مرة : لماذا لم تكن واحدا ممن يعملون بالخارج هل من يتزوجن عرسانا جاهزين أفضل أو أجمل منى ؟ ورغم أنى متأكد من أنها لم تكن تقصد سوى الفضفضة فلقد حزنت .. وقررت أن أعطيها الفرصة للتراجع إذا أرادت ليس إشفاقا عليها فقط .. وإنما أيضا لأنى قد بدأت أحس باليأس ، فالعمل يزداد إرهاقا .. وظهرى أصبح يؤلمنى من قلقلة سيارة النقل كل يوم لمدة ٣ ساعات ذهابا وإيابا فوق المدق الصحراوى وصارحتها بذلك .. فاتهمتنى بالجنون وانصرفت غاضبة ووجدت نفسى لا أتصل بها تليفونيا .. وأتخلف عن الذهاب إليها

يوم الجمعة لمدة ٤ أسابيع متوالية ، فلم تتصل بى ومع الأيام بدأت لسعة الألم تخف قليلا لكن صورتها لا تفارقنى إلى أن كان يوم ، نزلت فيه من الأتوبيس فى ميدان المحطة فى الساعة السادسة صباحا لاتجه إلى السيارة فسمعت صوتا ينادينى : يا باشمهندس .. يا باشمهندس ، فالتفت ورائى فوجدتها تقترب منى باسمة .. فتوقفت مندهشا ثم أسرعت إليها .. ولم أشعر بنفسى إلا وأنا أمسك بيديها مبتهجا وقالت لى أنها تريد أن تذهب معى إلى العمل هذا اليوم لأنها فى أجازة .. فقدمتها للعمال وانحشرت فى كابينة السائق معى ومعه، وانطلقت السيارة بنا والجميع سعداء لسعادتى .. وفى الطريق عرفت منها أن قريبها لم يقتنع برفضها وحاول كثيرا أن يقنعها بعدم جدوى انتظارها لى وأبدى استعداده لتلبية كل مطالبها ، وأنها مرت بلحظات لا تنكر أنها راجعت نفسها فيها .. لكنها لم تتردد واختارتنى لنواصل معا رحلة الألف ميل بعد تفكير طويل وقد انتظرت ذهابى إليها من الأسبوع الأول لتصارحنى بذلك لكنى احتجبت عنها .

أمضيت يوما سعيدا فى الموقع وشاركتنى العمل بيديها وتناولنا الغداء فى استراحة الطريق .. وكان يوما من أجمل أيام حياتى لكن القصة لم تنته بعد يا سيدى فخلال شهر العذاب هذا .. كانت الأفكار السوداء قد أفسدت على حياتى وتساءلت طويلا ما جدوى العمل إذا كان لا يحقق لنا أهدافنا فى الحياة .. إن العمل الشريف شاق ومرهق وعائده قليل ، فكيف يصنع الناس الثروات .. وكيف يدفعون أثمان الشقق وفى هذه الأثناء دعانا المقاول أنا وأربعة من العمال الذين يعملون معه للغداء فى بيته فى العمرانية بالجيزة بمناسبة نجاح ابنه فى الاعدادية وهناك قدمنا لأسرته ومن بينها ابنته الكبرى التى تقترب من الأربعين ودميمة وغير متعلمة .. وفى الصالون المذهب حكى لى قصتها بطريقة خاصة .. وكيف كانت قليلة البخت وتزوجت من « ولد ابن حرام » تعذبت معه عشر سنوات أنجبت خلالها ولدين .. ثم طلقها وسافر ليعمل مقاولا للأعمال الصحية فى دولة عربية .. ولم يعد من يومها لأنه مدين له بمبلغ كبير من المال فعاشت وحيدة مع ابنيها فى المنزل الذى يملكه وهو منزل من دورين .. الخ .

وأحسست فى حديثه بشىء ما لم يفصح عنه.. لكنى فهمته وتلقيت الرسالة.. ولا تلمنى إذا قلت لك أنى لم أوصد الباب بل تركته مواربا !

إننى أرجو ألا تتسرع فى الحكم على فلقد هزتنى تجربة العريس الجاهز الذى ظهر فى حياة خطيبتى إلى درجة كبيرة.. فاهتزت ثقتى فى أشياء كثيرة وسألت نفسى : لقد كادت خطيبتى تضعف تحت وطأة الظروف لولا حبها لى فمن يضمن لى ألا تضعف مرة أخرى إذا واجهت امتحانا أصعب ؟

ثم ألمح لى «ريّس العمال» وهو صديق قديم للمقاول عن الموضوع.. وحثنى على التفكير فى مستقبلى مؤكدا لى أن كل شىء جاهز.. ولاينتظر سوى موافقتى فلم أعده بشىء.. ووقعت فريسة للحيرة. إن هذا المقاول رجل طيب ويحتاج إلىّ ويثق فىّ ولو سددت باب الحديث فى هذا الموضوع فلن يؤثر ذلك على عملى معه كما انى أستطيع أن أعمل مع غيره لو أردت.. وقريبا ساحصل على وظيفة أكثر استقرارا لكنى اعترف لك وبداخلى إحساس بالذنب.. اننى اهتززت فعلا أمام هذا العرض.

وساعدنى على ذلك.. ما حدث من خطيبتى حين اهتزت هى الأخرى أمام إغراء مماثل. إننى أحبها ولا اتخيل لنفسى حياة إلا معها.. لكن الطريق طويل ياسيدى وصعب فما رأيك ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

لست فى حاجة إلى رأيى ياصديقى.. لأنك لست جادا فى حيرتك هذه بين فتاتك وبين هذا الحل «السينمائى» لمشكلتك الذى تفكر فيه، فأنت أكثر تمسكا بفتاتك وأكثر رغبة فيها مما يبدو من كلماتك الحائرة فى نهاية رسالتك.. لكنك فقط «تنتقم» منها بافكارك هذه .. كانك تريد أن تقول لنفسك : لقد فكرت هى للحظات فى أن ترتبط بغيرى زهدا فى الكفاح.. فلماذا لا افكر انا أيضا فى الارتباط بغيرها لنفس السبب؟

ولا بأس بذلك فى بعض اللحظات فمن حقنا أن نزفر.. وأن نتوجع وأن نصرخ وأن نضيق بأوضاعنا التى تفرض هذا التمزق على الشباب الراغب فى تحقيق أحلامه.. فتدفعه إلى التساؤل أحيانا عن جدوى العمل الشريف، لكنه ليس من حقنا أن نحول هذه الزفرات العابرة إلى استسلام لحلول انهزامية كهذا الحل الذى فكرت فيه، أو إلى كفر بقيمة العمل الشريف الجاد

وقيمة الكفاح من أجل بناء المستقبل ذلك أن هذا الحل ليس فقط حلا انهزاميا لكنه أيضا حل « انتهازى » تبيع فيه أحلامك بلا ضرورة وبلا ثمن أيضا !.. إذ ماذا يربطك بهذه السيدة لكى تفكر فى التخلى عن خطيبتك والاقتران بها ؟

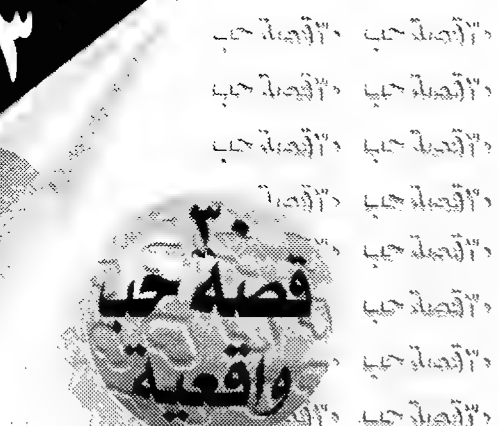
لا شىء بالتأكيد .. فلا حب .. ولا ماضى مشترك ولا اهتمامات متبادلة ولا تقارب ثقافى واجتماعى.. ولا حاضر جميل ولا مستقبل واعد بالسعادة .. فماذا إذن يغريك بها ؟

الشقة والاستقرار المادى؟ انك لا تكافح من أجل جدران الشقة الصماء.. وإنما من أجل شقة تجمع بينك وبين فتاتك التى تنصهر نفسك ألما إذا تصورت فراقها، فإذا كانت المسألة مسألة شقة فأنت تقيم مع والدتك وحدكما وتستطيع إذا أردت اختصار الطريق أن تتزوج فتاتك فى شقتها كما يفعل كثيرون من الشباب الآن، وإلى أن تنجح فى الحصول على مسكن مستقل.

أما الاستقرار المادى فسوف تصل إليه من غير هذا الطريق فأنت شاب مكافح وارادتك قوية.. ومثلك يحقق أحلامه بساعده وليس بالزواج من سيدة ليست من عالمه ولا يجمعها به سوى رغبته فى اختصار الطريق ولو أردت أن أروى لك عن تجارب مماثلة لم تورث أصحابها سوى التعاسة لما اتسعت المساحة لذلك، لكنى ساقول لك فقط أنك لست فى ظروف تبرر لك أن تتصرف بطريقة «أنا الغريق فما خوفى من البلل»؟ لأنك لست فى حاجة ملحة إلى الزواج لمجرد الزواج.. وإنما أنت فى حاجة إلى الزواج ممن اخترتها واختارتك ومشيت على طريق الأشواك من أجلها وهى فتاة تستحق أن تكافح من أجلها وتمثل بالفعل شبابك وأحلامك.. وبراءتك وكفاحك الشريف أما الأخرى فلن تكون سوى رمز لانهزامك وانهيار أحلامك - ثم عفوا - وانتهازيتك أيضا! كما انك أيضا تظلم فتاتك بتصور أنها قد ضعفت أمام الاغراء.. ولو أرادت أن تضعف حقا لاستجابت للحل الجاهز وتخلت عنك بلا ندم لكنها لم تفعل ذلك وجاءتك تسعى بابتسامة سعيدة لكى تواصل الكفاح معك فكيف يليق بك وأنت الشاب الأمين المكافح أن تحطم أحلامها على هذا النحو ؟

إننى مـازلت أعتقد أن هـذا التردد ليس سـوى سحابـة عـابرة سـوف تنقشـع سريعا إن لم تكن قد اختفت بالفعـل.

ولقد وضعت أقـدامك على أول الطريق فإذا كـان صعبا وطويـلا ومريـرا فإنه أيضا الطريق الصحيح رغم كل ذلك وهو سنة الحياة.. أن يبدأ الانسان صغيرا ثم يكبر وأن ينسج خيوط أحـلامه بالعـرق والدمـوع والكفاح المضنى. لكى يصل فى النهـاية إلى السعـادة! ولسوف تصل إليهـا وتحقق ذات يوم كل أحـلامك ويجىء يوم تنظـر فيه إلى الوراء وتتـذكر بحنين ذكريـات هذه الأيـام المشحونة بـالكفاح وساعتها سوف تتعجب كثيرا من أنك قد فكرت ذات مرة فى أن تهدر سعادتك كلها فى لحظة ضعف بشرية عابرة!



خاطر فى الليل



سيدى .. لن أقول لك : إنى ترددت كثيرا فى الكتابة إليك كما يقول كثير من القراء.. وإنما سأقول لك : إنى كتبت لك بالفعل أكثر من عشر رسائل.. ولم أكمل قط أية رسالة منها فأنا ياسيدى مهندس شاب عمرى ٣٥ سنة، تزوجت منذ عشر سنوات زواجا تقليديا عن طريق الأسرة، وعلى عكس مايتصور البعض عن الزواج التقليدى فلقد كان زواجا موفقا والحمد لله ، وبالرغم من أننا لم نكن نعرف بعضنا قبل الزواج.. بل ولم أرها إلا حين دعيت لرؤية فتاة مرشحة للزواج منى فى بيت بعض الأقارب، فلقد تفاهمنا منذ اليوم الأول الذى أغلق علينا فيه باب شقة الزوجية.. وازددنا فهما لبعضنا البعض مع مرور الأيام.. ثم بدأ هذا الحب الهادىء الرزين يتسلل إلى قلبينا رويدا رويدا.. ويجمع بيننا بالرباط المتين، حتى تحولنا بعد أقل من عام إلى عاشقين متيمين يحب كل منا الآخر ويخاف عليه.. وعلى مشاعره وأحاسيسه وخلال السنوات الأربع من الزواج جاء الأبناء ورزقنا بطفلين ومضت الأيام هادئة سعيدة.. وليست لى حياة بعيدا عن زوجتى، فأنا أعود من عملى فى الظهر فألازم أسرتى حتى اليوم التالى.. ونمضى اليوم كله معا فى البيت.. أو نخرج معا نحن الأربعة لنشترى متطلبات البيت.. أو نزور أسرتى.. أو أسرتها أو بعض الأقارب.

وذات صباح خرجت زوجتى لتشترى بعض الأشياء للبيت وحدها فصدمتها سيارة مسرعة وسقطت على الأرض وفرت السيارة بالطبع فنقلها المارة والجيران إلى المستشفى وحين عرفت بما حدث أسرعت إليها هناك فعرفت أن عمودها الفقرى قد أصيب فى الحادث.. وقال لى الأطباء أن زوجتى قد أصيبت بشلل نصفى لكنهم طمأنونا وأكدوا لنا أنه شلل وقتى وسوف يزول تدريجيا مع العلاج وجلسات العلاج الطبيعى، وخرجت زوجتى من المستشفى بعد معاناة طويلة.. وبدأنا رحلة العلاج الطبيعى لكن التحسن للأسف كان بسيطا جدا ولفترة محدودة توقف بعدها ومازال الأمل قائما مع استمرار العلاج، فكيفنا حياتنا على هذا الأساس..

ولم ينقص حبنا ذرة واحدة بل ازداد قوة ومتانة.. فحبيبتى الآن قد أصبحت فى أشد الاحتياج لى وإلى حبى ورعايتى بعد أن أطعمتنى حبها وحنانها طوال سبع سنوات وأصبحنا نمضى معظم الأوقات معا كما نفعل قبل الحادث. فأبدأ يومى فى الصباح بمساعدتها على الانتقال إلى الكرسى المتحرك ثم تتحرك هى بنشاط لاعداد الافطار والشاى ونجلس على مائدة الافطار ومعنا الطفلان فنشرب الشاى ونتبادل الأحاديث والابتسامات.. ثم تتحرك إلى غرفة النوم لتعد لى ملابس الخروج وتصر على مسح حذائى وتلميعه.. وتقدم لى المشط لأسرح شعرى وتشرف على كل شئونى كما كانت تفعل قبل الحادث وتجمع الملابس لتضعها فى الغسالة.. ثم تودعنى بابتسامتها الحلوة وبقبلتها الرقيقة وأنا ذاهب إلى عملى وتظل ترقبنى بجوار الباب إلى أن أختفى فى السلم ثم تعود إلى شقتها وتدبر شئون حياتنا بحبها الكبير للنظافة والجمال ولأنها من هؤلاء الذين منحهم الله حب الناس لهم فإن كل جيراننا وأقاربنا يتسابقون إلى تلبية مطالب البيت لها، وكل جارة تحرص على أن تسألها عن حاجتها قبل النزول إلى السوق، ولا تعود جارة إلى شقتها إلا إذا طرقت بابها لتسألها : هل تريدين شيئا ؟ فتقابل الجميع بابتسامة الشكر والعرفان.. وتعطى من قلبها وحنانها لهم جميعا فما من جارة عندها شكوى من شىء أو حزينة لشىء إلا وتأتى إليها لتبثها همها وتسألها الرأى فتسمع لها باحترام وتهون عليها ولا تبوح بأسرارها حتى لى شخصيا.. وعندما أعود إلى بيتى فى الظهر أجد شقتى نظيفة ومنسقة.. وينبعث منها شذا أعواد البخور الجميلة التى تشعلها لتغطى على رائحة المطبخ بعد الطهى، ولأجد الطعام جاهزا والسفرة معدة.. وطفلىَّ فى أجمل الملابس المتاحة لنا يذاكران والمسجل يذيع موسيقى عربية قديمة وزوجتى قد بدلت ملابسها وسرحت شعرها وتعطرت بل ووضعت بعض الروج الخفيف على شفتيها.. وقبل أن أضع المفتاح فى الباب لأفتحه أجد الباب قد فتح وحده وزوجتى تجذبه لتستقبلنى بأجمل ابتسامة، ثم تقودنى إلى غرفة النوم لأبدل ملابسى ثم إلى المائدة لنتناول الطعام ثم إلى غرفة المعيشة لنشرب الشاى أمام فيلم الظهر فى التليفزيون فإذا غفوت لمدة ساعة بعد الغداء وصحوت وجدت شاى العصر جاهزا واقترحت علىَّ

زوجتى بحماس أن أخرج وحدى لزيارة أسرتى أو لدخول السينما.. أو للجلوس فى المقهى أو للقاء بعض الصحاب.. فإذا رفضت لاعبتنى الطاولة أو الشطرنج أو تفرجنا معا على التليفزيون وحولنا طفلانا حتى ننام مطمئنين.. وقد لاحظت أنها قد أصبحت أكثر رعاية لى بعدما حدث كأنى الذى أصبت فى الحادث وليست هى .. كما لاحظت أيضا أنها أصبحت كالطيف الخفيف لاتريد أن تثقل علىّ فى أى شىء.. ورغم كل ذلك فإن نفسى تنازعنى أحيانا ويطيش بى التفكير إلى آفاق بعيدة !

ولا أعرف كيف أحست هى بما يدور داخل نفسى فعرضت على بطريقتها اللطيفة فى الحديث ان اتزوج عليها ارملة او مطلقة تتفهم ظروف وتقدر مشاعر زوجتى بل لقد طلبت منى أن أطلقها وأتزوج غيرها وأبدأ حياتى من جديد بعيدا عنها إذا كان وجودها فى حياتى هو العقبة أمام تحقيق سعادتى فأفهمتها أن كل ذلك لا يدور فى تفكيرى مطلقا وأننى لن اتزوج عليها أبدا وسأبقى دائما إلى جوارها، ومع ذلك فإن نفسى لا تهدأ ياصديقى.. ولا أكف عن التفكير فيما صارحتك به .. ومازالت هذه الأفكار تساورنى من حين لآخر أن الأمل فى العلاج مازال قائما لكنه بطىء.. فهل اتزوج عليها بغير أن أشعرها بذلك وهل سترضى هذه الزوجة الثانية بأن تحيا فى الظل نصف زوجة لرجل يحب امرأة أخرى مريضة لا تستطيع أن تستغنى عن خدماته وحبه فى ظروفها القاسية.. وأين هى هذه الزوجة الثانية التى تقدر كل هذه الظروف السابقة ؟ وهل من حقى أن افعل ذلك أم أنى لو فعلت أكون قد أخطأت فى حقها خطأ جسيما ؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

حين قرأت رسالتك كدت أعتذر عن عدم الاجابة عن تساؤلاتها متمثلا فى ذلك بموقف الإمام الشافعى حين سئل مرة عن مسألة فى الفقه فسكت فقيل له : ألا تجيب رحمك الله ؟ فقال لا أجيب حتى أدرى هل الفضل فى سكوتى أم فى جوابى ؟!

ومع الفارق الكبير بين الحالتين فلقد احتجت انا ايضا إلى فترة صمت كافية حتى أدرى بأى الرايين أجيب ؟ ولأنى مضطر للاجابة بكل أسف فإنى اقول لك نعم من حقك أن تفعل ما تريد ياسيدى إذا كنا نتحدث فقط

عن «الحقوق» وعن المنطق العقلانى المجرد وإذا أسقطنا كل الاعتبارات الأخرى.. لكن السؤال الأهم هو هل هذا هو التصرف المثالى فى مثل حالتك ؟ اننى لن أسارع بالاجابة عن ذلك لكنى سوف أسألك سؤالا واحدا أرجو أن تغفره لى، وأن تضعه نصب عينيك دائما وأنت تختار لمستقبلك معها : ماذا لو كنت أنت ـ لا قدر الله ـ الذى تعرض لهذا الحادث الأليم فأقعده فى البيت ومازال يواصل العلاج ويأمل فى الشفاء كما تفعل زوجتك الآن ؟ هل كنت ستسعد كثيرا بهذه «الخواطر» التى تلح على زوجتك وبهذا الحديث عن الحقوق وعن المنطق العقلانى المجرد ؟ أم أنه كان سُيدمى قلبك بالتأكيد ويشعرك بقسوة الحياة ومرارتها ؟ لا تقل لى : إن موقفك كان سيختلف لأنك كنت ستعرض عليها من البداية أن تعفيها من الارتباط بك ايثارا منك لسعادتها على سعادتك كما ترى فى أفلام السينما القديمة ولست أنكر عليك انك كنت ستفعل ذلك فعلا، لكنك ستفعله وأنت تنتظر من شريكة حياتك التى تحمل لها كل هذا الحب ويربط بينك وبينها طفلان جميلان الا تكتفى بالتفكير فى «حقوقها» فقط وأن تفكر أيضا فى واجباتها» كزوجة مخلصة وكأم وكمحبة وأن ترفض بلا تردد عرضك الكريم هذا ؟ بل وكنت ستحس بالرضا فى أعماقك حين ترفض هى مناقشة الأمر من البداية وتؤكد تمسكها بك، ولو قبلت هى عرضك «السخى» هذا واشادت بواقعيتك وعقلانيتك ثم تحررت من ارتباطها بك وتركتك فى محنتك وانطلقت إلى العالم الواسع لتستمتع بحياتها وشبابها لشقيت أنت بذلك أكبر الشقاء.. ولكرهت غدر الأيام وانعدام الوفاء. فلماذا لا يقبل الانسان لنفسه ما يقبله للآخرين لو تبادل معهم الأدوار ؟ ولماذا يفلسف لنفسه دائما ما يرضيها.. ويرضى نوازعها ولا يقبل هذه «الفلسفة» نفسها إذا تعارضت مع سعادته وحقوقه هو ؟!

ياصديقى تمسك بزوجتك هذه .. ولا تفقد الأمل فى العلاج وتغير الأحوال .. واسعد بما بين يديك فإن حديثك عنها سوف يثير لواعج كثيرين من أزواج «الصحيحات» اللاتى لا يقدمن لأزواجهن بعض ما تقدمه لك هذه الزوجة الرائعة رغم ظروفها الصحية، وصدقنى لو قلت لك : إننى قد حلقت معك فى سماوات علا من الحب والرومانسية والتفاهم والتعاطف

والجمال، وأنت تـــروى عن زوجتك التى تـــودعك بـــابتســـامـــة وتلقـــاك بابتســـامة.. وتجمل حياتك وبيتك رغم ظـــروفها القاسية، لكنك ـــ سامحك الله ـ صدمتنى بتساؤلك الغريب هـــذا والذى لن أجيبك عنه وإنما سأذكرك فقط بأن الحيـــاة لا تستقيم لو تصرف فيهـــا كل إنسان على ضوء مـــا يحقق رغباتـــه ونوازعـــه وحده بـــلا أى اعتبار آخـــر وفى حالتك هذه فـــإن لزوجتك المحبة عليك حقوقا ينبغى ألا تنساها ولأبنـــائك عليك حقوقا لابد أن تتذكرها دائما.. وسأذكرك أيضـــا ياصديقى بأن «الدنيـــا زوج خؤون» لا أمان لها .. ولا عهد ولا ذمـــة أيضا ! وعلينا أن نحتمى من غـــدرها بألا نظلم غيرنـــا فيها بقدر الإمكان.



أكتب لك لأنى فى حاجة ماسة للتعرف على رأيك والحلول المقترحة والمكنة لعلى أجد فيها مخرجا من المأزق الذى وقعت فيه مؤخرا. أما أنا فطبيبة حصلت عقب تخرجى على دبلومتين فى مجال تخصصى وعلى درجة الماجستير من بريطانيا مع درجة الزمالة منها أيضا، وأوشك الآن على الانتهاء من مناقشة رسالة الدكتوراة تحت إشراف إحدى كليات الطب التابعة لجامعة بنسلفانيا الأمريكية، وقد تزوجت منذ عشر سنوات وعينت بالكلية التى تخرجت فيها ووقف زوجى إلى جوارى وساندنى كثيرا بالتشجيع المادى والمعنوى حتى حققت النجاح الذى أردته لنفسى وحصلت على الماجستير والزمالة وبدأت الإعداد للدكتوراة، وحقق زوجى أيضا نجاحه وحصل على وظيفة مرموقة وبدأ التحضير للدراسات العليا فى مجال دراسته النظرية ودرس الكمبيوتر وراح يحلم بالهجرة لأمريكا التى سبقت أختى الوحيدة بالهجرة إليها وراحت تحثنا على اللحاق بها، لكن والدى اعترض على هجرتنا وراح يطالبها هى بالعودة بعد أن لم يبق له من أسرتنا سواى وسواها، وفى هذه الظروف تلقيت موافقة كلية طب عربية على عملى فيها، وتحمست للسفر وخوض التجربة واعترض زوجى فى البداية بشدة لعدم اقتناعه بألا يكون له عمل فى تلك الدولة العربية سوى مرافقتى كمحرم لى كما تقضى نظمها، لكنى استطعت بعد جهد كبير إقناعه بأننا نحتاج لهذا السفر لما سيكون له من أثر ايجابى على مستقبلنا.. ولأنه سوف يساعدنا على الهجرة لأمريكا فيما بعد، فقبل ذلك بعد عناء، أما أبى فلقد سكت وهو غير راض عن فراق من بقوا له من أحباب فى الحياة على حد قوله، وأسرها فى نفسه ضدى غفر الله لى، ولم يخفف من حزنه سوى تأكيدى له اننى سأدعوه من حين إلى آخر لأداء العمرة والحج، وهكذا غادرنا القاهرة منذ خمس سنوات وبدأنا حياة جديدة.

ولم أحس بالغربة كثيرا فى وجود زوجى الحبيب معى والطفلين الصغيرين وخططنا لحياتنا فى الغربة بحيث تكون عملا ودراسة فى النهار

واستمتاعا واستقرارا عائليا فى المساء، فى سعادة وانسجام «وأفراح» أسرية أسبوعية نحييها بأنفسنا خاصة ونحن أسرة تتذوق الفن وتقدره، فزوجى رسام موهوب، وأنا أعشق الموسيقى والغناء وأجيدهما، كما أجيد العزف على العود والأورج، وقد أحضرت معى من مصر العود واشترينا «أورج» جديدا من حيث نقيم، واهتممنا بفرش عشنا بأثاث جميل ووفرنا به كل مانحتاج إليه.. واشترينا سيارة لأول مرة فأصبحت حياتنا سهلة وميسورة «وأفراحنا» وليالينا وأمسياتنا رائعة وسعيدة، وفى كل أجازة نعود إلى مصر.. ونضيف إلى خطواتنا على طريق تحقيق أحلامنا المشتركة خطوة جديدة، فاشترينا شقة للعيادة التى أعتزم افتتاحها فى القاهرة بعد العودة، وأخرى فى نفس العمارة للمكتب الذى سيفتتحه زوجى لممارسة عمله الخاص أيضا، بعد العودة، واشترينا سيارة فى مصر، ثم ركزت فى الفترة الأخيرة على إنهاء رسالة الدكتوراة.. وبدت لى ولزوجى الحياة بهيجة وسعيدة وواعدة بكل جميل، فزوجى هو أخى وحبيبى وصديقى وشريك أحلامى، وقد وافقته فى ارتداء الخمار بمجرد عملنا فى هذه الدولة العربية تجنبا للمشاكل رغم أنى كنت محجبة من سن عشر سنوات وأعلم جيدا أن الشرع لايفرض الخمار وتغطية الوجه، فإذا بكل شىء ينهار فجأة، وإذا بى أفقد زوجى الحبيب ووالد أطفالى الذين أصبحوا ثلاثة بسبب صبى طائش كان يقود سيارة والده وتمت الاجراءات الكئيبة ودفعت أسرة الجانى الطائش الدية وإن كانت أموال الدنيا لا تعوضنى عن خسارتى فى زوجى، ووجدت نفسى فجأة أرملة وأنا فى السادسة والثلاثين من عمرى، وقضيت اجازتى السنوية بعد الحادث المؤلم وأنا لا أكاد أعى ما حدث أو أستوعبه ثم تمالكت نفسى ونظرت إلى مستقبلى ومستقبل أطفالى وأعدت ترتيب أوراقى وقررت الاستمرار فى العمل بالدولة العربية لعام دراسى آخر أركز فيه على إنهاء رسالة الدكتوراة ويحصل خلاله ابنى على الابتدائية ثم أرجع لمصر، خاصة أن وضعى المالى ممتاز ولا أحتاج للاستمرار فى الغربة أكثر من ذلك.

وبدأ العام الدراسى، وأقبلت على عملى ودراستى بهمة وصبر، فإذا بجهة عملى تطالبنى بتحديد موقفى بعد رحيل زوجى عن الحياة فإما أن

أجد لنفسى محرما بديلا وإما إنهاء عقدى وترحيلى ، وقد جاء هذا التحرك المفاجىء بعد طول صبر علىّ بناء على « فتنة » من زميلة بالكلية اكتشفت فيما بعد أن زوجها كان يداعبها ويقول لها إنه يتمنى أن يتزوجنى لكى يكون محرما لى ويحل مشكلتى ومشكلته ، فتخوفت الزميلة هذه من أن تنقلب الدعابة جدا وتنبهت الكلية إلى أنى مازلت بلا محرم ، وتلقيت منها هذه المطالبة وتداولت الأمر مع طبيبة غير مصرية وزوجها وتناقشنا فيه طويلا ، فانتهينا إلى أنه لا حل هناك للموقف إلا البحث عن رجل شهم وكريم يقبل أن يعقد قرانه علىّ لمجرد الحصول على وثيقة الزواج وتقديمها لجهة عملى دون علاقة زوجية فعلية . لكن أين أجد مثل هذا الرجل المضمون .. ولم تطل حيرتى كثيرا ، فقد سمع صديق لزوج زميلتى بقصتى وأبدى استعداده لتقديم هذه « الخدمة » لى على غير معرفة بى تأثرا بظروف ، وعلمت أنه يشغل مركزا مرموقا فى مؤسسة كبرى ويعمل بمشروع يبعد عن المدينة التى أعمل بها بـ ٨٠كيلو مترا ويقيم فى سكن خاص بالمشروع فى نفس الموقع ، ويعيش وحيدا طوال العام إلى أن يأتى الصيف فتجىء إليه زوجته وأولاده من مصر ، وتحريت عنه فجاءتنى المعلومات عنه مطمئنة للغاية ، والتقينا فى بيت الزميلة غير المصرية دون أن أرفع الخمار عن وجهى وعلمت منه أنه مرتبط جدا بزوجته وحريص عليها خاصة أنها رفيقة دربه ومريضة بمرض لا يؤثر على علاقتها الخاصة به . كما أنه يحب أولاده جدا ويحرص على مصلحتهم ولولا رغبته فى مساعدة مصرية من بلاده لما قبل الاقدام على هذه المخاطرة التى قد تسبب له مشاكل كثيرة إذا علمت بأمرها زوجته وطلب منى فى النهاية أن يظل هذا الأمر سريا بيننا وشكرته على ذلك وطلبت منه أن تنتهى هذه العلاقة الصورية بيننا بمجرد استعدادى للعودة النهائية لمصر ، وأن تبقى علاقتنا طوال الشهور الباقية على الصيف فى حدود علاقة الخطيب بخطيبته ، ولكن دون أعباء مالية عليه من هدايا ومجاملات وخلافه ، وتكرر اللقاء مرة أخرى فى بيت الزميلة الطبيبة وزوجها وشعرت بارتياح داخلى كبير لشخصية هذا الرجل الذى لم يطلب حتى ولو على سبيل التعارف مع من ستحمل اسمه أن أرفع الخمار السميك عن وجهى ليستطيع تمييزى إذا

رآنى صدفة فى مكان آخر ، وأحسست أنه يريد مخلصا مساعدتى دون أن يفرض نفسه علىّ ووجدته رجلا وقورا هادئا دمث الأخلاق مهيبا يبدو أكبر من سنه ، وتم عقد القران فى القنصلية وتوثيق العقد وقدمت الوثيقة لجهة عملى ورفعت عن صدرى حجرا ثقيلا ، وانتظمت حياتى مرة أخرى وتفرغت لأطفالى ودراستى للدكتوراة وشعرت بالأمان لاستظلالى بظل رجل حتى ولو كان فى زواج صورى ، فإذا بشكوى أخرى إلى جهة عملى وللجوازات بأن زوجى لا يقيم معى فى عش الزوجية ولا يعيش فى نفس المدينة التى أقيم بها مما يخل بشرط المحرم وتناقشت مع زوجى « المؤقت » ومع زميلتى وزوجها فى ذلك . فعرض الرجل مشكورا أن يؤجر شقة صغيرة بجوارنا فى نفس المدينة ليزورنا على فترات متقاربة وكان عرضا كريما منه ومكلفا له من الناحية المادية ، لكن كيف أبرر زيارته لى أمام أطفالى وجيرانى ومعارفى ؟ لقد فكرنا فى الأمر طويلا وانتهينا إلى أنه لا يصح فى النهاية إلا الصحيح وبالتالى فلابد من خطوة « شجاعة » هى إعلان زواجنا فى حفل صغير .. فى بيتى لا يحضره أبنائى وأقدم فيه « زوجى » لزملائى وزميلاتى على أن أمهد الأمر لأولادى الذين رتب لهم زوج زميلتى رحلة خارج المدينة مع أولاده فأقدم لهم زوجى بعد عودتهم كقريب وصديق قديم لأبيهم وسوف يرعانا ويهتم بأمرنا إلى أن نعود لبلادنا فى الصيف ، وفى هذا الحفل الصغير رفعت الخمار عن وجهى لكى يرانى زوجى لأول مرة فما إن رآنى حتى اضطرب اضطرابا واضحا وراح يختلس النظرات الخفية لى ويدارى اضطرابه ويتحكم فى انفعاله بجمالى الذى لم يتوقعه . وشعرت بكل ما أحس به وبأنه قد تولدت لديه مشاعر جديدة تجاهى وارتحت لأثر جمالى عليه بل وسعدت بذلك وتوقعته وعند منتصف الليل انتهى الحفل وبدأ الحاضرون ينصرفون وهمّ زوجى بالانصراف معهم حسب الاتفاق السابق .

لكننى وبكل « شجاعة » رفضت أن يغادر مسكنى ودعوته بإصرار للبقاء وتمضية الليل معى لأنى أصبحت من حقه أمام الله والناس ويجب أن يمارس حقوقه المشروعة علىّ حتى يكون الزواج كاملا ، واقتنع الرجل بعد قليل من الحرج وتمت الخلوة الشرعية بيننا وأمضى الليلة فى بيتى

خاصة فإذا بكل شىء ينقلب رأسا على عقب بعد هذه الليلة ونشأت مشكلتى الحالية التى أكتب لك عنها الآن : فقد شعرت باقترابى الصاروخى من هذا الرجل الذى بدأت علاقتى معه كمجرد وسيط فقط لحل مشكلة المحرم وبدأ هو يأتى إلينا عصر كل يوم أربعاء ويغادرنا صباح السبت إلى عمله فإذا بى أجد نفسى غارقة حتى أذنى فى الارتباط به ورافضة الاستغناء عنه أو اعتباره مجرد حل مؤقت لمشكلتى فى العمل . كما كانت الفكرة فى البداية فلقد أحببته .. نعم أحببته يا سيدى وأحبه أولادى أيضا الذين اجتذبهم إليه بسرعة كبيرة لما يتمتع به من حنان جارف واستطاع الرجل خلال وقت قصير أن ينسينا مأساتنا بفقد زوجى ووالد أطفالى ، وأصبحت الفترة التى يقضيها معنا كل أسبوع فترة سعيدة كلها « مودة وانشراح » لى ولأولادى فنخرج معا للنزهة والتسوق وشراء الهدايا ويرفض قبول ثمن ما يشتريه لنا رغم اتفاقنا السابق على ألا أكلفه أية أعباء مادية وأعادنى الرجل للحياة وأعاد الحياة إلىّ فرجعت صبية مراهقة تحب ابن الجيران وأنجزت خلال شهرين فقط ما تبقى لى من رسالة الدكتوراة وبدأت فى المراجعة وقد تعلق بى هو أيضا وأحبنى ويريد أن يستمر فى ارتباطه بى مع احتفاظه بزوجته ويريد أن يجمع بيننا لأنه يرانى كما يقول « جوهرة » لا يجوز التفريط فيها خاصة أنه لن يتحمل بسببى أية أعباء مادية بل ربما شاركته فى أعماله إذا رجعنا لمصر عودة نهائية ذات يوم وهو يقول : إن الجمع بين زوجتين يحبهما أمر سهل عليه رغم أن الحب لا يتجزأ لأنه يعطى كل حبه للزوجة « الحاضرة » معه فى هذه اللحظة وبذلك لا يتجزأ الحب ولا تناقض مع حبه لكل منا !

هذا هو تفسير حب الأم أو الأب لكل الأبناء فى وقت واحد فى رأيه لكن المشكلة تتمثل فى صعوبة إقناع زوجته الطيبة المريضة بقبول هذا الوضع .. بل إنه لا يستطيع حتى مجرد إبلاغها به لأنه يعرفها جيدا ويعرف عصبيتها رغم طيبتها ويعرف أنها قد تدمر حياتها بلا مبالاة بأى شىء لأن عزة نفسها فوق كل اعتبار والآن فقد اقترب موعد عودتى لمصر فى الصيف . كما اقترب موعد حضور زوجته أيضا وأولاده قبل رجوعى .

ولم نجد حلا بعد للمشكلة وأريد منك ومن كل صاحب رأى أن يبدى

رأيه فى مشكلتى ويجيبنى عن تساؤلى لماذا ترفض الزوجة المصرية رفضا قاطعا أية فكرة لزواج زوجها من أخرى، إذا كان الله قد أباح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة لحكمة رآها .. وإذا كان ذلك قانونا إلهيا وليس من صنع البشر ولم يجىء عبثا ؟ ولماذا يترك معظم الناس كل ذلك ويتمسكون فقط بقاعدة « ولن تعدلوا » ناسين أن فى الرجال كثيرين يخشون ربهم فى تصرفاتهم وهم رجال محترمون راشدون عادلون ؟

إن المرأة المؤمنة الكيسة .. الفطنة يجب ألا يحزنها هذا الأمر على الإطلاق نعم .. قد تسألنى هل تقبلين أن يتزوج زوجك الحالى من ثالثة إذا رأى أنه غير مكتف بك وبزوجته الأولى .. وهل سترحبين بذلك وتقبلينه بنفس طيبة ؟ وقبل أن أجيبك عن هذا السؤال أريد أولا أن أناشد الناس من حولنا أن يقلدوا الأوروبيين فى الايجابى فقط من سلوكهم ، ألا وهو الثقة فى بعضهم البعض وأعنى بذلك أن زوجى لو رأى انه يحتاج إلى امرأة أخرى وفى ظروف إنسانية ليتزوجها ، فلابد أن ذلك مفيد لها مادام لم يقصد بذلك لذة أو شهوة عابرة ولم يقصد غير وجه الله مادام لن يؤذى زوجاته الأخريات فلن أمانع فالزوج « كما أمر الله » ليس حكرا على واحدة كما علمنا الأوروبيون والملحدون والأنانيون وضعفاء الإيمان منا . إننى أبحث عن قاض عادل ينصفنى فهل تكون أنت ؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

نحن لا نقلد الأوروبيين يا سيدتى فى نظرتهم لتعدد الزوجات المشروع وإنما نراه البديل الأخلاقى لتعدد الخليلات الشائع عندهم ونسلم بحكمته عند الضرورة الشرعية وبشرط عدم الغدر والخداع وعدم التخفى به عن الزوجة الأولى لكيلا يهدر أحد حقها فى قبول الأمر الواقع أو رفضه والحصول على الطلاق ، على أننا لا نعتبره كذلك « أمرا إلهيا » كما تقولين أنت وإنما أمر مباح وليس مفضلا ولا مندوبا إليه إلا للضرورات المحددة فى الشرع فضلا عن أنه يتوقف على حاجة الرجل إليه وقدرته عليه ، ومشروط بما هو أصعب من كل ذلك وهو العدل !

فإذا أردت أن تعرف من الذى نقلده فى ذلك .. حقا .. فهو الرسول الكريم ﷺ الذى تزوج السيدة خديجة واكتفى بها كزوجة منفردة وهو فى

عنفوان شبابه ما يزيد على العشرين عاما رغم انتشار تعدد الزوجات بلا قيود ولا حدود فى عصره قبل أن ينظمه الإسلام ويقيده وهو الذى كره أيضا لابنته فاطمة أن يتزوج عليها على بن أبى طالب من جويرية بنت عمرو بن هشام حين ذهبت إليه فاطمة الزهراء باكية تقول له :

« يقولون إنك لا تغضب لبناتك فأقبل على المسجد مغضبا وصعد على المنبر وقال للحاضرين : إن بنى هشام بن المغيرة قد أستاذنوه فى أن يزوجوا ابنتهم عليا ثم صاح « ألا وإنى لا آذن .. ثم لا آذن .. ثم لا آذن .. إنما فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها وإنى أتخوف أن تفتن فى دينها » فإذا كان عليه السلام قد تزوج بعد وفاة السيدة خديجة ، فقد تزوج سودة لترعى أبناءه واختارها كبيرة فى السن ثم تزوج بعد ذلك توثيقا لروابطه مع قومه وعشيرته وترضية لنفوس بعض أصحابه ولإبطال حكم التبنى ولخدمة أهداف الدعوة زيجات قد لا يقبل بعضها غيره ولا تدفع إليها شهوة .. ولا رغبة .

ولأنه بشر سوى فلم يخفق قلبه لأحد من نسائه بعد السيدة خديجة إلا للسيدة عائشة وحدها ، فكان يعدل بين زوجاته فى العطاء والمبيت ويستغفر ربه فيما لا حيلة له فيه من عدم العدل فى مشاعره بينهن ويقول «اللهم هذا جهدى فيما أملك ، ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك» أى فى قلبه وعاطفته ومشاعره .

هذا هو « الإنسان » العظيم الذى نقلده يا سيدتى والذى تتمثل فيه الطبيعة الإنسانية السوية من وحدانية المشاعر العاطفية وعدم قابليتها للتجزئة أو الشراكة ، بل أن حجة الإسلام الإمام أبا حامد الغزالى قد فسر الآية الكريمة التى أشرت إليها « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » بأنها تعنى ولن تعدلوا فى شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك بالضرورة التفاوت فى الوقاع !

فإذا كان زوجك قد خرج علينا بنظرية جديدة فى قدرة الإنسان على أن يحب امرأتين بنفس القدر فى وقت واحد لأنه يكون منصرفا بكل « حبه » إلى الزوجة « الحاضرة » معه فهذا فتح جديد فى أسرار النفس البشرية أدعوه إلى تسجيله فى الشهر العقارى باسمه مع تغيير طفيف فى الكلمات بحيث يقول:

إن الرجل يستطيع أن ينصرف بكل « رغبته » إلى الزوجة الحاضرة معه وليس بكل حبه لأن غاية ما يستطيعه الرجل فى هذه الحالة هو أن يحب امرأة.. « ولا يكره أخرى » ولأن الحب لا يعرف إلا الوحدانية إذ لم يخلق الله جل شأنه لأحد من قلبين فى جوفه كما علمنا القرآن الكريم على لسان الصادق مع نفسه ومع العالمين ﷺ .

وعلى أية حال فلن أطيل الحديث فى هذا الأمر الذى ناقشته مرارا من قبل كما أنى لن أسألك السؤال الذى تتوقعينه منى لكنى سأسألك سؤالا آخر هو هل لو كان زوجك الراحل لايزال على قيد الحياة وتعيشين معه فى وئام وسلام فى أسرة صغيرة متحابة ثم عرضت لإحدى زميلاتك مشكلة مشابهة لمشكلتك .. هل كنت تقبلين أن يقدم زوجك ووالد أطفالك هذه « المساعدة » الإنسانية التى قدمها لك زوجك الحالى ؟ وهل كنت ترحبين بنفس راضية بأن يستمر زواجه للأخرى بعد أن اكتشف كل منهما حبه للآخر ورغبته فى الاستمرار معه إلى مالا نهاية لأن زواجهما لم تدفع إليه « شهوة عابرة » وإنما ظروف إنسانية فيها « فائدة » للزوجة الأخرى ؟

أريد جوابا صادقا منك .. فهل تقدرين عليه ؟! إنك تعرفين الجواب الصادق ياسيدتى .. وتعرفين أيضا بما لك من ثقافة وعلم وهو أن مأساتنا كبشر هى أن مواقفنا من « العدل » و«الحق» قد تتغير أحيانا باختلاف مواقعنا منهما وباختلاف ما يصيبنا من ضرر او نفع منهما فإذا كنا المتضررين بهما فهما « الظلم » و « الغدر » و «الأنانية » . لامراء فى ذلك . وإذا كنا المستفيدين بهما فهما الحق والعدل اللذان يتعامى عنهما « مقلدو الأوروبيين » و« الأنانيون » و«ضعاف الإيمان » ولا عجب فى ذلك فقديما قال الأديب الفرنسى أندريه موروا « كل ما يتفق مع ميولنا ورغباتنا يبدو فى نظرنا حكيما ومعقولا . أما ما يناقض رغباتنا وأهوائنا فهو مجاف للحكمة والعدل ويثير غضبنا » .

وخداع النفس آفة أخرى من آفات البشر ، « ومن الناس . كما يقول الروائى اليابانى كنزابورو ـ من يقفز من خدعة إلى خدعة طوال العمر كما تفعل الضفدعة » .

ولو أنصفت لما خدعت نفسك ولما نعيت على المرأة «المصرية» رفضها

القاطع لأية فكرة لأن يتزوج زوجها عليها كأنك لم تكونى لتفعلى نفس الشىء وربما بضراوة أشد لو كان زوجك الراحل قد تزوج عليك أو فكر فى ذلك.

ان تحديد الخطأ هو أول خطوة على طريق العلاج فإذا أردت حلا لمشكلتك فلابد أن تسلمى بأنك قد ورطت نفسك فى مشكلة عاطفية وعائلية واجتماعية معقدة لأنك لم تتصرفى التصرف الوحيد السليم، الذى كان منتظراً منك بعد رحيل زوجك عن الحياة مادامت نظم المجتمع الذى تعيشين فيه لاتسمح لك بالبقاء فيه دون زوج أومحرم وهو العودة إلى بلدك وبدء حياة جديدة فيه ثم الارتباط إذا أردت بعد ذلك بمن لازوجة له ولا أبناء.

لقد كان هذا هو الاختيار الوحيد السليم فى مثل ظروفك هذه بدلا من التحايل على القانون للاستمرار حيث أنت والتورط فى هذه المشكلة.

وأرجو ألا تقولى إنك كنت «مرغمة» على البقاء من أجل رسالة الدكتوراة وحصول ابنك على الشهادة الابتدائية، كأنما كان يتعذر عليك ذلك لو كنت قد سلمت بأقدارك واكتفيت بما حققت فى غربتك خلال السنوات الخمس الأخيرة وهو كثير ويضمن لك حياة كريمة فى بلدك، لكنك لم تفعلى ذلك للأسف وبسبب هذه «الاستماتة» فى البقاء فى الغربة بلا مبرر ولا دوافع ضرورية ملحة، فلقد تورطت فى خطأ الزواج الصورى تحايلا على تقاليد المجتمع الذى تعيشين فيه، ثم تورطت فيما هو أشد وأنكى وهو تحول الزواج الشكلى إلى زواج حقيقى والوقوع فى حب رجل متزوج وله أسرة لاتقبل ولن تقبل شراكتك لها فيه، وهاأنت قد نسيت الآن حتى مبررات زواجك الصورى هذا وهما «الدكتوراة» و«الابتدائية» ورحت تخططين للاستمرار فى الغربة إلى مالانهاية بعد أن حللت مشكلة المحلل، وللاستمرار فى زواجك الحالى بعد أن وقعت فى حب زوجك كما تقولين. ولااعتراض لأحد على استمرارك فى الغربة كما تشائين فمن حق كل انسان أن يعيش حيث تطيب له الحياة مادام ذلك متاحا له ومشروعا.. لكن مالاحق لأحد ولالك فيه هو أن تعرضى أسرة هذا الرجل للاضطراب والقلاقل وزوجته الطيبة المريضة لما سوف يدفعها إلى حافة الجنون ويحكم على زواجها وأسرتها

بالانهيار وتعرضى أبناءه للتمزق بين أبويهم والتعاسة والشقاء.

انك تطلبين فى النهاية رأيا عادلا فى مشكلتك.. ورأيى الذى لن ينال رضاك هو أن ترجعى إلى نقطة البداية فى خطتك التى وضعتها للبقاء فى الغربة عاما آخر بعد رحيل زوجك وتلتزمى بها بأمانة وشرف وتنسحبى من حياة هذا الرجل الذى قدم لك خدمته «الجليلة» وأتاح لك هذا الاستمرار، وترجعى إلى بلدك مكرمة معززة «ومكتفية» بما حققت من «رحلة الغربة».. وبما عشت من أيام سعيدة دافئة مع هذا الرجل، ثم تبدئين حياة جديدة فى بلدك.. ولن يطول بك الوقت إلا وستجدين من «يعيد إليك الحياة ويعيدك للحياة» بلا اعتداء على حق أحد فيه، ولامشاكل مع زوجته وأبنائه، تماما كما وجدت زوجك الحالى الذى «أعادك للحياة» بعد شهور قليلة من وفاة زوجك الأول، هذا هو رأيى الذى لن تسعدى به لكنه الرأى الوحيد الذى أراه لك للأسف إذا كنت راغبة حقا فى أن تكافئى هذا الرجل على عطائه لك.. فلقد قدم ماكنت فى أشد الحاجة إليه،، وأحسن عشرتك وأسعد أيامك عاما دراسيا كاملا وليس من العدل أن تكافئيه على ذلك بتهديد استقرار حياته، مع زوجته وأبنائه الذين لن يتخلى عنهم أبدا ولابتعريضه لهذه المحنة التى ستؤثر سلبيا على حياته ومستقبله وأوضاعه العائلية والاجتماعية.

والحب الحقيقى عطاء وتضحية لمن نحب ياسيدتى وليس أخذاً فقط وأنانية، وأنت تعيبين على الأخريات «أنانيتهن» فأحرى بك أنت أيضا ألاتكونى واحدة منهن، وألا تنظرى للأمور من ثقب الابرة الضيق الذى لاترين منه إلا رغباتك وأهواءك.. ولن أقول «ومصلحتك» أيضا فى الاستمرار فى الغربة ومواصلة جنى الثمار بلا حاجة ماسة ولاضرورة ملحة.

لقد كنت على وشك أن أنصح زوجك بأن يواجه زوجته بالأمر الواقع ويتحمل تبعات ذلك فإما أن تقبل به وتستمر معه.. وإما أن تنفصل عنه.. ويتمزق الأبناء بينهما لكنى راجعت نفسى فى ذلك وساءلتها ولمصلحة من تنهدم هذه الأسرة المستقرة ويشقى أبناؤها.. وتتعرض هذه الزوجة الطيبة المريضة لجزاء سنمار وطعنة الغدر، ولا شىء يربط بينه وبينك فى النهاية

سوى وثيقة زواج صورى بدأ سريا ويمكن أن تنفصم عراه فى أية لحظة وبلا خسائر كبيرة على الجانبين ، بل وحتى لو كانت الخسائر كبيرة فهى خسائر شخصية فى النهاية ولا تنسحب إلا عليك وعليه وحدكما ، ولا تمتد إلى أبناء أبرياء أو زوجة لا ذنب لها فى اقدارك كما هو الحال لو تمزقت أسرة هذا الرجل..

إذن فكلاكما قادر على التضحية باعتباراته الشخصية حرصا على استمرار هذه الأسرة المهددة وكلاكما قادر على النسيان أيضا بلا عناء كبير بدليل «عودتك للحياة» سريعا بعد رحيل زوجك الاول بشهور قليلة وبدليل نظرية زوجك العجيبة عن «الزوجة الحاضرة » و«الحب الذى لا يتجزأ» ..

والحب الحقيقى ياسيدتى إنما يمتحن بالتضحيات.. فهل تحبين هذا الرجل حقا ؟ وهل أنت قادرة على أن تقدمى له هذه التضحية العادلة بالانسحاب من حياته دون أن تكبديه وتكبدى زوجته وأبناءه الآلام والمعاناة ؟

أم أننا لا نحب الحديث عن التضحية إلا إذا كانت مطلوبة فقط من غيرنا ؟

٥

٣٠ قصة حب واقعية

الحبال الواهية

أنا طبيبة شابة عمرى ثلاثون عاما ، وقد سبق أن كتبت لك من قبل لأستشيرك بشأن أستاذى الأستاذ الجامعى الذى كنت أعد رسالتى العلمية تحت إشرافه ، والذى كنت أعتقد أنه معجب بى ويريد الارتباط بى ، فنما حبى له تحت السطح وتعلق حتى تمكن منى تماما وهو يشجعنى ويقربنى إليه ولكن دون أن يتورط معى فى كلمة أو عبارة صريحة تحسب عليه أو أستطيع تفسيرها كوعد منه بالارتباط بى . وقد نصحتنى وقتها بالابتعاد عنه وقلت لى إنه لا يحمل لى أية مشاعر عاطفية ولا يفكر فى الارتباط بى ذات يوم لكنه كأى رجل يسعده أن يجد من يحبه ويتعلق به .
وقلت لى أيضا أنه ليس من الأمانة أن يوهمنى بما لا يعتزم الإقدام عليه حتى يحتفظ بحبى وتعلقى الشديد به إلى مالا نهاية مما يضيع على فرصتى فى السعادة مع غيره وقد أثبتت لى الأيام صدق حكمك بعد شهور ، فلقد جعل أستاذى منى أضحوكة بين زملائى وتحدث ساخرا عن غرامى به وسخر منه ومنى بلا رحمة أمام بعض الزملاء ، فتركت الماجستير التى كنت أعدها تحت إشرافه وانتقلت بها إلى جامعة أخرى ، وعانيت من الألم النفسى ماكاد يدمرنى ويشوه كل أفكارى عن الحياة . ومررت بفترة عصيبة من حياتى إلى أن بدأت أتماسك من جديد وأغير كل حياتى فانتقلت للعمل فى مستشفى جديد لا يعمل به هذا الأستاذ الجامعى ولا يتعامل معه حتى لا يتصادف أن أراه أو يرانى وتفرغت لعملى ولرسالة الماجستير ولحياتى العائلية حتى بدأت أنسى ما تعرضت له من مهانة وإيلام فى تلك الأيام العصيبة ، إلى أن جاء يوم وحدثت مشكلة طارئة فى المستشفى بشأن معمل التحليل الخاص به ، وكلفتنى إدارة المستشفى بالتحقيق فيها وحلها ، فقمت بزيارة المعمل عدة مرات وتحدثت إلى كل العاملين به فلفت نظرى شاب يحمل مؤهلا متوسطا يعمل فنيا للتحاليل ولمست فيه الأمانة والجدية والاستقامة ، وقد حصل على رقم تليفونى واتصل بى فى البيت وأبلغنى بما حرص غيره من العاملين بالمعمل على اخفائه عنى وأبدى لى

استياءه من عدم الأمانة والتسيب وكثرت اتصالاته بى من حين لآخر ليبلغنى بما يهمنى أن أعرفه وعلمت منه أنه حاول الاستذكار من جديد للحصول على الثانوية العامة بمجموع يؤهله للانتساب إلى إحدى الكليات الجامعية ، وبعد فترة من التعامل اليومى معه وجدت نفسى أعرض عليه مساعدته فى مادتى الكيمياء والطبيعة وتكرر لقاؤنا فى مكتبى بالمستشفى حتى تأكدت من إعجابى بأخلاقياته لكن أبى انزعج من اتصاله بى فى البيت لطلب مساعدتى له فى دراسته . وقال لى أنه ليس من مستواى الثقافى أو الاجتماعى وطالبنى بعدم الاتصال به واحترمت رأى أبى . ولكن هذا الشاب طلب منى بعد ذلك كتابا فى الكيمياء كنت قد أشرت له عن وجوده لدى فقدمت له الكتاب وفوجئت به يصر على أن يهدينى كتابا فى الأدب اشتراه خصيصا ليكون ردا على هديتى له ، وأخذت منه الكتاب شاكرة فوجدت بين صفحاته رسالة قصيرة مهذبة يسألنى فيها هل هناك أمل ولو بنسبة واحد فى المليون فى أن أبادله مشاعره ذات يوم ويقول لى أنه إذا كان الجواب بالنفى فإنه لن يتصل بى مرة أخرى وسوف يترك العمل بالمستشفى ويبحث عن عمل آخر كما يرجونى أيضا فى هذه الحالة أن أعفيه من اتصالى به حتى لا يتعلق بحبال الأمل الواهية إلى مالا نهاية .
والمشكلة التى أواجهها الآن يا سيدى هى أننى أريده بالفعل ولكن بعد أن يصل إلى المستوى الذى لا أضطر معه إلى الدفاع عن ارتباطى به أو تبريره لأسرتى أو للآخرين وهذا المستوى يبدأ بنجاحه فى الثانوية العامة وانتسابه إلى إحدى الكليات الجامعية وهو على استعداد لأن يفعل أى شئ وكل شيء متاح أو مستحيل لإرضائى . كما أنه يحبنى حبا جارفا يخيفنى، وأخشى أنه إذا لم يوفق فى الحصول على الثانوية العامة أن تضيع فرصه معى مما سوف يسبب له بكل تأكيد أزمة نفسية شديدة . كما أنى إذا توقفت عن إعطائه الأمل فى إمكان الارتباط بى ذات يوم وعن الاتصال به فلسوف يترك عمله أو يهمل دراسته .. فماذا أفعل ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

أسوأ ما يفعله الإنسان هو أن يكرر مع الآخرين ما سبق أن بكى منه بمرارة حين ارتكبه البعض ضده من قبل !

ويبدو يا آنستى اننى مضطر الآن لان أقول لك « عنك » ما سبق ان قلته لك عن أستاذك الجامعى الذى استمتع بحبك له عـدة سنوات كـان خلالها يشدك إليـه بحبال الأمل الواهيـة كلما ارتخت أو بدا له ان مشاعـرك تجاهه قـد فترت أو ان اليأس منـه قـد بـدأ يتسرب إلى نفسك ، ولست اتهمك بانك تفعلين بهذا الشاب ما سبق أن فعلـه بك الأستاذ الجامعى عمدا أو عن وعى كامل بما تفعلين ، لكنى اتصور أن عقلك الباطـن هو الذى يدفعك بغير وعى غالبا إلى محاولـة تجربة هذا « الاحساس » الذى طالما ارتـوى منه أستاذك السابق معك فاشتقت إلى تذوقه ومعـرفة كنهه .. وهو إحساس « المحبوب » المسيطر الـذى يتفانى آخـر فى السعى لنيل حبـه وإرضائه بعد أن جـربت طويلا إحساس المحب الذليل ضعيف الإرادة مع من يحب .

ومن سوء حـظ هذا الشاب انـه قد صـادفك بعد اجتيـازك لهذه المحنة المؤلمة ، فأتاح ذلك لعقلك الباطن الفرصة لإجـراء هذ التجربة العكسية معه والتعـرف على ما يشعـر به الطـرف الآخر فيهـا .. فكانما تريـدين بغير ان تعرف بماذا كان يحس أستاذك السابق وانت تذبحين قرابين الحب بين يديه ولست اتهمك بسوء النية ولا بالرغبة فى إيلام هذا الشاب الطيب فى كل ذلك .

لكنى أقول لك فقط إنك تكـررين معه نفس التجربـة التى آلمتك وتركت بصماتها الغـائرة على شخصيتك وحيــاتك حتى تـركت عملـك ورسـالتك وانتقلت بهما إلى مجال جديد . كما أقول لك ايضا انك لا تحملين لهذا الشاب من المشاعر العاطفية جزءا من المليون مما يحمله لك هو من احاسيس نقية وجارفة حتى ولو حملت له بعض الإعجاب بأخلاقياته .

لهذا كلـه فإن فرصتك معـه ضعيفة للغـاية ورهينـة بعوامل وظـروف تعليمية واجتماعية ليست تحت سيطرتك ولا يتسع العمـر لتداركها بعد ان بلغت الثلاثين من عمرك ، ولو كنت قد استشعـرت من رسالتك حبا صادقا حقيقيـا لهذا الشاب لنصحتك بان تـرفعى من مستواه الثقـافى والاجتماعى وتكملى معه المشـوار الطويل رغم مـا يكتنف ذلك من صعوبـات وتعقيدات اجتماعية انت فى غنى عنهـا ، لكنى للاسف لم استشعر فى حديثك عنـه هذا « الحب البانى » الـذى يبنى الطرف الآخر ويرتفع بـه إلى اقصى ما تسمح به قدراته وملكاته من درجـات ، وإنما المس فيها فقط إعجابـا بشخصيته

لا يكفى وحده لتجـاوز ما بينكما من تفاوت ثقـافى واجتماعى كما المس فيه ايضا شيئا من التعـويض النفسى الذى تستشعرينه وتستمـدينه من حب هذا الشاب الجارف الذى أعاد لك بعض اعتبارك وثقتك بنفسك واحساسك المفقود بـالجدارة ، وهذان العاملان لا يكفيـان وحدهما لبناء حيـاة سعيدة وواعدة بالأمان والاستقرار على المدى الطويل يا آنستى .

لهذا فإننى انصحك بأن تطلقى سراح هـذا الشاب من أسر حبـه لك قبل أن يتمادى فى الحلم والأمل فى نيلك والفوز بحبك ، وقبل أن تتضـاعف الآثار النفسية المؤلمة لانهيار البناء بعد أن يكون قد ارتفع وعلا وناطح السحاب ، ولن يكون ذلك صعبا عليك الآن إذا حرصت على احترام مشـاعر هذا الشاب وكرامته .. وتوقفت عن بث الأمل فى نفسه ولسوف يكون ذلك مؤلما وجارحا إذا تأخر كثيرا عن مـوعده أو إذا تم بطريقة قـاسية تؤلم المشاعـر أو تؤذى القلوب البريئة .. فلا تترددى أمام هذا ولا ذاك .. وشكرا .



٣٠
قصة حب
واقعية
آثار الحب

منذ فترة طويلة وأنا أفكر فى الكتابة إليك لأروى لك قصتى وأختتمها بنداء للآخرين للاستفادة من تجربتى ، فأنا سيدة فى السادسة والثلاثين من عمرى نشأت بمدينة ساحلية فى أسرة مكونة من أب موظف كبير وأم ربة بيت وشقيق وشقيقة . وحين بلغت مرحلة الصبا لفت جمالى الأنظار فبدأ الخطاب يطرقون باب أبى فخطبت لمهندس من أبناء المدينة عن طريق الصالون ، وفرحت بالدبلة الذهبية والهدايا ومجاملات خطيبى الذى بدا مبهورا بجمالى ، وفى هذه الفترة أعير أبى للعمل بالخارج وتوفيت والدتى عقب زواج شقيقتى الكبرى فعشت مع شقيقى وحدنا فى مسكن الأسرة ترعانا سيدة عجوز ويرجع الينا أبى فى الأجازات الصيفية وحصلت على الثانوية العامة بمجموع ضعيف فالتحقت بمعهد فوق المتوسط لمدة سنتين ، فما أن بدأت الدراسة حتى تغير خط حياتى فجأة .. فلقد تعرفت فى المعهد بزميل لى اقترب منى على الفور وأحسست تجاهه بضعف عجيب ، ولم يلبث أن صارحنى بحبه ورغبته فى الارتباط بى ففقدت كل مقاومة وغرقت فى حبه وتركزت كل آمالى فى الحياة فى الارتباط به ، وصممت على فسخ خطبتى للمهندس الذى فوجىء بجفائى له وبذل المستحيل ليعرف سر تحولى المفاجىء عنه حتى يئس منى ففسخ الخطبة وانصرف عنى حزينا ورجع أبى فى الاجازة الصيفية فتقدم له فارس أحلامى فلم يصمد لأى اختبار أمامه ، فالفتى صغير السن يكبرنى بعامين فقط . ولا يملك مالا يتزوج به .. ولا وظيفة له انتظارا لأداء الخدمة العسكرية فرفضه أبى بإصرار ومنعنى من الخروج والاتصال به وحان موعد رجوعه لعمله فخشى لو تركنى فى بيت الأسرة الا انقطع عن رؤيته ، فأبعدنى إلى بيت شقيقتى المتزوجة وشدد عليها أن تراقبنى وتمنعنى من كل اتصال بفتاى ، وسافر مطمئنا إلى ما فعل فلم يمض على سفره أسابيع حتى كنت أنا وفتاى قد حزمنا أمرنا على الزواج بغير علم أبى لنضعه أمام الأمر الواقع وفى اليوم المحدد تسللت من بيت شقيقتى إلى بيت شقيق فتاى الأكبر حيث تم عقد

القران ، ثم ركبنا القطار إلى القاهرة وأقمنا فى شقة مفروشة حقيرة حتى انتهت إجازته ورجع للوحدة العسكرية وخرجت أنا للعمل لأواجه الحياة فزوجى لا يعمل .. وما بقى معنا من نقود لا يصمد لأيام فبدأت العمل فى محل تجارى ثم تنقلت بين عدد كبير من الأعمال حتى أنهى زوجى تجنيده وعين عن طريق القوى العاملة بوظيفة حكومية صغيرة ، وأنجبت طفلى الأول ونحن نتشارب كؤوس الحب والعطف والحنان ، وأنا فى قمة السعادة رغم أننى قد أصبحت مقطوعة من شجرة بعد أن قاطعنى أبى بمجرد علمه بزواجى وانقطع عنى شقيقى وشقيقتى وكل أهلى ، ورغم الضيق المادى الشديد الذى كنا نعيش فيه واضطرارى أحيانا للعمل فى عملين صباحا ومساء كل يوم لكى أوفر مطالب الحياة ونسعى إلى الحصول على مسكن بالايجار .

ومضت السنوات بحلوها ومرها ، وأنجبت ولدا وبنتا . وفقد زوجى وظيفته الحكومية لعدم انتظامه فيها فواجهنا المستقبل بلا معاش ولا تأمينات ثم بدأ زوجى يعمل بالفنادق، لكنى لم أتوقف عن العمل لكى نستطيع الحصول على مسكن خاص بنا، فعملت فى صيدلية، وفى مكتب مأذون، بل وعملت أحيانا كتاجرة شنطة أشترى البضائع من بورسعيد وأبيعها للسيدات فى القاهرة حتى استطعنا بجهد مرير أن نحصل على سكن مستقر، وتصورت اننى قد بلغت أخيرا شاطىء الأمان.. فإذا بفارس أحلامى الذى بعت أبى وأسرتى من أجله يتكشف لى عن شخص آخر تماما، لاصلة له بالشاب الحنون الرقيق العاطفى الذى عرفته فى المعهد.

فلقد بدأ زوجى يسهر حتى الصباح ويتركنى وحيدة مع الطفلين.. ويبيت خارج البيت بالأيام.. ويشرب.. ويكذب.. ويعاملنى بعصبية شديدة عند العتاب، ولايطيق أن أعاتبه فى شىء.. أو أذكره بتضحياتى من أجله أو باننى لم يعد لى أهل سواه وأبى مازال على مقاطعته لى منذ سنوات ثم أصبح لايتورع عن إيذائى بالضرب المبرح عند كل شجار بيننا، حتى امتلأ جسمى بالكدمات والدوائر السوداء والزرقاء، وحتى ضربنى ذات مرة فى رأسى فأصابنى بفقدان مؤقت للذاكرة عانيت بسببه من النسيان والتوهان فترة طويلة، وإلى الحد الذى أصبحت فيه مشكلتى عند الخروج

للعمل هي كيف أخفي آثار الضرب الوحشي عن عيون الناس فارتدي النظارة السوداء من أكبر مقاس، وألف الإيشارب حول عنقي، وأضع الكريم والبودرة فوق البقع الزرقاء في يدي ووجهي.. وتسألني ولماذا تحملت كل ذلك.. وأجيبك ولمن ألجأ إذا لم أحتمله وأبي يقاطعني، وشقيقي وشقيقتي المتزوجان لايدريان عني شيئا ولاأريد إطلاعهما على شيء من أمري حتى لاأسمع الرد الوحيد المتوقع وهو أليس هذا من بعتنا من أجله؟!

فكانت النتيجة انني واصلت التحمل إلى النهاية.. وان كنت قد فقدت صبري مرة أو مرتين حين اشتد ايذاؤه لي فشكوته للشرطة، وقام الضابط بتسوية الأمر وديا وهدده بالإيذاء لو عاد لضربي.. وواصلت الحياة معه.. وتحملت كل شيء ماعدا خيانته لي وعبثه مع فتيات أخريات، إذ كلما لمست شيئا من ذلك أصابني الجنون أن يعرف أحد غيري - وأنا من بعت أهلي وعشيرتي كلهم من أجله - فيتجدد النزاع بيننا ويعود لاستعمال العنف الشديد معي..

ومنذ أسابيع تشاجرنا معا لنفس السبب فضربني بقسوة حتى عجزت عن النوم على ظهري من الآلام المبرحة، واعتزلته واكتفيت برعاية أطفالي وإعداد الطعام وشئون البيت، فإذا به يرجع للتحرش بي بعد ثلاثة أيام ويهم بالاعتداء عليّ فصحت فيه بلهجة مريرة أرجوه - من فضله وكرمه - ألا يضربني قبل أن يشفى جسمي من آثار الضرب السابق!! فخجل من نفسه وتراجع.. بل وحاول الاعتذار لي لكنني لم أعد اقبل منه اعتذارا.. لقد كرهت حياتي وكرهت كل شيء بل انني أشعر أحيانا بأنني أكره أولادي أنفسهم لأنهم السبب في احتمالي لكل ماحتملت حتى الآن، كما انني افكر كثيرا في طلب الطلاق وأعلم جيدا انه لن يمنحه لي إلا عن طريق المحكمة وأخشى مصيري ومصير أولادي لأنه في النهاية يتكفل بنفقات الأسرة والأولاد، ولايبخل عليهم.

وبسبب عدم احساسي بالأمان معه رجعت للعمل مرة أخرى، وأصبح كل همي هو أن أدخر أجري منه وأشتري به مصوغات ذهبية لأجد ماأواجه به المستقبل المجهول، أما أبي فقد صفح عني منذ أسابيع فقط وبعد ١٦ عاما من القطيعة وبدأ يحاول أن يعوضني عما عانيته من حرمان،

وصارحني بانه قد حفظ لي حقي في ماله كأخوتي لكنه لن يسلمه لي أبدا وهو على قيد الحياة حتى لايستولي عليه زوجي أو يبدده.

وهو لايعلم على أية حال شيئا عما أعانيه مع فارس أحلامي القديم من ضرب وهوان وخيانة.. واستهتار بمستقبل الأولاد فزوجي لايدخر لأولاده شيئا ويريد أن يشتري سيارة ليتفسح بها مع العابثات ويريد أن يركب تليفونا فوريا ببضعة آلاف من الجنيهات لكي يحرقن دمي كل يوم بالاتصال به وقد منعته بما استطعت من قوة من شراء السيارة وتركيب التليفون وهددته بالانتحار لو فعل فرضخ مؤقتا لإرادتي لكنه لم ييأس بعد.

وتسألني إذن لماذا أكتب إليك الآن.. فأقول لك لأن جاراتي يستدعينني كل حين لأحكي لبناتهن قصتي مع فارس الأحلام الحنون وخروجي على طاعة أهلي لكي أتزوجه وكؤوس المر التي تجرعتها معه طوال السنوات الماضية، حتى لايصدقن الشباب المخادع.. ولايخرجن على طاعة أهلهن، وقد أعدت رواية قصتي للمرة الألف منذ أيام في بيت إحدى جاراتي فخطرت لي فكرة أن أكتب إليك لكي تنشر رسالتي وتقرأها كل الفتيات واقول لهن فيها: لاتبعن آباءكن أبدا من أجل رجل بوهم الحب.. فليس في الوجود رجل واحد يستحق أن تبيع فتاة اباها وامها واخوتها وتهجرهم من أجله، أما الحب والرقة والحنان والأحلام الوردية.. والرجل الذي لاأطيق الحياة بدونه.. فكلها أكاذيب وأوهام تتبدد خلال ٣ أو ٤ سنوات على الأكثر بعد الزواج، فإذا واصلت الفتاة بعد ذلك حياتها مع زوجها الذي هجرت الأهل إليه فمن أجل أولادها.. ولكي لاتثير شماتة الأهل فيها.. ثم أخيرا لأنها أصبحت مرفوضة من الأهل فلمن تلجأ بعد أن هجرتهم وأنكروها.. أرجوك اكتب هذا الكلام على لساني بكل قوة بل إنه إذا استشارتك فتاة تريد أن تهجر أهلها لتتزوج بمن تحب كما فعلت أنا، فوفر عليك جهد النصح والإقناع والكلام الهادىء الحكيم لمن هم أحق بجهدك وتعبك منها واستدعني من بيتي على الفور لكي أسحبها من شعرها أمامك إلى أقرب حمام وأريها آثار الحب القديمة والحديثة على جسمي كله وعلى وجهي الذي اختفت منه ملامح الفتاة باهرة الجمال التي كانت.. وعلى مظهري

الذى أصبح كمظهر الشغالات، ولك علىّ بعد ذلك ألا ترجع إليك هذه الفتاة مرة أخرى أبدا، وشكرا لك إن فعلت ذلك.. واستدعيتنى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

مابجسمك ياسيدتى ليس من آثار الحب، وإنما من آثار الحمق والطيش والجنون. بل انى لاأتردد فى أن أقول لك أيضا أنه من آثار طبيعة النفس البشرية التى قد تميل أحيانا - إلا من عصم ربى - إلى الاجتراء على الآخرين إذا أمنت سوء العاقبة من جانبهم، وإذا لم يكن الأمر كذلك فى مثل حالتك، وفى الأحوال المشابهة فليفسر لى أحد لماذا نلتمس دائما أعذار العصبية والانفعالية لأنفسنا فى تهورنا على الأعزاء الذين نأمن ردود أفعالهم تجاهنا، ونعتصم فى نفس الوقت بضبط النفس مع الآخرين الذين لا نأمن ردود أفعالهم ضدنا، إذا تهورنا عليهم بالإيذاء البدنى، مع أننا قد نلقى منهم استفزازات أشد عشرات المرات مما قد نلقاه من الأعزاء الضعفاء، ومع أن الشخصية فى كلا الحالين واحدة، ولم تفقد بعد سمات عصبيتها ولا انفعاليتها فى التصرف؟

هل هناك تفسير آخر سوى أننا نعلم جيدا أننا لو استجبنا للطبيعة العدوانية الكامنة فى داخلنا تجاه الآخرين، فسوف يردون لنا الصاع صاعين بنفس الطريقة.. ونعلم جيدا أيضا أن أعزاءنا الذين نطلق عقال وحشيتنا العدوانية تجاههم لن يستطيعوا أن يردوا على الإيذاء البدنى بإيذاء مثله.؟

لا تفسير سوى ذلك مهما أجهد أهل الانفعالية والعدوانية مع الزوجات والأبناء أنفسهم فى البحث عن أى تفسير آخر؟

وظروفك ياسيدتى كانت ومازالت ظروفا مثالية للضعف والاستضعاف، فلقد قطعت كل جسورك بأبيك وأخوتك وأهلك جميعا، والتصقت بفتاك فارس الأحلام القديمة وبدلا من أن يكون ظهيرك فى الحياة بعد أن فقدت كل نصير أدمن الاجتراء عليك بالإيذاء الوحشى عند كل خلاف وهو آمن تماما من كل رد فعل عكسى، فلا أنت قادرة على أن تردى عليه العنف بالعنف ولا أنت قادرة على الاحتماء بأهلك وعشيرتك

واستنصارهم عليه ولا أنت قادرة على هجره وحرمانه من استقرار حياته وحياة أطفاله فيتحفظ ببعض الشىء فى عنفه معك.

وهذا هو درس تجربتك الحقيقى.. فالحب لا شأن له برضوض جسمك ولا بما تردت إليه أحوالك مع فتى الأحلام القديمة لأن الحب صنو الرحمة والعطف والرفق والحنان، لا صنو العنف والضرب والإيذاء وكسور الظهر وندوب الوجه، أما درس التجربة فهو أن أصل البلاء كله فى اجترائك على الخروج على طاعة أبيك وأنت فتاة دون العشرين من عمرها لتتزوجى فتى لم يبلغ الثانية والعشرين من العمر، ضاربة عرض الحائط بكل شىء وطاعنة قلب أبيك فى مقتل بلا رحمة وبغير أن تستنفدى معه كل الوسائل لنيل رضاه وتصبرى عليه حتى يعدل عن رأيه ولو صبرت عليه عاما أو عامين أو ثلاثة لنلت بغيتك ولما خسرت رضا أبيك لكنها آفة الطيش والتعجل وفقدان البصيرة، وإذا كان بعض الرجال الذين يتزوجون فتيات القلب بهذه الطريقة المعيبة قد يحفظون لزوجاتهم تضحياتهن الجسيمة من أجلهم ويحيطون بهن طوال العمر بالحب والرعاية .. ويسعون بكل جهد لاعادة روابطهن بأسرهن، فإن الكثرة منهم للأسف قد يجدون فى ظروف زوجاتهم حين يفتر الحب أو ينهزم أمام صعوبات الحياة وتحولات المشاعر، ما يغريهم بألا يتحفظوا معهن فى فعل أو تصرف وهم آمنون تماما إلى أن البحر وراءهن ولا سبيل أمامهن سوى الاحتمال والصبر على ما جررن على أنفسهن من وبال، ولا عجب فى ذلك فقديما قال الإمام أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه «ستحدث للناس أقضية بقدر ما يحدثون من معاص» وأية معصية أشد من خروجك على طاعة أبيك بهذه الخفة والطيش وأية أقضية أخف وطأة من معصيتك من حالك مع زوجك المحبوب الآن.

أما الشخص الآخر الذى تكشف لك فيه بعد معاشرتك له فليس أمرا خارقا للمألوف، لأن شخصية ابن العشرين أو الحادى والعشرين التى استهوتك وتصورت أنك قد عرفت كل قسماتها ليست غالبا هى الشخصية النهائية للانسان التى ترافقه بقية العمر، وانما هى الشخصية الملائمة وقتها لحداثة سنه وقلة تجاربه واختباراته فى الحياة وهى دائما قابلة للتحولات بعد اكتساب النضج والخبرة والتفاعل مع خبرات الحياة السلبية

أو الايجابية لهذا فمن مألوف الحياة فى دولة كالولايات المتحدة مثلا حيث ينتشر إلى حد كبير زواج المراهقين، أن يتهدم هذا الزواج بعد ثلاث أو أربع سنوات على الأكثر ويعيش المطلقون الصغار رجالا وفتيات بضع سنوات بلا زواج، ثم يتزوجون زواجا ثانيا وهم فى أعقاب الثلاثين أو بعدها فيكون هذا الزواج هو الزواج الحقيقى الذى يستمر حتى نهاية الرحلة. أما الزواج الأول فهو زواج العاطفة الهوجاء التى لامكان لأحكام العقل فيه، فإذا كان زواجك قد استمر فلأننا والحمد لله لانجترىء على الانفصال طلبا للسعادة الشخصية وحدها دون النظر إلى مسئوليتنا عن الأطفال الذين جئنا بهم إلى الحياة برغبتنا نحن وليس بإرادتهم، وهذا هو تفسير هذا الإحساس الخطير الذى تشعرين به من حين لآخر تجاه أطفالك إذ تعتبرينهم المبرر الوحيد لاستمرار الزواج وتحمل الإيذاء البدنى والمعاناة النفسية وهو إحساس غير ناضج ولا سليم على أية حال لأنك وحدك المسئولة عن اختيارك.

هذه هى رسـالتى الثانية لك وأرجـو ألا «تكرهها» كما كـرهت رسالتى الأولى ورفضت الـرد عليها.. وقبل أن استطـرد فى رسالتى أذكـرك بوقـائع الرسالة الأولى فقد رويت لك فيهـا اننى منذ سبع سنوات تعرفت على سيدة أجنبية ودعـوتها للإقـامة مع أسرتى فى القـاهرة لمدة أسبـوعين على أن نرد إليها الـزيارة فى بلـدها ونقيم فى بيتهـا. فيما بعد، وبـالفعل جـاءت السيدة الأجنبية ومعها أطفالها فى موعد الزيارة واستقبلتهم فى المطار لكنى بدلا من أن أصطحبهم إلى بيت الأسرة، كما كـان الاتفاق فقـد توجهت بهم إلى شقـة مفروشة استـأجرتها لمدة أسبوعين مدعيا للضيفـة الأجنبية أن أسرتى على سفر خـارج القاهرة، وخـلال زيارة السيـدة للقاهرة وفيما بين جـولاتنا فى منطقة الأهـرام والمتحف وخان الخليلى حكت لى عن نفسهـا وشكت لى كثيرا من زوجها وحدث بيننـا مالا تحمد عقباه، وانتهت الـزيارة ورجعت السيدة إلى بلـدهـا فلـم يمض شهـران حتى كتبت لى أنها حـامـل فاسقط فى يـدى ولم أدر ماذا أصنع، وبعـد شهور أخـرى أبلغتنى أنها قد وضعت مـولودا ونسبتـه إلىّ وأرسلت إلى شهـادة ميـلاده، واستشرت فى ذلك بعض رجـال الدين فكـان منهم من حرم نسبة الطفل إلىّ ومنهم من قـال لى انه من لحمى ودمى ودعـانى إلى التوبـة والاستغفار ثم الـزواج من هذه السيـدة زواجا شرعيا بعـد أن طلقت من زوجها، وبالفعـل فقد بدأت أعـد نفسى للسفر إلى البلـد الذى تقيم فيـه والزواج منهـا والعمل هناك، لكن قـد واجهتنى بعض الصعوبات، وجاءتنى خلال ذلك فرصة للعمل فى دولة عربية فسافرت إليها وكتبت للسيـدة الأجنبية معتـذرا عن عـدم اللحـاق بها وواعدا بألا يطـول غيابى عنهـا أكثر من عام واحـد أجمع خلاله بعض المال قبل السفـر إليها. وبـدلا من أن أركز جهـدى على ذلك فعـلا إذا بى أتعـرف على فتاة مصريـة وأتقدم لخطبتها بعد تعارف سريع بين العائلتين فى القاهرة وعن هذا التطور فى حياتى كتبت لـك رسالتى الأولى وسألتك عما تشير علىَّ به فى حيـاتى هل أمضى فى الخطبـة والزواج من هـذه الفتاة أم أفى بـوعدى للسيـدة الأجنبية

وأسـافر إليهـا وأتزوجهـا، وتـرقبت ردك على صفحة بـريد الجمعـة لكنك فيما يبدو كرهت رسالتى وأحسست أننى شاب فاسد ولايرجى له صلاح، فلم تعن بالـرد على تساؤلى فكان أن تزوجـت الفتاة التى خطبتها وسافـرنا للدولـة العربيـة وأنجبنا مـولودا جميـلا، ونظرا لأن ارتبـاطى بها قـد جاء سريعا وفى أجـواء لاداعى لشرحها، فلم أشعـر يوما اننـى أحب زوجتى هذه مع أنها طيبة جدا، وقد رجعنا معـا هذا الصيف من الدولة التى أعمل بها فى اجازة وبعد أيام من رجوعنا تذرعت لها بأن لدى موعدا لتسجيل الماجستير فى جامعـة بإحدى العـواصم الأوربية، وسـافرت إلى الدولـة التى تقيم بها السيدة الأجنبية ووجـدتها فى انتظارى با لمطار ومعهـا أطفالها وطفلى.. فإذا بى أجـده صـورة طبق الأصل من مـولـودى الآخـر من زوجتى المصريـة، وقضيت مع السيدة بضعة أيام وسافرت واعدا بقرب اللقاء مرة أخرى.

اننى اشعـر انك تريـد أن تمزق رسـالتى عنـد هذا الحد لكنى أرجـوك الصبر علىّ لأننى فى حاجة شديدة إلى مسـاعدتك، فانا الآن فى طريقى لإنهاء عملى فى الدولة العـربية مع نهاية هذا العـام ولا أحمل أى مشاعر من الحب لزوجتـى الطيبة، ولا أعلم كيف ستكـون حياتى إذا قـررت السفر للـدولة الأوربيـة والزواج من أم الطفل والاستقـرار هناك، ومـا يشغلنى حقا هـو مصير طفلى من زوجتى الحالية فى حالة الطلاق، لهذا فإنى أرجوك أن تشير علىّ بما تـراه الأصلح والأفضل لى وبأن تجيبنى عن السؤال الـذى يشغلنى وهو هل اعتراف ببنوة طفل السيدة الأجنبية حلال أم حرام؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

اما اننى قـد كرهت رسـالتك الأولى وعـزفت عن الرد عليهـا فهذا صحيح تمامـا، وأما اننى كـدت أمزق رسـالتك الثانيـة هذه ضيقـا بها وبما فعلت بنفسك وبحيـاتك، فهـذا صحيح أيضا، فإذا كنت قـد عـدلت عن رغبتى فى الاهتمام بها وقررت نشرهـا، فليس - وعفوا لذلك - عن تعاطف معك وإنما عن رغبة فى أن يتعلم غيرك من الشباب درس تجربتهـا الذى يذكرنى بمطلع تلك القصيدة الأمريكية التى تقول:

متعة الحب لحظة
شجن الحب يدوم إلى الأبد!

ولكي يعرفوا لأقدامهم قبل الخطو موضعها، حتى لا يتورطوا فى سلوك لا أخلاقى متعته باللحظات، وأشجانه وهمومه قد تصاحبهم بقية العمر!

فها أنت تواجه أو تعانى من «شجن» ذلك الحب اللحظى الذى ستستمر فى حياتك بذيوله وتبعاته ما بقى هذا الطفل على قيد الحياة.. وما بقيت أنت.

وعلى أية حال فإننى أقول لك أنك قد أخطأت بسلوكك غير الملتزم مع هذه السيدة الأجنبية وأخطأت مرة أخرى بزواجك المتسرع المتعجل قبل اختبار المشاعر والتأكد منها وكأنما كنت تهرب به من مواجهة مشكلتك الأساسية، وأخطأت مرة ثالثة بالسفر إلى السيدة الأجنبية وتجديد صلتك بها وإحياء وعودك الكاذبة لها، فلا تكرر الخطأ.. ولا تضاعفه بطلاق زوجتك الطيبة وتشريد طفلك منها، إذ لا ذنب له ولا جريرة فى تعجلك الزواج من أمه.. ولا فى حكاية مشاعر الحب هذه التى لا تشعر بها تجاهها.. وكن رجلا يتحمل تبعات تصرفاته وأفعاله بأمانة كما يفعل الشرفاء الذين لا يسمحون بأن يدفع غيرهم ثمن أخطائهم. وصارح السيدة الأجنبية بأنك لا تستطيع الهجرة اليها والاقامة معها.. لأنك لا تستطيع ذلك فعلا ولا ترغب فيه ولا تأمن لحياتك مع مثل هذه السيدة لكنك تخدع نفسك بالأمل فيها، وأعلن لها استعدادك للاعتراف ببنوة طفلك منها ولو تطلب ذلك منك أن تعقد قرانك عليها لفترة ثم تطلقها مع انه لا يتطلب ذلك ومع انى أشك فى قبولها عقد قرانك عليها لمجرد تصحيح الأوضاع حيث لا يعنيها هذا الأمر كثيرا ولا تحتاج إليه فى مجتمعها.. وإنما الاعتراف هناك مسئولية أدبية وانسانية فقط والتفت إلى زوجتك وحاول اعادة اكتشافها من جديد ولابد انك سوف تجد لديها ما تحبها من أجله خاصة حين تصرف ذهنك نهائيا عن التردد بين مواصلة الرحلة معها وبين قطعها واللحاق بالسيدة الأجنبية التى لو سافرت اليها وتزوجتها لما ضمنت سعادتك معها ولما تيقنت من قدرتك أو حتى من قدرتها هى على استكمال رحلة الحياة معا.. فأنتما فى النهاية غريبان لم يكد أحدكما يعرف الآخر جيدا أو يحكم على مدى تقبله للحياة معه. أما نسبة ابنك إليك فلا شىء فيها من الناحية الدينية لأنه ابنك حقا وصدقا بغض النظر عن الظروف الأخرى وهو ما يعرف بالاستلحاق أى أن تلحق باسمك ونسبك

من اعترفت ببنوته الصحيحة، واعترافك ببنوته من الرجولة وتحمل المسئولية عن أخطائك، اما ذروة الأمانة حقا فهو أن تصارح أمه الأجنبية بانك غير قادر على الوفاء لها بوعدك بالهجرة اليها والاقامة معها.. وصدقنى انها لن تصدم فيك كثيرا لانها اكثر واقعية مما تظن.. ولأنها قادرة على رعاية نفسها، وقد كانت تستطيع لو أرادت أن تتخلص من الجنين لكنها لم تفعل لأنها أرادته وتستطيع رعايته وأطفالها دون معاونة منك. اما الشرف فيقضى أن تمهد الجو من الآن مع زوجتك لابلاغها تدريجيا بقصة ذلك الطفل لكيلا تفاجأ به يطرق عليها بابها بعد بضع سنوات باحثا عن أبيه أو راغبا فى التعرف عليه وعلى اخوته، وسوف يحدث هذا بالتأكيد بعد سنوات لن تطول. فحاول أن تمهد لهذا الأمر من الآن.. وسوف تتفهم زوجتك الوضع وستعينك عليه وحاول أيضا أن تكفر عما فعلت بالجدية والالتزام الخلقى والدينى فى حياتك.. والوفاء لزوجتك ولطفلك منها وحبذا لو استطعت أن تؤدى إلى طفلك الآخر من الأجنبية بعض الحقوق المادية أو حتى أن تقدم له بعض الهدايا والتذكارات فى المناسبات المختلفة.. ويكفى هذا القدر الآن.. وشكرا.



قلب العاصفة



نشأت فى أسرة صغيرة بين أب لا يعرف إلا إصدار الأوامر بسبب نشأته العسكرية وحتى بعد أن تقاعد وعمل بالأعمال الحرة منذ سنوات طويلة .. وأم لا حول لها ولا قوة وشقيقين يكبراننى بعدة أعوام .. ورغم ان حياتنا كانت ميسورة مادياً إلا أنها كانت جافة من الناحية العاطفية فليس بيننا وبين أبينا سوى علاقة تلقى الأوامر والالتزام بتنفيذها حرفياً وإلا فالويل لنا جميعاً .

وفى هذا الجو العائلى الصارم حصلت على الثانوية العامة ، ورشحنى مجموعى للالتحاق بكلية التجارة بجامعة الاسكندرية .. وطرت فرحاً حين وافق أبى على أن أسافر إليها لأقيم بها مع جدى إلى أن ينجح فى نقلى لكلية التجارة بجامعة القاهرة فى العام الدراسى التالى .

وسعد جدى بذلك كثيراً نظراً لوحدته بعد وفاة جدتى وسافرت إلى هناك وبدأت حياتى الجامعية الجديدة محمّلة باوامر أبى وتعليماته الصارمة وكان أهمها هو عدم الاختلاط بالطلبة وعدم الاختلاط بأى إنسان يقل مستواه الاجتماعى عن مستوانا .. وعدم التأخر خارج البيت عن ساعة معينة مهما كانت مواعيد الدراسة ، لكى يتصل بى تليفونياً من القاهرة ويتأكد من عودتى . والتزمت بكل هذه التعليمات حرفياً .. وبدأت أتردد على الكلية كل يوم وأعود إلى بيت جدى فأجد عنده كل ما حرمت منه طوال حياتى من الحنان والفهم والأبوة الحقيقية .

ومضى عامى الأول بسلام وظهرت نتيجة الامتحان ونجحت وهمّ أبى بأن ينقل أوراقى إلى جامعة القاهرة فتوسل إليه جدى بتحريض سرّى منى أن يدعنى أتم تعليمى الجامعى معه لأنه وحيد ويحتاج إلى صحبتى . وقبل أبى ذلك بعد تردد طويل .. وسعدت بذلك وحرصت فى نفس الوقت على ألا أبالغ فى إظهار سعادتى به حتى لا أستثير ضيق أبى .

فيصمم على نقلى .. وبدأت عامى الثانى سعيدة وفى بدايته أوصى جدى صديقاً له بأن يقوم ابنه الطالب بالسنة النهائية بكلية الطب بالمرور علىّ كل

صباح بسيارته الصغيرة المتهالكة ليصحبنى إلى الكلية حتى أتجنب مضايقات المواصلات .. وقام الشاب بهذه المهمة بترحيب ، فأصبح يصطحبنى إلى الكلية فى الصباح ، ويحاول أن ينهى دراسته فى موعد يتلاءم مع موعدى ليعيدنى إلى البيت وخلال رحلتىْ الصباح والمساء .. نمت بيننا عاطفة شريفة قوية وتعاهدنا على الزواج بعد انتهاء دراستى .

وتخرج فتاى قبلى بعامين .. ثم تخرجت أنا وانتهت اقامتى بالاسكندرية وعدت إلى القاهرة لأنتظر اليوم الموعود الذى سيجىء فيه مع أبيه وجدى ليطلبوا يدى من أبى .. وجاء بعد أيام إلى بيتنا واستقبلهم أبى بترحاب .. ثم بدأ جدى الحديث فإذا بأبى يرفض فتاى بلا تردد وبكلمات قاسية تشعره بالعجز والهوان وضآلة الشأن ، مؤكدا له أنه لا يجد فيه المواصفات التى يريدها فى زوج ابنته وأنه لا يحق له أن يطمح فى الزواج منى لأن امكانياته لا تؤهله لذلك .. ثم انهى حديثه بجفاء شديد كأنه يطرد الجميع .. وصُدم الشاب وأبوه صدمة مذهلة ليس للرفض فى حد ذاته وإنما لهذه اللهجة المهينة .. وأحس جدى بالحرج الشديد أمام صديقه ، وطالب أبى بالتروى قليلاً واستشارة صاحبة الشأن فى الأمر فأصر أبى على موقفه .. ولم يلن حتى بعد أن صارحه جدى بأن « البنت والولد » يحبان بعضهما البعض منذ ٣ سنوات ومتعاهدان على الزواج !

وغادر جدى بيتنا حزيناً مع صديقه وانصرف فتاى والعرق يتصبب منه .. وكنت قد سمعت كل الحوار عن قرب فأسرعت الحق بفتاى على السلم لأطالبه بالا ييأس .. وقلت له إنى رشيدة وأستطيع إذا يئسنا فى النهاية أن أتزوج بغير موافقة أبى لكنه ازداد حزنا .. وطالبنى بالاهتمام بنفسى ثم ودعنى قائلاً : «لا إله إلا الله » ..

وانصرف الضيوف مهزومين وعاد جدى إلى الاسكندرية مكتئبا ، ورفض أن يقضى معنا عدة أيام .. وسعى أبى بعدها لإلحاقى بالعمل بإحدى الشركات الاستثمارية بالقاهرة وعينت بوظيفة مناسبة وتمنيت أن يشغلنى العمل عن حلمى القديم فوجدتنى أزداد استغراقا فيه .. ومضى عامان طويلان لم أتوقف خلالهما عن الأمل فى أن ينجح جدى فى إقناع أبى بالتنازل عن موقفه ، لكنى يئست من ذلك تماما حين توفى جدى وودعته

باكية حنانه وعطفه . وبعد وفاته بشهور تقدم لى شاب مرموق وجد فيه أبى كل ما يطلبه فى زوج ابنته من أسرة .. وثراء .. وصلات اجتماعية واسعة فوافق عليه وتحمس له واقنعنى به وشاركته فى ذلك أمى وشقيقاى . والتقيت به من باب الرغبة فى تغيير حياتى ووجدته جذاباً ومهذباً ، ورغبت فى ألا أخدعه فحكيت له قصتى كاملة .. فقال لى انه يعتبر ذلك دليلا على اخلاصى وأن الزمن سوف يخلق بيننا من الروابط ما ينسينى هذه التجربة بكل آثارها.. وحاول جاهدا أن يشغلنى عن ذكرياتى .. واستجبت لمحاولاته باخلاص وشغلت معه بالاعداد للزواج .. وتم الزفاف بالشروط التى رآها أبى لائقة بمركزه وثروته .. واقيم الحفل فى فندق كبير توافد عليه رجال الأعمال وخصصت فيه مائدة رئيسية لضيوف الشرف من المسئولين الذين تُنشر صورهم فى الجرائد ، ووقف فخورا بتشريفهم الحفل وتزوجت .. وبدأت حياتى وكلى رغبة فى السعادة وبدء صفحة جديدة فى حياتى ، وعشت شهورا أحاول استشعار السعادة وأبذل جهدا مخلصاً لإسعاد زوجى .. ورفضت أن أنجب قبل أن يستقر بنيان حياتى الزوجية .. ومضى عام من زواجى لم أختلف فيه يوما مع زوجى .. ولم نتشاجر ورغم ذلك فقد فاتحنى زوجى بعد أيام من مرور العام الأول بانه يحس بأن قلبى ليس معه لهذا فهو يرى من الأفضل أن ننفصل صديقين كما بدأنا حياتنا صديقين ووافقته على ذلك وأكدت له أن هذا هو نفس احساسى .. فتم طلاقى بهدوء وعدت إلى بيت أبى مجللة بالفشل وأبى ينظر إلىّ شذراً !

وبعد عام آخر قررت الشركة التى أعمل بها نقل عدد من موظفيها ذوى الخبرة إلى فرع الاسكندرية لبدء نشاط جديد فيه .. فتقدمت سراً بطلب لنقلى إليه .. وفوجىء أبى بصدور قرار النقل وأراد أن يتدخل لإيقافه ، لكن أمى نجحت ربما للمرة الأولى فى حياتها فى إثنائه عن رأى له .. وتوسلت إليه أن يدعنى أسافر إلى هناك لعلى أنسى فشلى فى زواجى ، مؤكدة له انها سترسل معى سيدة للإقامة معى ولحراستى ! ووافق أبى مضطرا وعدت إلى المدينة التى غادرتها منذ ٥ سنوات فتاة تحلم بالسعادة والهناء مع من تحب .. وعدت اليها مطلقة فاشلة تحطمت أحلامها .. وبدأت حياتى العملية بها بجدية .. ولم أسع للاتصال بفتاى السابق .. ومع ذلك فلقد

كنت أحس احساساً غامضاً بانى سالتقى به من جديد !

ومضت حياتى بين الشركة والبيت .. وانتظار تليفون « التمام » المسائى من أبى كل يوم ، إلى أن وجدته أمامى فجأة ذات يوم ينظر إلىّ صامتاً .. وأنظر إليه بكل لهفة الدنيا وتحدثنا فاخبرنى أنه يعرف بوجودى بالمدينة منذ شهور وأنه لم يحاول الاتصال بى لأنه تزوج عقب زواجى بشهرين من ابنة أستاذه بالكلية لكنه فشل فى المقاومة ، فجاء إلىّ .. ووجدت نفسى أروى له كل ما مر بحياتى منذ لحظة وداعه لى على سلم البيت بالقاهرة .

وتكرر لقاؤنا لعدة أسابيع فروى لى أنه يعمل مع صهره فى مستشفاه وفى عيادته الخاصة .. وأنه حاول جاهدا أن يسعد زوجته لكنها لا تكف عن تذكيره كل يوم بانه لولا أبوها لكان الآن مجرد طبيب بإحدى الوحدات الريفية وأنه بفضله الآن طبيب فى مستشفى وعيادة ويستعد للحصول على الماجستير !

ولم يطل ترددنا بعد ذلك .. فقد أمسكنى ذات يوم من يدى واصطحبنى إلى مكتب مأذون وعقدنا قراننا وعدت إلى البيت زوجة له وليكن ما يكون .. وكان أول ما فعلت هو أن اتصلت بأمى وأبلغتها بالخبر ، وتركت لها مهمة إبلاغ أبى .. ولم يتأخر الانفجار عن موعده فقد جاء صوته فى التليفون بعد قليل يُرعد ويعلننى انه لن يعترف بهذا الزواج ابدا وأنه سوف يحرمنى من كل شىء .. فلم ازد على أن قلت له من بين دموعى : قل لى مبروك يا أبى لقد تزوجت من الإنسان الوحيد الذى أردته ولم ارتكب جرماً ولم افعل شيئا يغضب ربى .. وقد جربت حظى مع غيره وفشلت .. ولكن بلا جدوى .. ومثلما يحدث فى ليالى شتاء الاسكندرية حين يرعد الرعد ثم تتلوه العواصف والبروق .. اكفهرت سماؤنا فجأة وعصفت الرياح .. فقد اتصل أبى بصهر زوجى وأبلغه بزواج زوج ابنته منى واستدعى الأستاذ الجامعى زوجى وحاول أن يعالج الأمر فى البداية بالحكمة فابلغه بانه يفهم دوافعه لهذا الزواج ، لكنه يرى أنه فى النهاية مجرد نزوة ولهذا فهو يطلب منه أن يطلقنى بهدوء قبل أن تدمر هذه النزوة حياته العائلية والعملية ومستقبله العلمى .. وحاول زوجى أن يدافع عن نفسه .. ثم توقف حين بدأ صهره يهدده بأنه سوف يفقد عمله فى

المستشفى وفى العيادة وسيفقد عونه له فى الحصول على الماجستير .. وبأنه لن يجد عملاً له فى هذه المدينة مادام على قيد الحياة ، وفهم زوجى الموقف جيدا قال لصهره أنه سيخلى على الفور مكتبه فى المستشفى وفى العيادة وسوف ينسى موضوع الماجستير وسوف ينسحب بهدوء معترفا له بفضله .. أما عن العمل فإن الأرزاق بيد الله وحده .

وذهب زوجى إلى المستشفى والعيادة وأخذ متعلقاته الشخصية ثم طلق ابنة أستاذه وجاء إلىّ .. فهونت عليه الأمر وأكدت له أن المستقبل ممتد أمامه .. وأن راتبى يكفينا نحن الاثنين إلى أن يجد عملاً آخر .. وعشنا حياتنا رغم ذلك سعداء لكن العاصفة امتدت لتجتاحنى أنا أيضا .. فقد اتصل صهر زوجى بمدير الفرع الذى أعمل به وأبلغه أنى أسىء معاملة العملاء مما يهدد الفرع بفقدهم .. وبأنى كنت على علاقة بزوجى قبل الزواج ولم أتزوجه إلا بعد أن افتضح أمرنا وأن ذلك يسىء إلى مركز الشركة .. الخ ، ففوجئت بإيقافى عن العمل والتحقيق معى .. ولم أهتز كثيراً لأنى واثقة من براءتى .. لكنى اكتشفت أن نفوذ صهر زوجى أكبر مما تصورنا .. فالتحقيق الذى كان من الممكن أن ينتهى فى أيام طال بفعل فاعل لكى يستمر مفتوحا إلى ما لا نهاية ويسىء إلى سمعتى ومركزى .. ولم يترك زوجى مكانا فى الثغر لم يذهب إليه باحثا عن عمل ، وكلما ذهب إلى مستشفى خاص أو إلى عيادة تلقاه المسئول بالترحاب فى البداية وطلب بياناته ووعده بالرد خلال أيام .. ثم تمر الأسابيع ولا يتصل به أحد .. وأبى أغلق أبواب رحمته نهائيا فى وجهى فلا اتصال ولا سؤال ، وقد حرّم علىّ أمى وشقيقىّ الاتصال بى .. وكلما اتصلت أنا به تليفونيا وسمع صوتى وضع السماعة بهدوء رافضاً أن يستجيب إلى نداءاتى له بأن يسمعنى .. مجرد أن يسمعنى قبل أن يغلق « السكة » .

ومازلت أنا وزوجى نعيش على ما بقى من مدخراتنا لكن هذه ليست المشكلة .. وإنما أسألك ما جريمتنا ياسيدى لكى يقاطعنى أبى .. هكذا وبلا رحمة وما جريمتنا لكى يتعرض زوجى لكل هذه الحرب الشرسة فى رزقه وعمله ومستقبله العلمى وأتعرض أنا معه لنفس الحرب فى عملى ومستقبلى .

اننى رغم كل شىء أحب أبى .. ولا أريد منه شيئا ولا « أنظر » إلى

ما له ولا أنتظره ، لكنى أريد عطفه وحنانه واعترافه بى كابنة وزوجة لشاب شريف طيب يتفانى فى اسعادى . ويكفينا أننا نتنفس الحب والتفاهم والرضا ، وحين نلتقى بعد يوم طويل مفعم بالخيبة فى العثور على عمل لزوجى وبالمضايقات والهمسات التى أسمعها فى عملى الذى مازلت موقوفة عن ممارسته ، ننسى كل ما لاقيناه من أهوال فى يومنا ولا نتذكر إلا سعادتنا وحلمنا القديم الذى تحقق بعد كل هذه المعاناة .

فماذا يُغضب الآخرين منا فى ذلك ياسيدى .. وماذا نفعل لكى نعيش فى سلام ونمارس حقنا فى الحياة .. بلا حروب فى الرزق والمستقبل .. وبلا ضغوط نفسية من جانب أبى ؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لكل اختيار فى الحياة تبعاته التى نتحملها راضين بها لأنها جزء لا يتجزأ من هذا الاختيار .. فمادمنا قد اخترنا بملء ارادتنا حياتنا ونحن نعرف تماما ما سوف نؤديه من ضريبة لهذا الاختيار فليس من حقنا أن نشكو منها .. أو نستهولها .

وكما أن للشقاء ضحاياه .. فإن السعادة أيضاً قد يكون لها فى بعض الأحيان ضحايا هم هؤلاء الذين نختار نحن سعادتنا على حسابهم .. فإذا ما تحركوا ضدنا دفاعا عن أنفسهم أو ثاروا منا فليس علينا سوى أن نصبر ونحتسب ونلتمس لهم بعض العذر فيما يفعلون ثم نأمل بعد ذلك أن يداوى الزمن كل الجراح .. وأنتما الآن ياسيدتى فى قلب العاصفة وفى قمة هياجها .. وأفضل ما تفعلان هو أن يتشبث كل منكما بالآخر حتى لا تقتلعكما رياحها الهوجاء إلى أن تهدأ وتخمد بعد حين ، فلكل عاصفة مهما طالت نهاية .. ولكل حرب مهما كانت ضارية من يوم تضع فيه أوزارها ، وينصرف بعده كل إنسان إلى حياته الخاصة .. وكل أملى هو الا يكون لزوجك من زوجته الأولى أطفال يدفعون ثمن هذا الاختيار طوال العمر .. لكى تصفو لكما الحياة بلا مرارات .. أما ابوك فلا تيأسى من محاولة استرضائه إلى أن يرضى ذات يوم ولسوف يفعل لو كان ذا قلب حكيم بعد أن لمس بالتجربة المريرة كيف أشقاك برفضه المتعسف لفتاك من البداية ، وبإصراره على تزويجك وفقا لاعتباراته هو وبغير حساب للاعتبارات الخاصة بك أنت .. ولو أوتى من الحكمة شيئاً قليلاً لما وقف

دون أحلامك منذ البداية ، ولعرف أن من تختارينه ويختارك هو أنسب الأشخاص لمشاركتك رحلة الحياة ، مادامت معايير الاختيار السليمة متوافرة فيه ، ومادمنا قد رضينا خُلقه ودينه كما أمرنا بذلك الرسول الكريم .. ومن عجب أن بعض الآباء خاصة من ذوى الثراء يتجاهلون هذه الحقيقة مع أنها قديمة قدم التاريخ بل واقدم منه ايضا . ففى نشيد الإنشاد بالتوراة رفضت راعية الغنم سليمان الحكيم وتاجه وعرشه لأنها كانت تفضل عليه راعيا اختارها واختارته .. أما سليمان الحكيم فقد كرهته لأنه اختارها ولم تختره .. وأما راعى الغنم فقد تغزلت فيه فى نشيد الإنشاد غزلا يعجز خيال الشعراء عن تصوره .. وقالت عنه عبارتها الشهيرة « حبيبى مد يده من الكوة فأنَّت عليه أحشائى » فإذا أنَّت « أحشاء » الفتاة على فتى ترضى دينه وخُلقه وتتوافر فيه الحدود الدنيا من التكافؤ معها .. فلماذا نقف فى طريق سعادتها المشروعة معه ؟ ولماذا ندفعها إلى الزواج منه بغير وليِّها ـ وهو جائز بالمناسبة عند فقهاء الحنفية ـ وأولياؤها على قيد الحياة وأوْلى بشهود زواجها ومباركته ، فقولى كل ذلك لأبيك ياسيدتى .. ولسوف يرجع إلى نفسه ذات يوم .. وربما تَفكَّر فى دلالة ما حدث ورضى به تكفيراً له فى الدنيا عن خذلانه لأبيه الشيخ حين جاء يتشفع عنده فى خطبتك لابن صديقه فلم يرع له حقا .. وأحرجه أمام صديقه وابنه بهذه الطريقة الأليمة .

ولعله يعفو إذن عن خروجك على طاعته سداداً لدين أبيه هذا عنده .. ولعله عرف بذلك أن الحياة ديون .. وأنه قد جاء وقت سداد هذا الدين لأبيه ، لأن « من عقَّ أباه عقه ولده » كما جاء فى الحديث الشريف .. كما لعلك أنت أيضا تعرفين ذلك فلا تقصرى فى استرضائه إلى أن يعفو عن خروجك على طاعته . أما زوجك فليواصل الكفاح إلى أن يجد عملاً آخر ، وليعتصم بالصبر على ما يناله من أذى صهره وليتجنب استثارته مهما فعل .. فلقد آثر سعادته على حساب ابنته وعلى حساب أبيها أيضا وهو أستاذه وصاحب فضل عليه ، وليُؤد حقوق زوجته الأولى كاملة وبلا مماطلة وباقصى كرم تسمح له ظروفه .. وعليك أنت أيضا أن تساعديه فى ذلك .. لكى تندمل الجراح وتهدأ النفوس .. وتشرق عليكما السماء ذات يوم قريب صافية بلا غيوم ، إن شاء الله .

●● بعد ٣ شهور ●●
هدوء العاصفة !

لا اعرف هل تذكرنى أم لا ، اننى السيدة التى كتبت لك رسالة منذ أكثر من ٣ أشهر تحت عنوان « قلب العاصفة » وتفضلت بإبداء الرأى والمشورة فى قصتى علىّ بأن لكل اختيار فى الحياة تبعاته التى ينبغى أن نتحملها راضين بها وقلت لى اننا الآن فى قلب العاصفة وقمة هياجها وأن افضل ما نفعله هو أن يتشبث كل منا بالآخر لكيلا تقتلعه الرياح الهوجاء إلى ان تهدأ العاصفة ولابد ان تهدأ بعد حين وتمنيت الا يكون لزوجى أطفال من زوجته الأولى يدفعون ثمن اختيارنا لسعادتنا على حسابهم حتى تصفو لنا الحياة بلا مرارات وطالبتنى بالا أيأس من محاولة استرضاء ابى إلى أن يرضى ذات يوم، واليوم اكتب لك لأشكرك على نصائحك التى عملنا بها وشدت من ازرنا ولأطمئنك إلى أن زوجى لم ينجب من زوجته الأولى أطفالا والحمد لله ولأزف إليك بشريين سعيدتين فى حياتنا .. الأولى هى أنى حامل فى شهرى السادس وأن الطبيب قد أخبرنى اننى سأرزق بتوءم ان شاء الله ، والثانية انه بعد نشر الرسالة قراها طبيب فاضل يملك مستشفى فى الدولة التى يدرس بها شقيقاى وعرف منهما اننى شقيقتهما فابدى استعداده لان يوفر لزوجى عملا فى مستشفاه وأن يساعده فى دراسته العليا وبالفعل ارسلنا اوراق زوجى إليه .. وسوف يتسلم عمله خلال أيام بإذن الله لكنى لم اشأ أن اكتب إليك بهذه الأخبار السعيدة إلا قبل سفرنا من مصر بيومين خوفاً من أن يعرف صهر زوجى أو أبى بالخبر عند نشر الرسالة فيحاولان منعنا من السفر بطريقة أو بأخرى ، وقد تعلمنا مما تعرضنا له من أهوال خلال الشهور الماضية أن نتعلم الحذر ، وأن نفوذ صهرى أكبر مما كنا نتصور ، وحين يصل إليك خطابى هذا نكون قد حططنا الرحال فى بلاد الغربة غريبين فى بلاد غريبة ــ كما يقولون ـ لكن الحب يجمعنا .. والأمل يضىء قلوبنا بحياة هادئة سعيدة وقد قررنا أن نؤدى العمرة شكرا لله بعد ولادتى بإذن الله أما ابى ياسيدى فقد عملت بنصيحتك وحاولت بشتى الطرق كسب وده لكنه أصر على الا يعترف بزواجنا والا يسمع لى أو يفتح لى باب الرحمة وظل طوال الشهور

الماضية يضع سماعة التليفون بغير كلمة واحدة بمجرد أن يسمع صوتى ولا يرد على خطاباتى وتوسلاتى له بأنى لا أريد شيئاً سوى حبه ورضاه وهاأنذا أغادر مصر هاربةً منه ولا يدرى إلا الله متى نعود إليها لكن وكما قلت لى فى ردك يجب علىّ أن أتمسك بزوجى حتى لا يفقد كل منا الآخر بعد أن فقدنا من فقدنا ، وسوف أواصل الكتابة إليك من الخارج لأطمئنك على أخبارى .. وأطمئن منك أيضا على أخبار مصر وفى النهاية أجد نفسى عاجزة عن شكرك لكن لى عندك طلبا آخر هو أن توجه كلمة لأبى ليصفح عنى ولا يقطع ما بينى وبينه إلى الأبد فأنا ابنته مهما حدث وأحبه مهما فعل معى ولن أكره شيئا فى الحياة أكثر من أن يجىء اليوم الذى يسألنى فيه أطفالى عن جدهم فلا أدرى بماذا أجيبهم به ، وختاما لك سلامى وتحيتى .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

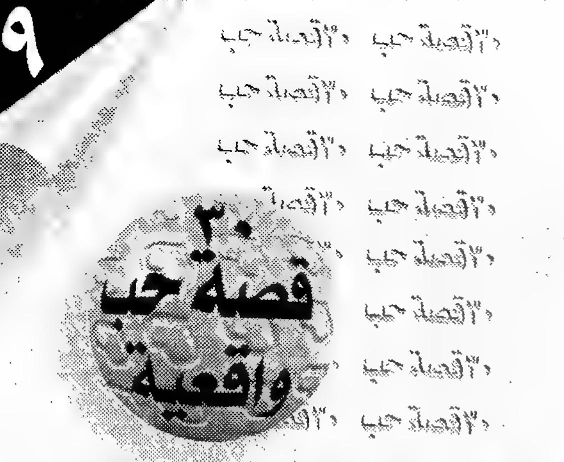
ما نحصل عليه بثمن رخيص ننظر إليه غالبا بدون اهتمام أما ما نحصل عليه بالثمن الغالى فهو وحده الذى يستحق البقاء والاهتمام والتكريم هكذا كتب ذات يوم الكاتب الانجليزى توماس بين .. وهى كلمة صادقة تنطبق بدقة على قصتك وعلى مواقف كثيرة فى الحياة ، ولقد كانت العواصف الهوجاء التى هبت عليكما جزءا من هذا الثمن الغالى الذى حصلتما به على سعادتكما لهذا فهى جديرة بالاهتمام والرعاية والاستمرار لكيلا تذهب معاناتكما بلا طائل ، واستمرار جفاء أبيك لك بعد كل ما جرى هو أيضا جزء من هذا الثمن الغالى .. وإن كان باهظاً وقاسياً ولا مبرر لاستمراره . لقد هدأت حدة العاصفة من حولكما .. لكنها لم تخمد نهائيا بعد ، لا تنسيا أبدا ياسيدتى هذا الثمن الغالى لكى تدركا دائما قيمة السعادة وأهمية استمرارها وحمايتها من صدأ الاعتياد وفتور الأيام .

أما أبوك فلا تكفى مرة أخرى عن محاولة استمالته واسترضائه ولا تفقدى الأمل فى ذلك مهما أبدى تجاهك من جفاء .. واكتبى إليه من الخارج فى كل مناسباته العائلية وفى الأعياد ، وابعثى إليه بصورة طفليك القادمين بإذن الله لعلها تحرك مشاعره وتذكره بما يحاول عبثا تجاهله وهو أنك ابنته وأنه أبوك مهما صنعت تصاريف الأيام ، ولا تتوقفى عن

الكتابة إليه ولو لم يرد على رسائلك لأنك إنما ترجين رضاء ربك قبل رضائه ولابد أن يلين قلبه ذات يوم . والكلمة الوحيدة التى أوجهها له بناء على رغبتك هى : ياسيدى لقد قضى الأمر وتزوجت ابنتك على سنة الله ورسوله وهى تنتظر الآن طفلين سيجيئان إلى الحياة بعد أسابيع . وهى لن تتخلى عن زوجها الذى اختارته وسارت معه على طريق الأشواك وتوثقت روابطها به بالحمل فماذا يجدى الآن إصرارك على قطيعتها سوى أن تحرم نفسك من ابنة تتحرق شوقاً إلى رضائك عنها ولا تطلب منك شيئاً سوى ذلك ؟ ياسيدى إن العدل والرحمة والحكمة تطالبك بألا تغلق أبواب قلبك فى وجه ابنتك .. وبألا تقطع ما بينك وبينها ، فلقد أطاعتك ابنتك فى زواجها الأول الذى تم بمعاييرك أنت فشقيتْ به ، ثم تزوجت على غير ارادتك بمن أرادته منذ البداية وأعيتها كل الحيل فى اقناعك به ، فسعدتْ معه وحملت منه ولم يفرق بينهما شىء .. وأقدمت على ذلك لأنها كانت تعرف جيدا أنها لن تحصل على موافقتك مهما فعلت .. وهى تعترف لك بأنها أخطأت فى ذلك لكن عذرها أنها لم تستطع أن تدع فرصة السعادة تفلت من بين يديها مرة أخرى .. فهل يستحق ذلك كل هذا العقاب القاسى ؟ وألا تحن إليها وتئن عليها أحشاؤك كما تحن هى إليك وتئن عليك أحشاؤها ؟ ياسيدى ان قيمة الإنسان الحقيقية تتحدد بمن يعنيهم أمرنا وبمن يمثل لهم رضاؤنا عنهم أو جفاؤنا لهم شيئا ذا قيمة فلماذا تريد أن تحرم نفسك من ابنة شابة سعيدة فى زواجها ومن ابن شاب جديد « زوجها » ويحمل لك مشاعر الاحترام والتهيب ويتحرق لنيل قبولك ورضاك ومن أحفاد صغار سوف يأتون من عالم الغيب فيمثلون امتدادك وتواصلك مع الحياة؟ هل حقا تريد أن تحرم نفسك من كل هذه « النعم » التى يتلهف غيرك على بعضها ؟

ومن تعاقب سوى نفسك إذا أصررت على أن تحرمها من كل ذلك ؟ ياسيدى ان الله يغفر الذنوب جميعا فكيف لا تتسع رحمتك لما فعلت ابنتك بعد كل ما جرى ؟

اننى انصحك بأن تترقب أول رسالة تصل إليك من ابنتك .. وتعلن صفحك عنها لكى يهدأ خاطرك وتصفو حياة ابنتك من الكدر .. وتهنأ قلوب أمها وشقيقيها وزوجها ويتضاعف احترامك انت فى عيون الجميع .
فهل تفعل ذلك حقا ؟!



سنوات الانتظار



أنا فتاة فى السادسة والعشرين من عمرى، نشأت فى أسرة بسيطة بين أب يعمل موظفا بإحدى الوزارات، وأم طيبة مغلوبة على أمرها، وثلاثة من الأشقاء.

ومنذ طفولتى أدركت أننا نعيش حياة غير هادئة، فأبى شديد العصبية ويثور لأتفه الأسباب، وكثيرا ما كان يضربنا قبل ذهابنا للمدرسة.

ومنذ طفولتى أدركت أيضا أنه يكافح لإعالتنا وتعليمنا وأنه يعمل عملا آخر فى المساء ليحاول تلبية مطالبنا.

ورغم ظروف حياتنا البسيطة فقد واصلنا جميعا دراستنا بتفوق، وبلا مشاكل، وكنت أنا بالذات متفوقة فى دراستى، وكان تفوقى يسعد أمى دائما، أما أبى فكان يعتبره شيئا طبيعيا، ومضت بنا رحلة الأيام.. وبدأ الخطاب يتقدمون لى وأنا مازلت طالبة بالمرحلة الثانوية، وحاولت أمى الطيبة أن تحثنى على قبول أحدهم لكى يكون لى بيت مستقل أنعم فيه بالراحة والسعادة والأمان، لكنى كنت أتطلع لأن أستكمل تعليمى العالى وأعمل.

وفى إحدى الاجازات سافرت لزيارة أقارب أمى فى بلدتهم، فالتقيت فى بيت خالتى بشاب تجمع ملامحه بين الرجولة والوسامة والوقار، وقدمته خالتى لى، فإذا به حفيدها الذى كنا نلعب معه ونحن أطفال صغار ثم فرقت بيننا الأيام فلم أعرفه حين رأيته ذلك اليوم، وتذكرت حين رأيته أننى قد سمعت الكثير عن التزامه الخلقى وطموحه لدراسة الطب، وكان حينذاك طالبا فى الثانوية العامة، وتكررت اللقاءات العائلية فوجدتنى شديدة الارتياح إليه، وفوجئت بخالتى الصغرى بعد أيام تفاتحنى برغبته فى خطبتى من أبى على أن يتم الزواج بعد بضع سنوات، حيث أن أباه ميسور الحال وقد أعد له شقة مستقلة وجاهزة ولا يمانع فى خطبته قبل أن ينهى دراسته، ووعدت خالتى بالتفكير فى الأمر، وبعد يومين صارحتها بميلى إليه وترحيبى به حين يصبح قادرا على التقدم لأبى، وسعد هو بموافقتى وتعاهدنا على الارتباط فى المستقبل، وتكررت المناسبات العائلية التى

تجمعنا، لكن حلم الارتباط اصطدم بعقبة خطيرة هى رسوبه فى الثانوية العامة ثلاثة أعوام متتالية، حتى اضطر لتغيير مساره التعليمى وانتقل إلى مدرسة فنية متوسطة، وشعرت أنا بما قد يعترض مشروع ارتباطنا من عقبات إذا التحقت بكلية الطب كما كنت أتمنى، فصارحته بعد حصولى على الثانوية العامة بأننى لن ألتحق بها حتى لايعترض أبى عليه بحجة أنه خريج مدرسة متوسطة وأنا مشروع طبيبة، لكنى فوجئت به يرفض ذلك بإصرار شديد ويهددنى بالاختفاء نهائيا من حياتى إذا أحجمت عن كتابة كلية الطب كأول رغبة لى فى استمارة مكتب التنسيق، وأحسست بجدية تهديده فاستجبت لرغبته والتحقت بكلية الطب، ونجح هو فى الحصول على دبلوم المدرسة الفنية، ونجحت أنا فى السنة الأولى بكليتى، وعرض على أن يتقدم لأبى، لكنى طالبته بالانتظار حتى يجد عملا حتى لايرفضه أبى، وفى هذه الأثناء تقدم لى خطيب عمل بدولة عربية لمدة ١٤ عاما وحاصل على دبلوم فنى ولاميزة له إلا أنه جاهز ماديا، ووجدت أبى لايمانع فى ارتباطى به فاضطررت لمصارحته برغبتى فى ابن خالتى، فإذا به يثور على ثورة عارمة ويعلن رفضه القاطع لهذا الارتباط.

لكن عمى الحبيب — رحمه الله — تدخل بيننا وشهد لفتاى بحسن الأخلاق ولأسرته بالطيبة، فاعترض أبى عليه بحجة أنه لايحمل سوى الدبلوم الفنى وبأننى سأصبح فى المستقبل طبيبة، واقترحت أمى حلا للإشكال أن يلتحق فتاى بالجامعة المفتوحة ليرضى به أبى، وقبل هو بهذا الحل على مضض وهو يتشكك فى قوة إرادة فتاى على الالتحاق بالجامعة والحصول على شهادتها، ولم أغضب من أبى لموقفه هذا واعتبرت تشدده فى مسألة الجامعة حرصا أبويا منه على تجنيبى مشاكل الفارق بينى وبين زوج المستقبل فى المستوى التعليمى، وكان الاتفاق هو أن يلتحق فتاى بالجامعة المفتوحة ويقضى بها عاما دراسيا ثم تتم الخطبة، وتوجه فتاى بالفعل للالتحاق بالجامعة فإذا به يكتشف أنه لايستطيع الالتحاق بها قبل مرور ٤ سنوات أخرى على حصوله على شهادته لأنها لاتقبل إلا الحاصلين على الثانوية وما يعادلها منذ ٥ سنوات على الأقل.

وتصورت أن فتاى سييأس منى وينصرف إلى طريق آخر مادام أبى يرفض بإصرار أن يوافق على خطبتى له إلا إذا التحق بالجامعة، لكن فتاى تمسك بى وطالبنى بالانتظار هذه السنوات الأربع حتى يحق له الالتحاق

بالجامعة ، واعتصمنا بالصبر والأمل .

وواصلت دراستى وانتظرت تحسن الأحوال، وفى خلال هذه السنوات الأربع توفى والد فتاى واستغرق دين البنك لمشروع فاشل كان قد بدأه معظم تركة الأب فساءت أحواله المادية، لكنه لم ييأس وظل يكافح ليجد فرصة عمل فى الخارج، حتى سافر بالفعل وعمل ليلا ونهارا فى إحدى الدول العربية لمدة عام ليجمع تكاليف الزواج ورسوم الجامعة المفتوحة، ثم رجع وتقدم لاختباراتها والتحق بها، وبقى أن أعطيه الإشارة الخضراء لكى يتقدم لخطبتى، وفاتحت أبى فى الأمر فما أن علم بأنه قد التحق بالجامعة حتى ثار على ثورته الكبرى واعتبر رغبتى فى الارتباط بهذا الشاب تحديا له، وأعلن لى رفضه النهائى لهذا الشاب حتى ولو حصل على سبع شهادات جامعية !

لماذا يا أبى ؟ بكيت أمامه وتوسلت إليه.. وناقشته.. وسألته لماذا يريد أن يحرمنى ممن اختاره قلبى وتحمل الصعاب والأهوال، كل هذه السنوات لكى يجتمع شملنا معا؟، فلم يقدم لى جوابا سوى أننى قد اخترته بإرادتى وأنه ليس «بصمجيا» حتى يبصم على اختيارى، وإنما هو رجل وأب مسئول وله شخصيته وإرادته المستقلة وسوف يختار لى من يراه مناسبا ؟

وأبكى من جديد وأقول له اننى قد انتظرت إلى جوارك أربع سنوات كاملة حتى تحقق الشرط الذى اشترطه على فتاى أفلا تكفى أربع سنوات يا أبى ؟! فلا يجيبنى إجابة شافية .

اننى يا سيدى لا أريد أن أغضب أبى ولا أسمح لنفسى أن أخرج على طاعته مهما حدث وأقول لنفسى دائما يكفيه أنه أنجبنى وأطعمنى وسقانى وأنفق علىّ وتكفل بتعليمى حتى أصبحت طالبة بالسنة النهائية بكلية الطب.. ولايمكن أن أتزوج بغير رضاه ومباركته، ولقد توفى عمى الحبيب منذ شهرين ولو كان على قيد الحياة لدفع عنى ما أواجهه الآن.. فماذا أفعل ياسيدى لكى يرضى أبى عن اختيارى لشريك حياتى ويجمع بينى وبينه فى الحلال ؟

اننى أبكى له كل يوم وأتوسل إليه وهو لايغير رأيه ولا يرق لى، ولقد قرأت لك مرارا أنك لاتنصح الأبناء بأن يخرجوا على طاعة أبويهم ليتزوجوا ممن اختاروا إلا إذا استنفدوا كل وسائلهم لاسترضاء الأبوين ونيل موافقتهما.. وإلا إذا كان تعسف الآباء واضحا وضوح الشمس ولاسند له

من شرع ولادين، وإلا إذا أعيتهم كل الحيل معهم وأنا يا سيدى أتساءل أليست سبع سنوات من الارتباط العفيف الشريف كافية للتأكد من أن اختيارى لشريك حياتى هو الاختيار النهائى بالنسبة لى، وهل من العدل أن أضحى بمن ينتظرنى ويتمسك بى منذ سبع سنوات ومن جاهد جهاد الأبطال ليحسن ظروفه ويلتحق بالجامعة من أجلى.. ومن هو مستعد لأن يفعل أى شىء وكل شىء لكى يجتمع شملنا ؟

اننى أدعو ربى كل يوم وأقول «اللهم أغننا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عمن سواك، واجمع بيننا فى الحلال واسعدنا بحياتنا حتى يتعجب لنا خلقك أجمعون» لكن أبى يضعنى أمام خيارين قاسيين جدا، هما أن أرفض هذا الشاب، أو أن أذهب إليه وأتزوجه وأقيم فى بيته ولن يشهد لى زواجا ولن يدخل لى بيتا .

فهل يرضيك هذا يا سيدى ؟ لقد اتفقنا وبعد أن أعيتنى كل الحيل على أن نحتكم إليك ، ولهذا فإننى أرجوك أن توجه إليه كلمة ترجوه فيها الا يعذبنى أكثر مما تعذبت وأن يرحمنى مع رجائى الحار لك ألا تجرحه بكلمة والا تقسو عليه لانه أبى ولاننى أحبه رغم ما أنا فيه من موقف صعب كما أحب أمى وأخوتى ، لكنى فى نفس الوقت لا أريد أن أغدر بمن ينتظرنى منذ سبع سنوات ، وكل ما أرجوه من أبى هو أن يوافق على عقد قرانى عليه بدون زواج قبل أن يسافر للعمل فى دولة عربية ويقضى عاما آخر طويلا قبل عودته.. فهل يرق لى قلب أبى ويقبل بذلك، وإذا كان يخشى علىّ من الفارق الاجتماعى فارجو أن تقول له أن الحب الحقيقى لايعوض بمال أو مركز اجتماعى، وأن فتاى سيحقق نجاحه فى الجامعة بإذن الله وسيصبح إنسانا أفخر به أمام الجميع ، فهل تفعل ذلك من أجلى يا سيدى ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

حرصك على الا أجرح مشاعر أبيك بكلمة فى ردى على رسالتك والتزامك طاعته وعدم الخروج على ارادته رغم ما تلاقينه يشهد لك بأنك ابنة طيبة متدينة تعرف حقوق أبيها عليها وترعى حدود ربها فى التعامل معه، لهذا فلست فى شك فى أنك تتفهمين جيدا دوافع أبيك لمعارضته فى هذا الزواج.. وتسلمين له بحسن نيته فيها، وبانطلاقه فى ذلك من حرصه على ما يراه محققا لصالحك وسعادتك كما يراها هو، وليس من هذه الأسباب

ما يصارحك به من تبرير شكلي لموقفه وهو انه يعتبر اختيارك لهذا الفتى
تحديا لإرادته لايقبل به لأن له شخصيته المستقلة. فالحق أنه يعترض على
فتاك لأسباب موضوعية أخرى هى أنه لايراه أهلا لك، ويتصور أن الفارق
ف المستوى التعليمي بينكما سوف ينعكس سلبيا على حياتك معه إذا
تزوجتما، ومن حق أبيك أن يبدى تحفظاته على من تختارينه لمشاركته
رحلة الحياة، ومن واجبك أن تضعى وجهة نظره ف ذلك، موضع الاعتبار
والاحترام، وأن تحاولى إقناعه بأنه لامبرر لتخوفه من هذا التفاوت الثقاف،
مادام الفتى يجدّ ف رفع مستواه التعليمي والثقاف، ويجاهد لكى يحصل
على شهادة جامعية اثباتا لجدارته بك ومادام الوئام والتفاهم يجمعان
بينكما.. وهناك تكافؤ عائلى واجتماعى بين أسرتيكما هذا مع تسليم
الكثيرين بأن السعادة لاتصنعها شهادات جامعية وإنما يحققها الوئام
والحب العميق والاحترام المتبادل، والرغبة المشتركة ف اسعاد كل طرف
للآخر .

وبعد ذلك فإنى أهمس ف أذن أبيك متذكرا رجاءك لى ألا أقسو عليه ف
ردى، فأقول له أن تعارض وجهات نظرنا كآباء مع وجهات نظر أبنائنا ف
اختياراتهم لحياتهم الشخصية أمر وارد دائما لأنه من سنة الحياة وينبغى
ألا ننزعج له أو أن نعتبره تحديا لارادتنا، يتطلب منا اتخاذ موقف العناد
الصارم منهم حتى يتنازلوا عن وجهات نظرهم.. فلكل جيل آراؤه
وتصوراته لما يحقق له السعادة، وليس من الحكمة أن نفرض نحن على
أبنائنا تصوراتنا لما نراه محققا لسعادتهم ف حين يتمسكون هم بتصورات
أخرى لها خاصة إذا كانت قابلة للمناقشة وليست خارجة نهائيا على أحكام
العقل وكل ما نحن مطالبون به حين نواجه هذا التعارض هو أن نتحاور
معهم ونشرح لهم أسبابنا وحججنا ومبرراتنا لما نراه الأنفع والأصلح لهم،
فإذا قبلوا بوجهة نظرنا سعدنا بالتقاء رؤيتنا للحياة مع رؤاهم، وإذا
رفضوها على استحياء وتمسكوا باختياراتهم ورجونا أن نمنحهم تاييدنا
لما اختاروه لأنفسهم فمن الرحمة أيضا ألا نحرمهم من التأييد والمباركة
حتى ولو لم نسعد أو نرض تماما بما اختاروا لأنفسهم مادام لايتعارض
مع الشرع والدين ولاينفر منه العقل نفورا صارخا .

ولا عجب ف أن تتعارض بعض وجهات نظرنا مع بعض وجهات نظر
أبنائنا، «فالمعارضة نصف الحق» كما يقول أستاذنا الراحل مصطفى

صادق الرافعي، وليس هناك ف النهاية يقين لا يأتيه الباطل من أمامه أو من
خلفه ، إلا إذا كان وحيا يوحى، وكل وجهات نظرنا ورؤانا قابلة للخطأ
وللصواب، فلماذا لانسلم لأبنائنا الراشدين إذن بحقهم ف اختيار حياتهم
وهم ف النهاية الذين سيعيشونها ويحصدون ثمارها سواء أكانت طيبة
أومريرة؟ نعم نحن نسعد بسعادة أبنائنا ونشقى بشقائهم وقد نعارضهم
ف بعض اختياراتهم إشفاقا عليهم من تعاسة متوقعة.. وعلى أنفسنا أيضا
من أن نشقى بتعاستهم. لكن ماذا نملك لهم إذا تمسكوا باختياراتهم
للنهاية ورأوا فيها سعادتهم ورأوا ف موقفنا نحن منهم تجنيا عليهم
وحرمانا متعسفا لهم من هذه السعادة؟ اننا لانملك لهم ف النهاية إلا
النصح والارشاد فإن لم يستجيبوا لما نصحناهم به ، بطالبنا البر بهؤلاء
الأبناء أن نهبهم حقهم العادل ف أن يخوضوا تجربتهم ف الحياة ويتحملوا
تبعاتها، ونحن نتمنى لهم ف أعماقنا أن تثبت لهم تجربة الحياة خطأ
ظنوننا.. وصدق رؤيتهم، فما عارضناهم ف البداية إلا طلبا لسعادتهم..
فكيف لانسعد بسعادتهم إذا أثبتت تجربة الأيام خطأ ظنوننا ف
اختياراتهم؟

ان ابنتك يا سيدى ليست فتاة مراهقة ف السابعة أو الثامنة عشرة من
عمرها، وانما هى فتاة ناضجة العقل والمشاعر ف السادسة والعشرين من
عمرها، وطالبة نابهة ف نهائى كلية الطب. ومثلها لايمكن اتهامها بالخفة أو
التهور أو تقلب المشاعر أو الانخداع بوهم الحب العارض فلقد امتحن حبها
لفتاها وحب الفتى لها باختبار الزمن الذى لاتصمد له إلا المشاعر الحقيقية،
وبالعقبات العراقيل سبع سنوات.

ومازال اللهب مشتعلا ف مدفأة الحب.. ومازال الاصرار يغذيه كل يوم
بزاد جديد فأى دليل آخر تريده على صدق تمسكها بفتاها وصدق تمسك
هذا الشاب بها ؟

انه ليس اختيارا عشوائيا ولا عارضا ، وانما اختيار مصيرى ونهائى
صمد لاختبار الزمن سنوات طويلة كانت كفيلة بأن تحول كلا منهما عن
الآخر، لوكانت المشاعر هوائية أو غير مستقرة .

فلماذا تعذبهما بالتفريق بينهما يا سيدى ف غير طائل ؟

إن ابنتك تناجى ربها كل ليلة وتدعوه أن يجمع بينها وبين من تحب ف
«حلاله» الذى يغنيها عن «حرامه».. فماذا تنتظر لكى تجمع شملهما ف



طاعة الله وطاعتك ، وليس فى غيرهما ؟

ألا يرق قلبك كأب وكإنسان لمثل هذه المناجاة التى يذوب لها الحجر؟ أولا تعلم أن الجمع بين المحبين فى طاعة الله من أعمال البر وفضائل الصالحين التى يتقربون بها إلى خالقهم، لقد كان سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن على يعطف على المحبين ويرق لهم ويسعى فى الجمع بينهم ويبذل من ماله ما يذلل به ما يعترض طريقهم من عقبات، رحمة بهم وقربى لله سبحانه وتعالى، ولقد تشفع لدى والد «لبنى» أن يقبل زواجها «بقيسها» وخلع نعليه وهو يدخل مضارب أبيها على علو مكانته وهيبته التماسا لنجاح مسعاه الطيب لدى الأب وسجل أمير الشعراء أحمد شوقى وقع هذا التصرف على والد لبنى فقال :

فرآه حافيا فى ساحة الدار فجُنّا
قال لا أملك يا بن المصطفى بنتا ولا ابنا
أنت فى الدار أميرٌ فبما شئت فمرنا .

فمن تريده أن يسعى إليك حافيا لكى تقبل شفاعته فى ابنتك وترق لها وتقبل بعقد قرانها على من تحب وترغب ؟

ولماذا ترضى لنفسك بأن تقف حجر عثرة فى طريق شابين جمع الله بين قلبيهما طوال سبع سنوات كاملة ويرغبان فى العفاف ؟

بل ولماذا تكرهها إكراها على الخروج على طاعتك وهى من لا ترغب فى ذلك ولا ترضى به لنفسها ولا لك ؟

يا سيدى ليس من البر بالأبناء أن ندفعهم دفعا للخروج على طاعتنا بتعسفنا معهم، ثم ننعى عليهم بعد ذلك عقوقهم لنا وشق عصا الطاعة علينا، وابنتك لاتتحداك برغبتها فى هذا الفتى، ولا تخرج على طاعتك ولا ترضى بأن تختاره عليك. فأعنها على برك بتسامحك معها ومباركتك لمشروع زواجها مهما كان رأيك فيمن اختارته لنفسها، ودع للأيام أن تثبت صحة رأيك أو خطأه «والزمن هو أشرف النقاد» كما يقولون وشكرا لك إن قبلت شفاعتى فى ابنتك.. وليغفر الله لك إن أكرهت ابنتك على غير ما تتمنى لنفسها وترغب، أو إذا خيرتها مرة أخرى بينك وبين من ترى سعادتها وهناءها معه والسلام .

أكتب إليك بعد مرور حوالى عشرة شهور كاملة على ما شهدته حياتى من تغيرات جوهرية وكانت المناسبة التى أهاجت شجونى ودفعتنى للكتابة إليك هى حلول عيد الفطر المبارك قبل أسابيع وأنا فى حال تختلف عنها فى الأعياد السابقة .

فأنا يا سيدى طبيب شاب أبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما، أعمل أخصائيا فى أحد فروع الجراحة بإحدى محافظات الجنوب، وتبدأ قصتى التى أرويها لك وأنا طالب بالثانوية العامة حين تعرفت على أحد زملائى بالمدرسة.. وتوثقت الصداقة بيننا، وزرته فى بيته القريب من بيت أسرتى لأول مرة لتهنئته بعيد الفطر فرأيت فى بيته فتاة صغيرة تلهو ببالونة أطفال كما يفعل غيرها من الصغار فى الأعياد، وعرفت منه أنها شقيقته الصغرى والوحيدة، وأنها تلميذة بالصف السادس الابتدائى..وانتهت الزيارة وغادرت بيت صديقى وأنا لا افكر فى شىء سوى فى هذه الفتاة الصغيرة ، أو الطفلة التى رأيتها عنده.. وتعجبت من أمر نفسى بعد ذلك طويلا حين وجدتنى مشغول الخاطر بهذه الفتاة الصغيرة التى لاتدرى من أمر الدنيا شيئا، وحاولت رد نفسى مرارا عن التفكير فيها لانها مجرد طفلة وشقيقة صديقى الحميم، فإذا بى أزداد مع الأيام تعلقا بها وانشغالا بامرها، وأديت امتحان الثانوية العامة والتحقت بكلية الطب ، وحصلت هى أيضا على الابتدائية وانتقلت للمرحلة الاعدادية، وتعلقى بها مازال يغلبنى على أمرى، ولا أعبر عنه سوى بالاهتمام البرىء بامرها وأمر دراستها حين أزور صديقى فى بيته، وازداد اقترابى منها تدريجيا، فتعلقت هى أيضا بى بشدة وبإخلاص شديد البراءة، واعترفت لنفسى بأننى أحب هذه الفتاة الصغيرة حبا يفوق الوصف، وإننى أريد أن تشاركنى رحلة حياتى حتى نهايتها، وقَرَّ عزمى على ذلك بالفعل «فاصطنعتها» لنفسى، وحرصت على أن أغرس فيها كل ما أحب من قيم ومثاليات أخلاقية وعادات وطباع وسلوكيات ووجدت لديها استجابة مخلصة لكل ما أطلبه منها، فاصبحت نموذجا رائعا للإنسانة التى أريد أن أقضى عمرى كله معها، فحتى الكلية

التى التحقت بها بعد حصولها على الثانوية العامة كنت أنا الذى اخترتها لها.. ولقى اختيارى منها كل ترحيب وحماس على الفور، كأنما قد سلمت لى بحقى عليها فى كل شىء حتى فى نوع دراستها، وتخرجت أنا فى كلية الطب وهى مازالت طالبة فى عامها الجامعى الثانى، ومضت الأيام بنا سعيدة وواعدة بكل شىء جميل حتى تخرجت فتاتى فى كليتها وحصلت على شهادة البكالوريوس، وبعد تفاصيل لاداعى للإطالة فيها تم زفافنا، وضمنى أخيرا عش الزوجية «بالطفلة» البريئة التى رأيتها لأول مرة قبل سنوات وهى تلعب بالبالونة فى بيت صديقى!

ولقد كنت أتصور حين بدأنا حياتنا الزوجية أننى أعرف هذه الفتاة كما أعرف جيدا كف يدى، فإذا بالعشرة تكشف لى من شخصيتها ما لم أكن أعرفه من قبل من الخصال الجميلة والروح العطوف النبيلة وطهارة النفس والقلب والسجايا التى يندر وجودها فى هذا الزمان، وفجأة وأنا فى قمة سعادتى بها وسلامى النفسى معها خلال شهور الزواج الأولى، وجدتنى أشعر فجأة بالقلق والخوف من شىء مجهول لا أستطيع تحديده، وحاولت تفسير خوف الغامض هذا بانه بعض الخوف الطبيعى الذى قد يساور الانسان أحيانا إذا اكتملت سعادته، فخشى عليها الا تدوم أو أن يفسدها عليه الكدر، لكنى لم استسلم لهذا القلق طويلا وان لم أتخلص منه نهائيا، ومضت الأيام بسلام بى و«بطفلتى» الحبيبة التى راقبت عن قرب كل مراحل نموها الجسدى والنفسى إلى أن جمعنا معا عش الزوجية، وبعد عام من الزواج بدأت حبيبتى الوديعة تشعر بالقلق لتأخر الحمل، وأجرينا الفحوص اللازمة فثبت خلونا نحن الاثنين من أية موانع للانجاب، ورحت أطمئنها إلى ذلك وساعدها إيمانها القوى وصلتها الوطيدة بربها على التسليم بقدرنا. وبعد فترة أخرى بدأت تشعر بآلام الحمل وتعانى من مغص وتقلصات غريبة حاولت أنا وزملائى الأطباء جاهدين أن نعرف أسبابها بلاجدوى، وبعد ثلاثة شهور من الحمل والمعاناة الرهيبة تبين أنه حمل خارج الرحم وفى الأنبوبة اليسرى التى انفجرت وانتهت عملية الاستكشاف التى أجريت لها باستئصال الأنبوبة اليسرى كلها مع المبيض الأيسر، ومضت الأيام بنا بعد ذلك ومر عام آخر دون حمل وبدأ القلق يعاود زوجتى مرة أخرى لأن استئصال المبيض الأيسر يقلل فرص الحمل بنسبة ٥٠٪ فأجرينا لها فحصا آخر بالمنظار فكشف عن أن الأنبوبة

اليمنى أيضا قد حدثت بها التصاقات بسبب جراحة للزائدة الدودية أجريت لها بعد ثلاثة شهور من الزواج، ولكي يحدث الحمل فلابد أن تكون هذه الأنبوبة حرة لتستطيع التقاط البويضة من داخل تجويف البطن ويتم الحمل، فما العمل إذن لكي يتحقق لها أمل الانجاب؟.. لقد كان الحل الذى اقترحه الزميل الطبيب الذى عرضت حالتها عليه هو أن نجرى لها عملية تسليك للأنبوبة بفتح البطن مرة أخرى، وأنا بحكم عملى كطبيب وجراح أعرف جيدا أن أى فتح جراحة لكى يلتئم مرة أخرى فلابد أن تحدث التصاقات مرة ثانية، إذن فسوف ندور فى حلقة مفرغة تتعرض فيها شريكة حياتى لآلام الجراحة وفتح البطن بلا نهاية.. فضلا عن أن أمل الحمل لم يكن فى تقديرى يتجاوز نسبة الواحد فى المائة، فلماذا أعذبها بالجراحات والآلام بلا نهاية؟.. لقد اتخذت قرارى كزوج أولا وكطبيب ثانيا، وطلبت من زوجتى أن تدعها من الطب والأطباء.. وتسلم أمرها لخالقها وحده وأقسمت لها بربى ودينى وإيمانى أن الله سبحانه وتعالى سوف يعطيها ما تأمل فيه وينعم عليها ويهبها ما يرضى نفسها، لأن إيمانها بربها عميق ومتين، ولأنها ممن ينطبق عليهم قول أحد الصالحين رضوان الله تعالى عليهم «إن لله عبادا إذا أرادوا أراد».. ولهذا فلابد أن يهب لمن كان فى صفاء نفسها وطيبة قلبها وعميق تدينها وإيمانها، من يرث أو ترث عنها بعض هذه السجايا الكريمة..

وسلمت زوجتى لإرادتى فى هذا الأمر عن اقتناع وحب ولم تعد للحديث عن الجراحة مرة أخرى، وانصرفنا عن العلاج ومشاكله وأحاديثه.. وبعد حوالى ثلاثة شهور أخرى كنت بالبيت معها فى المساء، وتناولنا العشاء، وبدأت أستعد للنوم، فإذا بها تبلغنى بأن الدورة الشهرية قد تأخرت عنها يومين، وإذا بى أجد نفسى أجيبها بتلقائية وبثقة لاأعرف مصدرها : أنت حامل !

ثم أويت إلى فراشى، واستيقظت كعادتى من نومى بلا منبه لصلاة الفجر فلم أجدها بجوارى فى الفراش، وخرجت من غرفة النوم أبحث عنها فوجدتها فى غرفة أخرى تبكى وتنتحب، وفزعت لمرآها وهدأت من روعها وسألتها عما يزعجها فإذا بها تظننى كنت أسخر منها أو ألومها بطريقة غير مباشرة حين قلت لها بعفوية «أنت حامل»!.. ولهذا فلو كنت أرغب فى الزواج من أخرى لأنجب منها فلن تعترض على ذلك ولن تحرمنى مما أريد،

ولم يكن هذا هو مادار بخلدى لحظة وأقسمت لها على ذلك وعلى سلامة نيتى فيما قلت، وإيمانى به بحدسى وإلهامى، واتفقت معها فى هذه الجلسة حسما لهذا الأمر على ألا نتحدث مطلقا فى أمر الحمل أو احتمالاته لمدة أربعة شهور كاملة من هذه الليلة، حتى ولو علت بطنها بالحمل أمامى وعلينا خلال هذه المهلة أن نترقب ما سوف يختاره لنا الله سبحانه وتعالى ونرضى به كيفما يكون، ورجع إليها صفاؤها على الفور ونهضت معى لأداء الصلاة راضية مطمئنة ومضى شهر آخر فإذا بها تحس بأعراض الحمل وتحاول أن تلفت نظرى إلى ضرورة إجراء فحوص واختبارات للتأكد منه، فرفضت ذلك تماما تمسكا باتفاقنا السابق معا وهو مرور أربعة أشهر كاملة، وبعد مضى هذه المدة أجرينا لها فحصا بالأشعة التليفزيونية فتأكدنا من الحمل، ومن أنه طبيعى جدا.. ولا تسل عن سعادتها ولا عن تألق وجهها بالفرحة والابتهاج والرضا، وزميلى الطبيب يبلغها بذلك، وهى تنتقل بعينيها بينه وبينى بحذر طفولى جميل كأنما لاتصدق ما تسمع.. أو كأنما تقول لى بنظرتها أننى قد صدقتها «البشرى» حقا حين ألهمنى الله أن أقول لها ما قلت قبل أربعة شهور!

ومضت أيام الحمل عادية جاءت الولادة ورزقنا الله سبحانه وتعالى بطفل جميل أسميناه «أحمد» تيمنا باسم الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وغردت طيور البهجة أكثر وأكثر فى حياة زوجتى الحبيبة وأصبح لها مع مولودها كل يوم حكاية ترويها لى وهى سعيدة ومبتهجة وتطفر عيناها بالحب والعرفان والرضا، وبعد ثمانية شهور أخرى فقط بدأت تشكو من أعراض الحمل مرة أخرى، ولم أندهش لذلك رغم ضآلة احتمالات الحمل فى ظروفها الصحية، لأن من يتوكل على الله فهو حسبه ولأنها تعرف حقوق ربها حق المعرفة وتتقرب إليه بكل أنواع القربات، ومضت أيام الحمل الثانى أيضا طبيعية وسلسة وبلا مشاكل .

ورزقنا الله بمولودة جميلة أسميناها «أشرقت» لأنها أشرقت بالفعل على حياتنا بالبهجة والرضا والامتنان لله سبحانه وتعالى، وأصبحت «طفلتى» الصغيرة التى أحببتها وهى تلهو ببالونة أما لطفلين جميلين ترعاهما وتحنو عليهما وعلى أبيهما بطبعها العطوف الحنون، وتقدم أحمد فى العمر حتى أكمل عامه الثالث، وتجاوزت أشرقت عامها الأول ببضعة أيام، ثم رجعت من عملى فى الظهيرة ذات يوم منذ حوالى عامين، فإذا بزوجتى تشكو

لى من ألم عارض فى بطنها، فلم أتوقف طويلا أمام هذه الشكوى العابرة وكنت مرهقا وجائعا فطلبت منها الغداء أولا، وبعد ذلك أفحصها وأعالجها أو أتخذ القرار المناسب لحالتها وتناولنا الغداء معا فى هدوء ونهضت من المائدة وراسى مثقل فأويت إلى فراشى وغفوت بعض الوقت، ثم نهضت من النوم وخرجت على عجل لألحق بموعد عيادتى فى المساء، وحين رجعت إلى البيت فى الليل كررت لى زوجتى نفس الشكوى، فتنبهت إلى أننى لم أفحصها فى الظهر حين شكت من قبل، وتعجبت لنفسى كيف سهوت عن ذلك، وكشفت عن بطنها لأفحصها فما أن ألقيت أول نظرة عليها حتى انقبض صدرى واضطربت اضطرابا داخليا عنيفا.. وارتبكت.. وشعرت بأن هناك شيئا غير عادى ولا طبيعى فى زوجتى، وإذا بى أيضا أتمتم بصوت غير مسموع قائلا لنفسى وقلبى يخفق بشدة : «إنا لله وإنا إليه راجعون» .. نعم يا سيدى تمتمت بهذه الآية الكريمة رغما عنى وبغير إرادة منى حين رأيت بطنها وأحسست بحكم عملى أن حبيبتى وزوجتى وأم طفلى ربما كانت تواجه الآن «المجهول» الذى ساورنى القلق الغامض بشأنه فى الأيام الأولى لزواجنا واكتمال سعادتنا!.. ولم تسمع زوجتى ما تمتمت به لحسن الحظ، وسألتنى عما قلت فأجبتها بأنه لاشىء لكنى لم أستطع إخفاء اضطرابى وقلقى عنها، فراحت هى تهدىء روعى وتطمئننى إلى أن الأمر بسيط ولايستحق هذا القلق، لكن هيهات أن تنجح فى ذلك والاحتمالات المخيفة لما رأيت تتراءى أمامى كالنذير المقبض.. ولن أستطرد طويلا فى التفاصيل، فلقد أجرينا الفحوص اللازمة والتحاليل والأشعات وكل ما يخطر لك على بال، وجاءت النتائج كلها تؤكد نفس هذه الاحتمالات المخيفة التى اضطربت أمامها بشدة وأنا أفحص زوجتى فحصا ظاهريا تلك الليلة الكئيبة .

وطرقنا كل الأبواب ياسيدى وطلبنا كل الوسائل وحينما تأكد لى فى النهاية أن الأمر قد حسم، جلست إلى زوجتى وقلت لها بصوت هادىء وقلب حزين : يا حبيبة القلب إن أمرك الآن فيه قولان لاثالث لهما.. فإما أن يمن الله عليك بمعجزة من عنده وليست على الله بكثير ولا على مثلك أيضا بمستبعدة، وإما أن يكون الله قد قضى أمرا لن يطول أكثر من أيام قليلة وعلينا أن نتقبله بثبات ونسلم به راضين!.. هل تتهمنى بالقسوة حين فعلت ذلك؟.. اننى لم أكن قاسيا وحاشاى أن أكون معها، وهى قرة عينى وآسرة

قلبى منذ طفولتها، لكنى كنت قد خبرتها جيدا وأعرف عمق إيمانها وصلابتها ورضاها بكل ما يقدره لها وعليها الحق تبارك وتعالى، ولهذا صارحتها بحقيقة الأمر وأنا على ثقة من حسن تقبلها له ومن قوة إيمانها، وقد أجابتنى حين قلت لها ذلك بأنها قد استراحت الآن فقط وأنها راضية بما أراده الله لها لأنه سبحانه قد حقق لها كل ما تمنته فى الدنيا فأحبت أول من نبض قلبها له بالحب وتزوجته ومنَّ الله عليها بالولد على خلاف كل التوقعات، وعاشت أجمل السنوات والأيام معى قبل الزواج وبعده، ولم تعد تريد من الدنيا شيئا سوى أن أرعى الله فى ابنىّ منها بعد الرحيل!.. وبعد جلسة المصارحة هذه بأيام قليلة أسلمت ــ قرة عينى وحبيبتى ــ الروح وهى بين ذراعى ولم تكمل بعد الثامنة والعشرين من عمرها! ومنذ رحلت عنا زوجتى قبل عشرة شهور وأنا أعيش على ذكراها وأرعى طفلى منها حق الرعاية كما أوصتنى بذلك، ورضيت بما قدره الله لى وادعوته آناء الليل وأطراف النهار أن يجيرنى فى مصيبتى ويخلفنى عنها خيرا .

ورغم قوة إيمانى الذى أدعو الله أن يثبته ويزيدنى منه، إلا أن منظرا واحدا من صور حياتى مع شريكة عمرى فى الأيام الأخيرة مازال يلاحقنى فى مخيلتى كل لحظة.. فاضعف أمامه وتنساب دموعى ويتهمنى بعض من حولى بالجزع وعدم الصبر، وهو منظرها حين ساءت حالتها فى أيامها الأخيرة، حين كانت تنتقل بين غرفة النوم وغرفة الأولاد لتنام هنا أو هناك وكان كل ما يشغلها فى ذلك هو قالب الطوب اللبن الطاهر الذى كانت تتيمم به قبل كل صلاة.. فقد كان هذا القالب من الطوب هو كل ما يشغلها عند الحركة من مكان إلى مكان ولاشىء سواه ومازال منظرها وهى تحمله بين يديها وتمشى ببطء وإعياء من مكان لمكان محفورا فى مخيلتى ويلاحقنى فى كل لحظة ويسيل دموعى رحمها الله .

ولست أشكو إليك فجيعتى فيمن أحببت وسكنت إليها أجمل سنوات العمر، أو أشكو إليك أقدارى وحاشاى أن أفعل ذلك لأن من يعرف ربه حق معرفته يسلم بكل ما يقدره عليه ويرضى عنه عالما بأن فى الرضا كل الشفاء من كل داء وبلاء، فالله جل شأنه يقدر ما يشاء على خلقه وتقديره هو الخير بذاته وان بدا للإنسان أحيانا غير ذلك، لكنى أكتب إليك لأننى أعتبر نفسى صديقا لك على الورق منذ سنوات طويلة، وكذلك كانت قرة عينى وحبيبة قلبى، وقد كنا نتبادل الحديث عن بابك يوم الجمعة كل

أسبوع ونتأمل أحوال الدنيا والبشر فيه.. ونشعر كأننا نعرفك وتعرفنا، وأن صلة ما تربطنا بك وإنى لأشعر الآن بأن من حقى عليك أن أترقب منك مشاركتى فى أحزانى وآلامى، ومواساتى فيما أصابنى بكلمة تعزية.. فهل هذا كثير على يا سيدى ؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

من حقك على بكل تأكيد وأكثر يا صديقى، ومن واجبى حقا أن أشاركك بعض أحزانك وأن أخفف عنك قدر جهدى بعض آلامك ..

فالإنسان يحتاج بالفعل لأن يستشعر مشاركة الآخرين له فى أحزانه وتعاطفهم معه واحترامهم لهذه الأحزان على الأقل. ولاشك أن حزنك على شريكة حياتك الملائكية هذه من أنبل الأحزان، وأكثرها استحقاقا للاحترام .

فلا شئ يؤلم كالحب كما يقولون، وليس هناك ما هو أشد إيلاما منه سوى أن تفقده!، كما فقدت أنت شريكة أحلامك وصباك وأيامك فى هذه الظروف المؤلمة. غير أنه لامفر فى النهاية من أن أكرر عليك ما سبق أن قلته مرارا للمحزونين من أمثالك، من «أن من نحبهم لايموتون حقا حين يواريهم الثرى، وانما يموتون بالفعل حين ننساهم» كما يقول لنا الأديب الفرنسى.. ونحن لاننسى من نحبهم حقا ولو غادرونا إلى العالم الآخر، وهم أحياء دائما فى قلوبنا ومخيلتنا وتتراءى لنا فيها صورهم كما تتراءى لك الآن صورة زوجتك الطيبة يرحمها الله، وهى تحمل قالب الطوب الذى تتيمم به من مكان إلى مكان، وترافقنا أطيافنا فى مسراتنا من بعدهم وأحزاننا، فنتمنى لو كانوا معنا فشاركونا افراحنا، وسعدوا معنا أو شاركونا أحزاننا وتساندنا وتعاونا معهم عليها، وهكذا فهم لاينقطعون عنا.. ولا ننقطع عنهم وإن غابوا عن أنظارنا أو تفرقت بنا السبل، ومن حق كل إنسان أن «يرعى حزنه الخاص» لفترة كافية على حد تعبير شاعر الهند الحكيم طاغور، لكنه من واجبه أيضا تجاه نفسه وتجاه الحياة ألا تكون هذه الفترة أبدية ولا أطول مما ينبغى، لأن نهر الحياة لابد أن يجرى رغم كل الأحزان فى طريقه المرسوم، ولأن ما كان حزنا بالأمس.. ينبغى له أن يكون سلاما بعد حين .

وهذا السلام هو جائزة الصابرين والراضين بقضاء الله وقدره، والمكافأة السخية التى يحصل عليها من يظفر بهذا السلام الداخلى هو ألا

تقوى على زعزعة سلامه أية عاصفة من عواصف الحياة مهما رافقها من أحزان .

ومن بعض السلوى أن نتذكر بامتنان للخالق الوهاب لا بالحسرة، الأيام الجميلة التى نعمنا فيها بالسعاد والأمان وراحة القلب، وأن نعتبرها زادا نفسيا لنا يعيننا على تحمل أيام العناء، وعمر الانسان فى النهاية إنما يقاس حقا بمساحة السعادة الحقيقية فى حياته وليس بمساحة السنين، ولقد كان الرسام الإيطالى الكبير موديليانى يقول : أتمنى أن أحيا حياة قصيرة بشرط أن تكون حافلة !، وبهذا المفهوم فلربما كانت زوجتك الراحلة رحمها الله قد عاشت «عمرا» من السعادة لم يحظ به بعض من طالت بهم رحلة الأيام.. بل ولعل البداية المبكرة لقصتك معها وهى مازالت طفلة صغيرة تلهو لهو الصغار فى العيد، كانت إرهاصا قدريا، بأن تبدأ السعادة فى حياتها مبكرة، لأن رحلة الأيام لن تطول بها أو ربما لأن «الملائكة» من مثيلاتها إنما تطوف بالارض طوافا عابرا ولا تقيم وإلا فكيف تفسر لى أن يقع شاب مثلك فى هوى طفلة صغيرة فى الثانية عشرة من عمرها على الأكثر، ويعيش معها قصة حب برىء طويلة قبل أن يحتويهما عش الزوجية السعيد خمس أو ست سنوات هانئة، إلا إذا كان ذلك إرهاصا قدريا بتبكير البدايات إيذانا باقتراب النهايات القدرية ؟

لهذا فلقد كانت صادقة فى مشاعرها حين قالت لك إنها راضية بأقدارها لأنها قد نالت من الحياة كل ما تشتهى من سعادة، ولا بأس بأن يحين وقت الرحيل .

وأما اضطرابك وتمتمتك بالآية الكريمة لا إراديا حين ألقيت نظرتك الأولى على بطنها، فما كان ذلك عن علم بالطب أو خبرة، بقدر ما كان عن شفافية قد يخص الله بها بعضا من عباده المتقين، وإحساس باطنى غير مفهوم بأن السعادة لن تطول، ولعل هذه الشفافية نفسها هى التى أنذرتك للأسف إنذارا مبكرا فى شهور الزواج الأولى، بأن «لكل شىء إذا ما تم نقصان» كما يقول الشاعر العربى، ولعلها أيضا هى التى هدتك بحس المحب العطوف لأن ترفض تعريض زوجتك لآلام جراحات متوالية غير مضمونة النتائج، جريا وراء أمل الإنجاب، ثم لأن «تبشرها» بعد ذلك بالحمل قبل أن يلوح فى الأفق طيف البشير، فإذا كنت قد اعتمدت على إيمانها بربها وحسن صلتها به فى مصارحتك المؤلمة لها بما يشق على كل



الدموع الغزيرة



إنسان أن يسمعه فى مثل هذه الظروف ، فلقد كان هذا هو اختيارك الذى اطمأن إليه قلبك، وهو اختيار يؤمن به الأطباء فى الغرب، ونكرهه نحن هنا ونشفق منه على أحبائنا وأعزائنا وعلى كل إنسان من أن يطلعه أحد مهما كانت أسبابه على ما حجبه الله سبحانه وتعالى عنه رحمة به .

لكن ما مضى قد مضى، ولم يبق لنا الآن إلا التحمل، وتضميد الجراح وحصر الخسائر، وجرح الشباب سريع الالتئام يا صديقى كما يقولون، على خلاف جراح الشيوخ بطيئة الشفاء، فلا بأس إذن بدموعك التى ترق لمنظر زوجتك التقية وهى تحمل قالب الطوب فى أيامها الأخيرة، فمن أجل مثل هذه الفتاة الطيبة الوادعة ينبغى حقا أن تسيل الدموع وفاء وحنانا .

والدمع لايكتم غالبا ما قد ينجح اللسان أحيانا فى كتمانه، والشاعر العربى العباس بن الأحنف يقول :

لاجزى الله دمع عينى خيرا	وجزى الله كل خير لسانى
نمَّ دمعى فليس يكتم شيئا	ووجدت اللسان ذا كتمان

فلا بأس إذن بأن تدمع عيناك لذكرى هذه الفتاة الجميلة الطيبة، وأن تترجم وفاءك لها برعاية طفليك منها حق رعايتهما، وبأن تحمل لزوجتك الراحلة دائما ومهما طال العمر أجمل الذكرى.. وأرق المشاعر، لكن «حزن الأمس» لابد أن يصبح بعد حين سلاما، يا صديقى.. ولابد ألا تعوقنا الأحزان عن التواصل مع الحياة والانفتاح عليها والاستعداد لاستقبال مؤثراتها الجديدة، بعد أن تنتهى فترة «رعاية الأحزان» الضرورية، فهذه هى سنة الحياة ولا مهرب لنا منها، ولا مفر، وأما زوجتك الطيبة المتدينة فهى ومثيلاتها وأمثالها «لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون» إن شاء الله العظيم ..

فقر أنت عينا.. بما نالت زوجتك من جوائز الدنيا والآخرة، وامض فى طريقك مشاركا فى مباراة الحياة.. ومتشاغلا بسباقها وشئونها وشئون طفليك عن كل الأحزان .

أكتب لأروى لك قصتى بعد تردد طويل فأنا سيدة فى الثامنة والعشرين من عمرى نشأت فى أسرة طيبة لأب موظف كبير بـاحدى الهيئات وأم ربة بيت فاضلة تـزوجت أبى عن حب قديم مازال حيـا ومتجددا حتى الآن وقد تخرجت فى كليتى النظريـة وتقدم لى منذ أربع سنـوات طبيب شاب يكبرنى بسبع سنوات، وتمت الخطبة وعقد القران، ثم تزوجنـا وسافرنا بعد الزواج بشهر واحد إلى الولايات المتحدة الأمـريكية ليدرس زوجى للدكتوراة، وكان زوجى هو أول رجل فى حياتى فاعطيته كل حبى وحنانى ورعايتى وتركزت دنيـاى كلها حـول محوره، ومضت الأيـام بنا جميلـة لايعكـر صفوهـا إلا الحنين لأهلى وبعض الخلافات العـابرة التى قد تواجـه أى زوجين فى بداية حياتهما بسبب اختـلاف الطباع لكن الغربـة قربت بالـرغم من آلامها بينى وبين زوجى حتى بلغنا درجة عالية من الحب والتفاهم والارتباط.

وخلال عـامنا الأول من الـزواج حملت لكن الله لم يشأ لحملى أن يكتمل وأجهضت فى شهـرى الخامس، ومضت الأيـام جميلـة رغم ذلك، يحكى لى زوجى عن كل شـىء فى دراستـه وعملـه، وأجلس إلى جـواره وهـو يعد محاضرة سيلقيهـا فى الغد إلى ان ينتهى منهـا ثم يقـرأها على وانصت إليـه بسعادة واهتمام رغم اختـلاف نوع الـدراسة. وأقف بـالساعـات فى مكتبة الجامعـة لأصور لـه مـايحتـاج إليه من كتـب فى مجال تخصصه وأسعـد بمشـاركتـه كل شىء فى حيـاته، ونجح زوجـى فى دراسته واقترب مـوعـد عودتنـا لبلدنـا فحملت مرة أخرى ولكن ارهـاق الاستعداد للسفـر واجهاد الـرحلة الطـويلـة من أمـريكا أثـرا على حملى فما أن وصلنـا إلى مصر حتى اجهضت للمرة الثـانية وتألمت لاجهاضى هـذه المرة كثيراً رغم استسلامى لقضاء ربى. ورجعنـا إلى شقة الزوجيـة التى تسلمناهـا على الطوب الأحمر واعددنـاها قطعة قطعـة حتى اكتملت وصارت عشا جميـلاً.. ومضى شهر واحـد على رجوعنـا فبدأت مشكلـة حيـاتى التى لم أكن أعى فى البدايـة كل أبعـادها وهى أم زوجى. فأم زوجـى هى الزوجـة الثانيـة لـزوجها الذى

تزوجته وهو يكبرها، بـ٢٥ سنة، وله من زوجته الأولى ٦ أبناء، وقد روت لى أن زوجهـا قـد اشترط عليهـا عنـد الـزواج ألا تنجب أكثـر من طفل واحـد وبالفعل أنجبت ابنها ـ زوجى ـ واعتبرته ابنا وحيدا بالرغم من وجود ٦ من الاخوة كلهم قمة فى الأدب والأخلاق والمراكـز الاجتماعية، ولأنه ابن «وحيد» فى نظرها فهى شـديدة اللهفة على ان يكون له أبناء كثيرون يمـلأون حياته وحياتها ويعوضون عن نشأته «وحيدا» بلا إخوة. وهى التى أوقفت حياتها عليه وجـاهدت معه حتى أصبـح طبيبا موعـودا بمستقبل مشرق! لهذا فقد صدمت صـدمة عمرها كما قـالت لى حين رجعنا من أمريكا بعـد عامين من الزواج كما سافرنا زوجين بـلا أبناء، وكانت تتوقع ان تستقبلنا ونحن أسرة من ٤ أفراد زوجين وطفلين وليس طفلا واحـدا. وقد كررت علىَّ والدة زوجى ذلك مرارا وتكرارا ولابد أنها قد قالت أكثر منه لزوجى فبدأت تتغير معاملته لى، وبدأت أشعـر وكأنى اتعامل مع انسـان آخر غير الـزوج الذى عـاشرته عامين خـلال البعثة واحببتـه وأعطيته كل حبى وعطـائى لكنى صبرت على تغير زوجى آملـة ان يـرجع إلى طبيعتـه التى عـرفتـه عليهـا مع الأيـام، فتضـاعفت متاعبى بتـدخل امه غير المبـاشر فى حياتنـا بصفة دائمـة فكل مايجرى بيننا من خلافات صغيرة عابرة يحكيها لها فتنعكس على معاملتها لى، فإذا كنت فى خصـام بسيط معه لايستغـرق يـوما أو يـومين تجهمت فى وجهى واختلفت معـاملتها لى، وإذا رجعت المياه إلى مجاريها بيننـا تبسطت معى وأحسنت معاملتـى، وان كان ذلك لايمنع حديث الانجـاب فى كل وقت وروايـة الحكايـات التى تجرح مشاعـرى عن «فـلانة» التى احتفلت بعيـد زواجها الأول وهى تحمل وليدها على ذراعهـا، و«فلانة» التى أنجبت طفلين فى عـامين متتالين وهكـذا، كأنى أنـا التى أردت لنفسى عـدم اكتمال حملى مرتين وكلما سمعت شيئا من ذلك لم أملك ردا عليه سـوى الدموع الغزيرة، وهى من طبيعتى لـلأسف فى أبسط المواقف ايلامـا لنفسى ويسمع زوجى هذا الكلام أيضا من والدتـه فيرجع إلى البيت مكتئباً وشارد الذهن، ويضيق صدره فيمنعنى من زيارة أية صديقـة لى إذا كانت حاملا، ويطلب منى عدم استقبال اية صـديقة منحها الله من فضله طفلا أو طفلـة فى بيتنا، لأن رؤية أطفال غيره تضايقه ولأنه لايريد لأى طفل أن يحبو فى بيتنا إلا إذا كان ابنه!

وسط كل هذه الآلام النفسية حملت للمرة الثالثة وسعدت بحملى الثالث سعادة لاتوصف وتعلق باكتماله كل أملى فى الحياة وأملت ان يتم الحمل والولادة فيسعد زوجى بطفله وتنشغل عنى حماتى بحفيدها وتكف عن تنغيص حياتى، وبالفعل تحسنت معاملة زوجى لى بعد الحمل الثالث كثيراً، وكذلك حماتى التى بدأت كلما لاحظت اية سحابة كدر بينى وبين زوجى تتدخل للصلح بينى وبينه على الفور حتى لاأحزن ويتأثر الجنين، وانشغلت مع ابنها فى اختيار اسم المولود الجديد بل واسم المدرسة التى سيلتحق بها ايضا ونوع الدراسة الجامعية التى سيدرسها حين يصل إلى سن الشباب بإذن الله وأنا أدعو الله خوفا وطمعا ان يتم نعمته علىّ ويكتمل نمو هذا الجنين لأحتفظ بزوجى وحبى وسعادتى، فإذا بالجنين يتوفى فى احشائى فى منتصف شهره الرابع وتظلم الدنيا كلها أمام عينى، وبكيت بأنهار الدموع الغزيرة طوفانا، واستسلمت لحزن شديد، وأجرينا التحليلات اللازمة لمعرفة سبب وفاة الجنين ثلاث مرات قبل ان يكتمل فى احشائى ولم نصل إلى شيء محدد سوى احتمال ان تكون المشيمة لاتوصل إليه الغذاء الكافى فيؤدى ذلك إلى وفاته، وأجمع كبار الأطباء على أن نعيش حياتنا بطريقة طبيعية وفى الحمل القادم بإذن الله يتم اعطائى جرعة بسيطة من الكورتيزون مع دواء آخر يساعد على سيولة الدم لكى يصل الغذاء الكافى للجنين.

ورضيت - رغم حزنى الشديد - بأقدارى وسلمت بارادة ربى لكن المشكلة كانت فى زوجى.. وفى حماتى بالرغم من بكائها معى وهى تحتضننى عقب وفاة الجنين الثالث إذ بعد هذا العطف الذى أبدته نحوى فى قمة محنتى، قاطعتنى تماما وأصرت على طلاقى من زوجى لأنها تتعجل الانجاب، وطريقى إليه كما قالت لا يبشر بسرعة تحقيق هذا الأمل!

ورأيت زوجى ممزقا بين رغبة أمه أو تأثيرها عليه وبينى.

وقررت ان أكافح لانقاذ زواجى وحبى لزوجى مع مافى ذلك من ايلام لمشاعرى، وذهبت إلى بيت حماتى وواجهتها بهدوء وسألتها لماذا تريد ان تحرمنى من زوجى ومن حياتى. فأجابتنى بجمود بأن ابنها لابد له ان يتزوج ليكون له أبناء. وتحملت الطعنة صابرة وقلت لها اننى قد حملت

ثلاث مرات ولم يأذن الله بعد فلماذا لا تصبرين علىّ بعض الوقت حتى يرزقنى الله بالولد، فأجابتنى بنفس الجمود بأن العمر يجرى وانه يحتاج لأن ينجب وهو فى سن الشباب لكى يستطيع تربية أبنائه وتحاملت على نفسى وسألتها وماذا لو تزوج من أخرى ولم ينجب ايضا فأجابتنى بلا تردد بأنه لو حدث ذلك فسوف تطلقه من زوجته الجديدة وتزوجه من ثالثة ورابعة حتى يتحقق لها أملها فى الانجاب!

ولم أجد ما أقول لها ردا على ما سمعته منها سوى ان الله لا يرضى بالظلم وانها وابنها يظلماننى.. وحسبى الله ونعم الوكيل.

ثم نهضت من أمامها منكسرة وشاعرة بكل هوان الدنيا وكنت قد عرفت منها انها قد طلبت منه ان يستشير فى أمر طلاقى رجال الدين لكى يستريح إلى قراره ويتشجع عليه فطلبت منه ان يصطحبنى معه إلى دار الافتاء لكى اسمع معه رأى الدين فى أمرى، وتردد زوجى فى القبول قائلا لى ان ذلك سوف يجرح مشاعرى، لكنى الححت عليه فى القبول، فأى ايلام ينتظرنى أكثر مما شعرت به خلال حديثى مع والدته واصطحبنى زوجى إلى دار الافتاء، واستقبلنا هناك شيخ فاضل. استمع باهتمام إلى مشكلة زوجى الذى رواها أمامى بأمانة، ثم اجابه: «يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما» صدق الله العظيم وصمت برهة تأملنا خلالها معا ثم قال لزوجى انه لو كان فى موضع زوجى وانعم الله عليه بزوجة طيبة وعلى دين وخلق مثلى ومتمسكة بزوجها إلى هذا الحد لسعد بها ورضى بحياته معها حتى ولو لم تنجب نهائيا.

وسالت دموعى الغزيرة وأنا اسمع هذا الكلام الرحيم من رجل الدين الفاضل، واستأذنا فى الانصراف وخرجنا وركبنا سيارة زوجى وهو مازال شاردا وساهما كأنما كان يأمل ان يلتمس له رجل الدين العذر فى طلاقى ويعطيه الضوء الاخضر ليقدم عليه، ورغم ادراكى لما يدور فى ذهنه فلقد سألته ونحن فى السيارة عما ينوى ان يفعل فطلب منى مهلة يومين ليفكر فى أمره خلالهما، فأجبته بأننى قد فعلت كل مافى وسعى للحفاظ عليه والأمر مرجعه إليه الآن، ثم رجعنا إلى بيتنا وتدخل اخوته الفضلاء والاقارب بيننا وحاولوا تهدئة الأمور ومنع الطلاق، وبعد جلسة مداولات

طويلة وجارحة جرت كلها امامى وفى حضور والدة زوجى وزوجى وافقت حماتى على ان تعطينا فرصة اخرى للحمل، ورجعنا إلى بيتنا وانا راضية بذلك ووعدت زوجى بأن ابدا معه صفحة جديدة اتناسى فيها كل شىء وسافرت مع والدى ووالدتى لاداء العمرة وطفت بالبيت الحرام وانا ادعو الله ان يحقق لى أملى فى الانجاب وانقاذ بيتى وزوجى وتعلقت باستار الكعبة عند الملتزم وبكيت بالدمع الغزير وانا استرجع مشاهد مواجهتى لام زوجى وسؤالها عما تريد ان تفعل بى وجلستى امام رجل الدين انتظر كلمته فى أمرى.. وجلستى بين جمع من الاهل انتظر نتيجة المداولة بشانى، وافرغت كل احزانى وآلامى، ثم عدت إلى القاهرة وقد تحسنت حالتى النفسية بالفعل وعشت مع زوجى شهرين سعيدين ثم رجعت المنغصات مرة أخرى من جانب حماتى، وبدأت اشعر بابتعاد زوجى عنى.. ومضت ثلاثة شهور اخرى لم يحدث خلالها حمل رغم متابعتى باستمرار مع الطبيب وفى صباح احد أيام الجمعة اصطحبنى زوجى بسيارته إلى بيت والدى لنتناول معا طعام الغداء بدعوة منه وقد رتبنا معا ان نقضى فترة الظهيرة فى بيت ابى ثم نخرج فى الاصيل انا وزوجى لزيارة بعض اصدقائنا فى بيتهم، واوصلنى زوجى إلى بيت ابى ثم استاذن فى الخروج لنصف ساعة لاداء صلاة الجمعة، وخرج وانتظرت عودته بعد الصلاة فطال غيابه.. ورفضت تناول الغداء قبل رجوعه.. وانتظرت فلم يرجع ثم رن جرس التليفون فجاة ورفع ابى السماعة فإذا به يسمع صوت حماتى تطلب منه ان يذهب إلى شقتى لانزال اثاثى منها لان زوجى سيطلقنى وسوف يتزوج فى نفس الشقة خلال وقت قصير!

ووضع ابى السماعة ثم ابلغنا بما سمعه فانهرت باكية لقسوة الغدر بعد كل مافعلت وقدمت، وتم الطلاق بعد اسبوع وتهدم البيت الذى فعلت المستحيل للحفاظ عليه.

اننى لا اكتب إليك الآن لكى تجد لى حلا لمشكلتى فقد تولانى الله سبحانه وتعالى برحمته وهيا لى من امرى رشدا، وإنما اكتب إليك لكى اسالك لماذا يظلم الانسان أحيانا من أخلصت له واعطته الكثير والكثير وتحملت منه الكثير والكثير؟ ولماذا يلجا الانسان إلى الغدر بمن احبته حبا

صادقا واخلصت له العطاء بدلا من المواجهة بشرف كما ينبغى ان يفعل من يحترم آدمية من شاركته الحياة.

اننى الآن لست حزينة على زوجى فقد اهتزت الصورة المثالية التى رسمتها له فى خيالى وتهاوت أمام الغدر القاتل وتكشف لى من حقائق الامور والحياة مالم اكن أراه بعين الحب التى لاترى للأسف فيمن تحب إلا كل جميل لكن بداخلى سؤالا كبيرا يبحث عن اجابة هو لماذا يظلم الإنسان.. احيانا أو يقسو.. ويتحجر قلبه إلى هذا الحد؟

لقد فقدت ثقتى فى الأشياء والأشخاص حتى كدت أشك فى اصابع يدى فى الأيام الأولى، لكنى قد استرددت الآن والحمد لله وبعد أسابيع قليلة هدوء نفسى، واعاننى إيمانى العميق على تقبل اقدارى كما تقبلتها من قبل، واعتبرت ماحدث صفحة وانطوت من عمرى بخيرها وشرها. وقررت ان ابدأ حياتى من جديد وأردت ان ارجع إلى عملى السابق الذى انقطعت عنه فإذا بمن لاينسى عباده فى الملمات يهدينى عملا افضل منه وبمرتب يزيد على مرتبى السابق أضعافا مضاعفة، وفى وسط اجتماعى راق بين زملاء وزميلات افاضل وجدت بينهم راحتى وسلامى النفسى، وفضلا عن كل ذلك فهو قريب من بيت أسرتى اذهب إليه بسيارتى خلال دقائق وقد اعطيت العمل كل اخلاصى، واصبحت امضى فيه كل نهارى من الصباح وحتى السادسة أو السابعة مساء كل يوم.. وزالت غشاوات كثيرة عن عينى فرأيت بعض مالم أكن اراه من قبل بعين المحب العمياء، فإذا كنت نادمة الآن على شىء فعلى انى قد اضعت فترة ثمينة من العمر فى حياة كان محكوما عليها بالفشل منذ البداية، لكن رغبتى فى الحفاظ عليها قد اعمتنى عن هذه الحقيقة، ورجائى الأخير هو ان توجه كلمة لكل ام تسعى فى خراب بيت ابنها وكل ابن يستجيب لها فى ذلك إلى أن يتقيا الله فى بنات العائلات وأعراض البشر، والسلام عليكم ورحمة الله.

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

كثيرا ما تواجهنا محن الحياة واختباراتها القاسية.. فنظن ونحن فى ذروة معاناتنا لها اننا لن نستطيع مهما حاولنا ان نحتمل الحياة بعدها ثم ما تلبث إرادة الحياة فى داخلنا ان تثبت لنا كل مرة اننا قادرون على تخطى

أقصى الآلام بعـد حين وعلى مواصلة الـرحلة فى طـريقها المرسـوم رغم كل الصعوبات. وما أكثر ما تجرف الحيـاة من أحزان وآلام كانت فى قمة اوارها تكوينـا بلسع النار، ثم أخمدها الـزمن شيئا فشيئا.. حتى اصبحت كـآثار الجراح القديمة لا تؤلمنا.. وان تركت بعض ندوبها فى روحنا.

والرضا باقدارنا هو وسيلتنا الـوحيدة لمكافحة الآلام واعانة عامل الزمن على إخماد لهيبها.. والحوار العـاقل الهادىء مع النفس هو الـذى يقنعنا فى النهايـة بأن مالا حيلة لنـا فى منعه لم يكن بأيـدينا مهما أجهدنـا أنفسنا أن ندفعه عنا، وأن كل ألم فى الحياة مصيره إلى زوال بعد حين.. ومن واجبنا أن نساعـد أنفسنا على البرء منه بالا نتـوقف طويلا أمـام الاطلال... والا نهدر العمر الثمين فى اجترار الأحزان.. وبأن نتبع نصيحة ذلـك الشاعر الأمريكى الـذى ينصح كل مهموم قـائلا: استمر.. استمـر.. استمـر واصل طريقك فى الحيـاة سواء أكـان مفروشا بالـورود أو بالأشواك.. استمر.. استمـر فسوف تجد حـلا لكل المتـاعب والصعـاب ولن تجده أبدا إذا تـوقفت أمـام أحـزانك أو تجمدت فى موقعك.

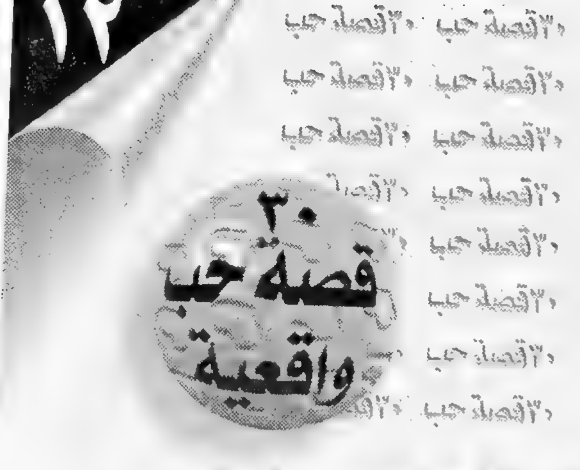
فإذا كنت الـومك فى شىء ففى امتهـانك لنفسك مع زوجك ووالدتـه إلى حد استجدائهما الابقاء عليك.. وكأنما لن تكـون لك حياة بعد زوجك هذا أو كأنما قد خلت الدنيا من كـل الرجال بعده.. نعم نحن نحترم الحب الحقيقى المخلص ونلتمس العذر لصاحبه فيما تمليه عليه عاطفته من تصرفات.. لكن لكل شىء حدودا ياسيدتى. ولست فى النهـاية تضحين بكرامتك حرصا على مصلحة أبناء من ان يتعـرضوا للضياع بينك وبين زوجك لكى تقبلى لنفسك مـا قبلت . أو حتى لكى تقبلى مجرد محاسبتـك على تأخـر الانجـاب ثـلاث سنوات فقط حملت خلالها ثـلاث مرات ولم يشأ لك ربك أن يكتمل الحمل . كأنما قد اخترت لنفسك ما تعرضت له من محن أو كأنما قد عاشرت زوجك خمسة عشر عاما ، ويئس نهائيا من تحقيق أمله فى الانجاب منك فاستأذنك على استحياء فى أن تسمحى له بالـزواج من أخرى من أجل الانجاب وخيرك بين الانفصال عنـه أو الاستمرار معه كما يفعل الآخرون فى نفس ظـروفه ، لكنك رغم ذلك قـد قبلت أن تقفـى مـوقف الـدفـاع عن نفسك ضـد الاتهام القاسى بالفشـل فى الانجاب ، وصاحبت زوجك طائعة إلى لقـاء رجل الدين

الفاضل لكى يستشيره أمامك فى أمر طلاقك ، ويغـادره مهموما شاردا لأنه لم يوافقـه على نيته ففيم كل هذا الايـلام . وكل هذا الهوان الـذى رضيت به لنفسك يا سيـدتى لقد قال الإمـام على بن أبى طالب « إذا رفعت أحـدا فوق قـدره فتـوقع منـه أن يضعك دون قـدرك » والمؤكـد أنك قـد رفعت بعض الأشخـاص بعين الحب فـوق قدرهم .. فـلا عجب أن رضـوا لك بمثل هـذا الايلام .

أما أسئلتـك الحائرة عن « الغدر » بدلا مـن المواجهة الشجاعـة وتحمل تبعاتها .. وعن لماذا يظلم الإنسـان لهذا فلابد أن نستمـر وأن نحيا.. ونعمل ونـواصل الطـريق ونتفتح للحياة من جـديـد عقب كل محنـة لنستقبل مؤثـراتها الجديدة.. ونتناسى معها أحـزاننا السابقة.. والأديب الايـرلندى العظيم برنارد شـو يميز بين الانسان العاقل وبين غير العاقل بمـدى قدرته على أن يتواءم مع الواقع المحيط به مهما كانت قسوته، فيقول أن العاقل هو الذى يتـواءم مع الواقع أما غير العـاقل فينتظر من الواقع أن يتـواءم معه.. ولهذا فإن أعظم انجازاته لن تزيد مهما فعل على مجرد الانتظار!

وأنت لم «تنتظـرى» والحمـد لله وإنما خـرجت للعمل وللحيـاة وأعـدت النظر فى تجربتك المؤلمة فرأيت فيها عن بعـد مالم يكن متاحا لك أن تبصريه وأنت فى بـؤرة آلامها. ولابأس بمحـاسبـة النفس ومـراجعة التجـارب التى نعيشهـا ثم تنتهى صفحتهـا ولكـن بشرط الا تستغـرقنـا إلى مـالا نهايـة وتستحوذ على تفكيرنا كل الوقت فتقضى علينـا بالحياة فى سجنها بدلا من أن تعيننا المراجعة على الاستفادة بدروسها.

وقمة شفائنا من آثارهـا الكئيبة هى أن تعبر ذكرى «أبطالها» فى مخيلتنا فـلا تثير فينـا الحنين إليهم.. ولا الحنق عليهـم، فحتى الكـراهيـة التى قـد تتحـول إليهـا مشاعـر الحب فى بعض المحن ليست سـوى شكل آخـر من أشكـال «الاهتمام» بمن غـدروا بنـا ولم يـرعـوا عهـدنـا، فى حين أنهم لايستحقون منـا فى الحقيقة بعـض هذا الاهتما حبا كـان أم كراهيـة، وهم «يموتون» حقا بالنسبة إلينا حين ننساهم تماما فلا تثير ذكراهم فى نفوسنا سوى مـاتثيره ذكرى آحاد الناس ممن لانحبهم ولا نكـرههم ولايعنينا من أمرهم شيئا. وسـوف تصلين إلى هذه المرحلة قريبا بإذن الله.


٣٠ قصة حب
واقعية
٣٠ قصة حب ٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب ٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب ٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب

جنة الاحلام



كـان ينبغى لى أن أكتب رسـالتى هـــذه إليك منـذ أربع سنـوات، لكنى أحجمت عن ذلك فى اللحظة الأخيرة، فأنـا مهندس شاب تخرجت منـذ أعوام وأعمل فى مجال مهنتى، وأستعـد للحصـول على الماجستير، ثم الـدكتـوراة بإذن الله.. وقد نشأت فى أسرة ميسـورة وتوفى أبى وأنـا طفل فى العاشرة من عمرى فتولت أمى تـربيتى حتى أتممت دراستى بتفوق وتخرجت فى كليتى ووافتها المنيـة بعد أن أتت رسالتها معى فحـزنت عليها حزنا شـديدا لأنها كانت سيـدة فاضلـة وأما رؤوما.. وقبل أن ألتحـق بكليتى الجامعية، كنت طالبا بمدرسة مشتركـة بين البنين والبنات بإحدى عواصم الأقاليم، فلفتت نظـرى خلال عـامى الأخير بـالمرحلة الثـانـوية فتـاة من مـدرسة البنـات الملاصقـة لنا، كل شىء فيهـا جميل من مـلامحها إلى تـدينهـا وأخلاقهـا وذكائها، حتـى أن مديرة المدرسة اختارتها كطـالبة مثالية ذلـك العام، وقد أعجبت بهذه الفتـاة كثيرا، وزاد من إعجـابـى بها أن علمت أنها من أسرة بسيطـة، وأن كل شقيقـاتها مثلهـا فى الأخـلاق والتفـوق، فـراودنى حلم الارتبـاط بهذه الفتـاة وأردت أن أتفـوق فى دراستـى لأكـون جـديـرا بها، وحصلت على الثانوية العامة بمجموع كبير أهلنى للالتحاق بكليتى العملية بعاصمة المحافظة، فى حين التحقت تلك الفتاة بكلية نظرية بمحافظة أخرى، وظللت رغم ذلك أتسقط أخبارهـا حتى علمت وأنا طـالب فى عامى الجامعى الثـانى أن هنـاك من يتقـدم لخطبتهـا. فصـارحت أمى وعمى بـرغبتى فى الارتبـاط بها ورحبـا بـذلك ولـو على سبيل الخطبـة إلى حين انتهـائى من دراستى، وذهبنا جميعـا إلى أسرتها لنطلب يدها.. فـرحب بى والدهـا وأمها كثيرا، أما هى فحين سألوها عن رأيها أبدت اعتـذارها عن عدم قبولى خطيبا لها، وفسرت رفضهـا بأنها تفضل أن يكون خطيبهـا أكبر منها سنـا وخبرة وحتى ولو كان فقيرا معدما، على أن يكون شـابا أو فتى مماثلا لها فى العمر والخبرة والتفكير.. إلخ.

وحـزنت لموقف فتـاتى هذا منى ورجعت إلى دراستى فلـم أحقق تفوقـا

دراسيـا فى ذلك العـام بسبب شرودى وأحـزانى، ولكنـى تمالكت نفسى وقررت أن أحـافظ على تفوقى لأتخرج وأعمل فى مهنتى وبعـد عامين علمت أن فتـاتى قد تمت خطبتهـا لشـاب من نفس البلـدة يكبرها بتسع سنـوات ويعمل بالخارج .. وعلمت من المحيطين بهذا الشـاب أنه شـاب طيب إلى حد السذاجـة، لكن أسرته معـروفة فى بلدتنـا «بأفعالها» المستنكـرة من شتائم وسب علنى وفضـائح أمام النـاس الخ، وتعجبت كيف قبلت به وأهلـه على هذا النحو.. خـاصة أنها سوف تقيم بينهم لأن زوجها سيغيـب عنها طوال العام فى عملـه بالخارج ولا يرجع إليها إلا فى الاجـازة.. وتساءلت هل علمت عن أهله هذه الطباع السيئة أم خدعوها وصوروهم لها كالملائكة؟.. وقررت أن تعرف فتاتى ما هى مقدمة عليه.. فـأوفدت إليها إحدى قريباتى لتوضح لها «حقيقـة» هؤلاء الأهل الـذين ستعيش بينهم، فما كان من فتـاتى إلا أن نهرتها وطلبت منها عـدم العودة لـزيارتها مـرة أخرى.. وبعد عـام من ذلك تـزوجت فتاتى وسط مشـاكل كثيرة ومضى على زواجها أربع سنـوات لم تفارقها فيهـا المشاكل والمتاعب يومـا واحدا مع أهل زوجها، إلى حـد تركها لفترة طـويلـة دون انفـاق عليهـا ولا على طفلهـا.. وقـد علمت بكل ذلك من المقـربين إلى زوجها، وعلمت أن فتـاتى تحيـا حياتها فى جحيم وسط هـؤلاء الأهل، فإذا رجع زوجها مـن عمله فى الخـارج لفترة قصيرة انقلبوا أمـامه إلى ملائكة وأحسنوا معاملتها، ثم تتكرر المأساة مرة أخرى بعد سفره وهكذا..

كما علمت أيضـا وعـن يقين أن فتـاتى قـد سـاءت أحـوالها الصحيـة والنفسية معا، وأنها قد كرهت حياتها وتـركت بيت زوجها ورجعت للاقامة مع أهلها بعـد أزمة حادة مع أحـد أفراد أسرته. وسعـدت كثيرا بما حدث!.. بل وتمنيت طلاقها هـذه المرة لكى ترافقنى بقية حياتى وأعـوضها عن هذه الفترة المظلمة مـن حياتها، لكن «لـلأسف» يا سيـدى ما أن عـاد زوجها فى أجازتـه حتى ضعفت أمام من توسطوا للصلح بينهما ورجعت معـه إلى هذا البيت الـذى ذاقت فيه الـذل والهوان.. وكالعـادة فلقد قضى معهـا زوجها فترة قصيرة ورجع إلى غربته وظللت أنا أتسقط أخبارها عن بعد وأتعجب!

ثم حـدث ذات يـوم كنت أسير فى الطـريق إلى عيـادة طبيب من أقـاربى فـوجدت سيـدة شـابة تبـدو مجهدة ومعتلـة الصحـة تنوء بحمل طفلهـا، وعـرضت عليها أن أحمل عنهـا الطفل، إلى أن تتمالك نفسهـا.. وقبلت ذلك

١٢

وأعطتنى الطفل فإذا بى أرى فيها فتاتى الجميلة بعد أن ترك الهم آثاره على وجهها، ودهشت من أنها لم تتعرف علىَّ.. ولم تكتشف أننى ذلك الشاب الذى رفضته منذ ست أو سبع سنوات لأنه يماثلها فى السن.. وذكرتها بنفسى فإذا بها ترتبك كأنما قد تورطت فى شىء لم تكن ترغب التورط فيه، وسألتها عن أحوالها فأجابتنى «كذبا» بأنها طيبة وعلى مايرام.. وعرفت أنها كانت فى طريقها إلى قريبى الطبيب لعلاج طفلها من أزمة معوية مفاجئة فاصطحبتها إليه ولم اتركها إلا بعد أن اطمأننت على طفلها واستعاد الطفل بعض حيويته، وعند ذلك فاجأتها بأننى أعرف كل صغيرة وكبيرة عن حياتها الزوجية التعيسة، وأننى اتمنى طلاقها لأتزوجها وأعوضها عن حياتها هذه بحياة جديدة كالجنة، فإذا بها ترتبك أكثر وتعتصم بالصمت للحظات مضت علىَّ طويلة ـ ثم تجيبنى بعد ذلك بأن ابنها هذا أهم لديها من جنة الأحلام التى أعدها بها. ولم تفلح محاولاتى معها لاقناعها بأن طفلها هذا سوف ينشأ ويتربى بيننا وأننى سوف أكون أبا مثاليا له.. وانتهى الموقف بيننا بانصرافها وهى تحمل طفلها دامعة العين.. وانتظرتها فى يوم المتابعة أو الاستشارة الطبية الذى حدده لها قريبى الطبيب فلم تأت.. وأدركت أنها تتهرب منى وتتجنب اللقاء وتبيع من اشتراها وتشترى من باعها، مع أننى لا أريد لها إلا الخير.. فكيف ترفض أن تخرج من هذا الجحيم الذى تعيش فيه لتهنأ بحياتها داخل جنة نظيفة ومع زوج يحبها ويتمناها مع تأكيدى لها أننى لن أبخل عليها ولا على طفلها بشىء.. وبماذا تفسر هذا الموقف «الغريب» من جانبها؟

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

ليس من النبل أن تعرض على زوجة رجل آخر وأم لطفل منه أن تخرج من «الجحيم» الذى تعيش فيه مع أهل هذا الزوج، لكى تدخل الجنة الموعودة معك لتعوضها فيها عن كل ما عانته فى سابق أيامها من آلام ! .. فهذا العرض الذى تتحدث عنه ببساطة عجيبة هو بالتحديد ما ينطبق عليه وصف جريمة الغواية لزوجة محصنة لتهدم بها أسرتها الصغيرة وتحرم طفلها من أبيه الطبيعى ، وتحرم هذا الأب نفسه من طفله وزوجته وأسرته الآمنة ! .. وإذا كان الرسول الكريم ﷺ قد نهى عن أن « يخطب أحدكم على خطبة أخيه » أى عن أن يتقدم أحد لخطبة فتاة يعلم علم اليقين أن أخا له من

بنى البشر قد خطبها لنفسه ولقى منها القبول به . فماذا تقول عن هذا العرض « البرىء » الذى عرضته عليها ؟ وكيف تعجب لرفضها الخروج من « الجحيم » الذى تعيش فيه لتدخل جنتك الموهومة هذه ؟ .. إنك تطلب منى تفسيرا لموقفها هذا منك ، وأرانى مضطرا لمصارحتك بما تكره أن تتفهمه أو تقبل به من حقائق الأشياء لأحميك من شر نفسك ومن الاستسلام لأوهامك هذه إلى مالا نهاية .

ان الحقيقة التى ينبغى لك أن تعترف لنفسك بها وألا تخجل منها لأنها لا تمس اعتبارك فى شىء هى انك لم تمثل بالنسبة لهذه السيدة الفاضلة شيئا ذا بال فى يوم من الأيام ، ولم يتجاوز شأنك فى حياتها شأن فتى تقدم لخطبتها وهى مازالت طالبة ، فلم يقتنع به عقلها ولم ترحب بالارتباط به ، ولم ينشغل به فكرها لأكثر من لحظات ، فى حينها . فإذا كنت قد اعتبرتها منذ ذلك الحين « فتاتك » وانشغلت بأمرها وسعيت بعد ذلك لإفساد خطبتها لزوجها بإيفاد سفيرة خاصة إليها ، فطردتها شر طردة ولم تسمع لها .. فهذا شأنك وحدك ولا دور لهذه الفتاة ولا مسئولية عليها فى اهتمامك بأمرها بعد ذلك ولا فى تتبعك لأخبارها .. ولا فى « سعادتك » الشريرة بمتاعبها مع أهل زوجها ، أو فى حلمك الآثم بطلاقها لكى تتزوجها وتتشارب معها كئوس السعادة وتصبح « أبا مثاليا » لابنها !

فلقد جرى كل ذلك فى داخلك انت وبلا أى دور لها فى ذلك .. ورغائبنا فى الأشياء لا تكفى وحدها لأن ننالها إذا كانت تتعلق فى نفس الوقت بإرادات الآخرين واختياراتهم لأنفسهم وحياتهم وتطلعنا المحموم إلى هدف من الأهداف لا يعطينا حقا مشروعا فيه إذا لم يكن المطلب عادلا ومشروعا . وانت مهموم بأمر نفسك ورغبتك فى هذه السيدة الفاضلة طوال الوقت إلى حد أن أعماك ذلك عن أن حلمك الآثم فيها لو تحقق فلسوف ينعكس ذلك بأبلغ الضرر على زوج وأب لا حيلة له فى « افعال » أهله التى تتحدث عنها ، ولا ذنب له فى شغفك بزوجته وتطلعك لهدم أسرته لغير شىء سوى أن تحقق لنفسك أمنية قديمة فى فتاة أعجبت بها على البعد وهى طالبة ورفضتك حين تقدمت إليها .. فماذا تكون الأثرة والأنانية التى لا تضع اعتبارات الآخرين فى تقديرها سوى ذلك ؟

إنك تتحدث عن زوجة محصنة وأم لطفل وتقول عنها إنها « فتاتك » ..



مع أنها لم تكن يوما كذلك ولن تكون .. فـأين حسن تقديرك للأمور .. وأين تفهمك الصحيح لحقائق الأشيـاء . وهذه السيدة الفاضلـة لم تتعرف عليك حين التقت بك مصادفة بعد سنوات من زواجها ، ولم تميز حتى ملامحك ، كما أنها لم تخطب لك ذات يـوم وكان رفضهـا لك أسرع إليها من القبـول ، فبأى حق تـدعـوها فتـاتك ، وتتمسك بـالأمل فيهـا بدعـوى أنها تعيش فى «الجحيم » مع أهل زوجهـا .. ومن الـذى يعطينا الحق فى الحكم على حياة الآخـرين بالسعـادة أو الشقاء وهم أدرى بها منـا وأقدر على الحكم عليهـا منا؟

إن لكل إنسان سعادته الخاصـة التى لا يستطيع أحد غيره أن يقدرها .. وهذه الـزوجة الفاضلـة من أصحاب القلـوب الحكيمة الذين لا ينخـدعون بظـواهر الأشيـاء .. ولا تستريح نفوسهم للطـرق الملتويـة فى الحياة ، وقـد صارحتك بلا تردد بأن طفلها أهم لـديها من « الجنة » التى تدعوها إليها .. وتجنبت بعـد ذلك زيـارة نفس الطبيب فى مـوعـدهـا المحـدد لكى تتفـادى الالتقاء بك مـرة أخرى والتـورط فى حديث مع رجل عـرفت الآن بما لا يدع مجالا للشك أنه مازال يـرغب فيها وهى سيدة أمينة لا تقبل لنفسهـا خيانة زوجها بالحديث مع رجل آخر تعلم شدة رغبته فيها .

فماذا تتـوقع منـا إلا أن نـؤيـدهـا فيما فعلت ونتفهم حكمتـه ومغـزاه الأخـلاقى ونعجب بهما ؟ يا صـديقى الشـاب أن من هموم الحياة وآمـالها وآلامها مـالا ينبغى معه لشـاب مثلك أن يطرحـه وراء ظهره ويضـع نصب عينيه شيئـا واحدا فقط هو الفوز بـزوجة رجل آخر وهـدم أسرته وتمزيق طفله بين أبويه بدعوى أنه سوف يعوضها عن تعاستها الزوجية ، مع أنه لا ضمان للسعادة بالكلمات والـوعود .. ولا سبيل للحكم عليها إلا بـالتجربة والمعايشة وحسن تفهم الأمور .

واستغراقك فى ذاتك على حساب حقوق الآخرين لا يبشر بحسن التقدير ولا بـاستعدادك للتنـازل عن بعض اعتبـاراتك عنـد الضرورة لكى تمضى السفينـة فى بحـر السعـادة والأمـان ، فـلا تكن ممن يتـوهمون أن كل مـا يرغبون فيه هو « العدل » الذى لا يأتيه الباطل من أمامه أو ورائه ، ولا تكن ممن يعتبرون رغبـاتهم فى الأشياء « إرادة سنيـة » .. يجب أن تستجيب لها الأقدار بلا مراجعة .. وشكرا لك إن فعلت والسلام .

لعلك مازلت تذكرني .. فلقد كتبت إليك رسالة نشرتها فى أواخر عام ١٩٩٠ بعنوان «طائر الألم» وكانت عن ظروف وقتها كزوجة شابة وطبيبة أصيب زوجها الشاب المهندس بعد فترة قصيرة من الزواج بالفشل الكلوى، وكنت فى ذلك الوقت فى شدة الضيق والكرب وأنا أرى زوجى يتألم أمامي ويصرخ من ألمه ويبتهل إلى الله أن يأخذه إلى جواره ليرحمه من عذابه ، وقد رويت لك كل ذلك وتساءلت فى رسالتى قانطة : لماذا أبدا حياتى الزوجية أنا وأطفالى بالألم .. ولماذا لا يرحمنا الله برحمته وحنانه الذى يفوق حنان الأم على وليدها ، وقد رددت أنت علىّ وقتها ـ أكرمك الله ـ ردا كالبلسم الشافى وطالبتنى كلما اشتد بى الكرب أن أردد دعاء سيدنا يونس وهو فى جوف الحوت الذى استجاب له ربه وفرج به كربه وهو « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » .. وأن أذكر أيضا الآية الكريمة « إنا كل شيء خلقناه بقدر » وتكرمت أكثر من ذلك بالاتصال بى بعد النشر فى مدينتى ذات مساء تسأل عما إذا كنت فى حاجة لأية مساعدة لدى وزارة الصحة فى العلاج أو أية مساعدة أخرى .. فأعجزنى كرمك عن الرد وقلت لك شاكرة إن رسالتى لم تكن سوى نوع من الفضفضة وإطلاق البخار المكتوم فى الصدور .

ومنذ ثلاث سنوات هممت بأن أكتب إليك مرة ثانية لأخبرك بأن أحوالنا مستقرة والحمد لله ، وأن زوجى يقوم بعملية الغسيل الكلوى بانتظام، بعد أن باءت محاولات التبرع له بكلية من الأقارب بفشل تام ، وبعد أن عزف زوجى عن إجراء عملية الزرع بعد مشاهدته خلال عملية الغسيل لبعض حالات لم يحقق فيها الزرع نتائج طيبة ، فاتفقت مع زوجى على أن نرضى بالواقع كما هو وبأن نسلم معا أنه لو كان مقدراً لنا أن نحيا يوما واحدا أو شهرا أو سنة فلنعش هذا اليوم أو تلك السنة فى سعادة كاملة ، ولنحاول أن نخلق نحن سعادتنا بأيدينا ونستمتع بها وبكل لحظة منها .. وقد كان .. وكانت النتائج باهرة أيضا وفوق مستوى الخيال فلقد يسر الله لنا كل

ما أردناه وفكرنا فيه ، فإذا أردنا مثلا أن نستكمل بعض الأشياء الناقصة فى شقتنا أو نجدد شيئا فيها .. نجد التدابير الإلهية قد يسرت لنا ما أردنا من حيث لا ندرى ولا نحتسب ، ولو كنا حين فكرنا فى ذلك لا نملك ثمن ما نريد أو تكاليفه ، وإذا أراد زوجى أن ينشىء مشروعا صغيرا فى حديقة البيت ليشغل به نفسه ويشعر بأنه عضو نافع فى المجتمع ، أكرمنا الله سبحانه وتعالى بتحقيق هذه الرغبة ومن أيسر السبل .. وبأسرع الخطوات ، ومن حيث لا نعرف كيف استطعنا ذلك ، ولا كيف تهيأ لنا تنفيذه . بل إن زوجى قد شجعنى أيضا على استكمال دراساتى العليا التى انقطعت عنها حين أصيب بالمرض .. وشجعنى أيضا وأعاننى على إنشاء عيادة خاصة بى أشعرتنى بنجاحى وتمتعت ـــ والحمد لله ـــ بحب واحترام كل من يعرفوننى . أما على مستوى الحياة الأسرية فلقد تعلق زوجى بى تعلقا شديدا كتعلق الطفل الصغير بأمه حين يتشبث بذيل ثوبها ويمضى وراءها من مكان إلى مكان وتلازمت أنا وزوجى فى كل أوقاتنا وشئون حياتنا فلا أفعل شيئا دون مشورته ولا يفعل هو أيضا شيئا بغير استشارتى ، وكان ينتظر كل يوم عودتى من العمل فى لهفة وينتقل ورائى من مكان إلى مكان فى البيت وهو يسألنى كيف كان يومى فى العمل ويطلب منى أن أحكى له كل ما جرى لى منذ غادرت البيت وماذا فعلت .. وماذا قلت وماذا سمعت ويتلذذ بسماع تقريرى هذا ويشاركنى الاهتمام بكل صغيرة وكبيرة فى حياتى .. ثم أصبح اسمى لا يغيب عن لسانه لحظة ، ولا يكف عن النداء علىّ إذا غضب أو ضحك أو خاصم ! .. إذ حتى خلافاتنا القصيرة العابرة كانت تثير الضحك بيننا أكثر مما تثير الغضب والمودة ، أما فى الصباح فهو يصحو مبكرا ويعد لى طعام الإفطار بنفسه ويطعمنى بيده ، وإذا كانت حالته الصحية جيدة أعد لنا أيضا طعام الغداء ، وداعب طفلتينا مداعبة ظريفة لم أرها من أحد قبله حتى تعلقت به الطفلتان بأكثر مما تتعلقان بى .

أما فى لحظات الألم ـــ وما كان أقساها ـ فقد كنت أضاحكه وأبشره بأن مآله الجنة لا ريب فيها لصبره على المرض أولا .. ولصبره علىّ أنا زوجته المشاكسة ثانيا .. لكن هيهات حتى فى ذلك أن يفلت منى فسوف أطارده فى جنات النعيم حتى يفضل عليها نار السعير! .. فينظر إلىّ طويلا وهو يغالب

ألمه ويتحمله بصبر الصابرين ويقول لى متأثرا إنه ليرجو من الله العلى القدير أن أكون زوجته أيضا فى الدار الآخرة . كما كنت زوجته وشريكته فى الحياة الدنيا .

وهكذا عشنا أيامنا يا سيدى نتحمل نوبات الألم والتدهور بصبر .. ونسعد بأيام التحسن واعتدال الصحة ، ونستمتع بكل لحظة من حياتنا معا .. ونشعر فى كل لحظة بأننا نتبادل أنبل المشاعر ويحمل كل منا للآخر أجمل وأحلى الأحاسيس .

لكن أوقات السعادة قصيرة دائما يا سيدى ، ولو طالت كما تقول أحيانا فى بعض ردودك ، ولقد انقضى هذا الحلم القصير فجأة ليلة عيد الفطر الأخير ، ورحل زوجى عن الحياة وهو فى التاسعة والثلاثين من عمره ، بغير أن « يفرح » يوما بشبابه ، وبعد رحلة معاناة مع المرض استغرقت عشر سنوات كاملة هى كل عمر زواجنا .. نعم رحل زوجى وحبيبى وصديقى وسكنى وسندى وسترى وغطائى وهو يهتف باسمى مستغيثا وغربت شمس حياتى التى كانت تمدنى بالدفء والأمان . ولم أعلم قط هل رحل عن الدنيا وهو راض عنى أم لا ، وهل قصرت فى حق من حقوقه أم ترانى قد وفيت له بحقه علىّ .. وبعد مرور الأيام المريرة الأولى أنزل الله سكينته فجأة فى قلبى وألهمنى الصبر من حيث لا أدرى أيضا ولا أحتسب فلم أعد أشعر إلا وكأن زوجى قد خرج من البيت إلى شأن من شئونه وسوف يعود بعد قليل ، ولا غرابة فى ذلك ، فلقد ترك لى رصيدا ضخما من الذكريات الجميلة والحكايات الحلوة والنوادر الطريفة التى تضحكنا وتعزينا فى نفس الوقت عن افتقادى الشديد لصحبته .

ولقد كتبت لك هذه الرسالة لكى أوجه نداء إلى كل الأزواج والزوجات أن استوصوا بشركاء الحياة خيرا خاصة المرضى منهم ، ولا تؤجلوا العطف عليهم والرحمة بهم إلى موعد لاحق ، لأن الأعمار قصيرة ولا تبخلوا عليهم بالمودة الخالصة ولو طال بهم المرض ، فالمريض هو بركة البيت ووديعة الله التى أودعها بين أيدينا والتى يستردها إليه متى يشاء ، فإذا كنا نحافظ على « أمانة » بعض البشر إذا استودعونا إياها ، فكيف بأمانة الله حين يأتمننا عليها .. رحم الله زوجى الحبيب وغفر الله لى إذا كنت قد قصرت فى بعض حقه والسلام عليكم ورحمة الله .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

من أنبل أحوال الإنسان أن يشعر أحيانا بالرغبة الصادقة فى أن يفيد الآخرين بدروس تجربة الألم الذى عاناه ، لعلهم يتفهمون « الرسالة » ويتفادون الأشواك قبل فوات الأوان .. ورسالتك الحزينة هذه يا سيدتى تقول لنا الكثير والكثير مما يستحق أن نتأمله ونتفكر فيه طويلا ، إذ تقول لنا بأبلغ عبارة : انتهزوا فرصة الأيام فإنها لا تطول ، ولا تفسدوها عليكم وعلى شركاء الحياة ومن حولكم بالشقاق والجفاء والنزاع حول أتفه الأسباب .. واملأوا عيونكم من وجوه الأحباب والأعزاء فلعلكم لاترونهم بعد حين ، وارتفعوا فوق الصغائر والدنايا والسفاسف لتجعلوا من رحلة العمر إبحارا سعيدا فى بحر السلام ، فغدا سوف تصل السفينة إلى مرفئها الأخير ويفترق الركاب .. فإذا كان الأمر كذلك .. ومنذ قديم الزمان ، فلماذا نفسد على أنفسنا غالبا أيام الرحلة القصيرة بالتشاحن والأحزان والإيلام؟.. ولماذا لانرضى بما سمحت لنا به الحياة من أسباب ونستكشف أسرار الهناء فيها ونقنع بها .. ولماذا لا يجعل كل منا من « فرصة » الأيام المتاحة له ذكرى جميلة يتأسى بها الآخرون وترقد قلوبهم حين يسترجعونها بعد المغيب ؟ .. بل ولماذا أيضا لا نستمتع باللحظة الطيبة الراهنة مهما كانت خاطفة ونفسدها أحيانا على أنفسنا بالخوف المرضى من المستقبل المجهول أو بجلد الآخرين بسياط الكدر والتجبر وجرح المشاعر؟!

إن هذا هو بعض ما تقوله لنا رسالتك النبيلة هذه، لكن آفة الإنسان دائماً هى النسيان، ومن أسف أن البعض قد يتعامل مع الحياة فى بعض الأحيان وكأنها رحلة أبدية لانهاية لها، فيتمادى فى الحمق واللجج والإيلام، حتى لتصبح الحياة بدونه أكثر سلاما وأقل عناء بالنسبة للآخرين منها فى حال وجوده بها، ولو توقف الإنسان لحظة وتذكر أنه ليس سوى راكب فى قطار قد يغادره فى أية لحظة لتعفف عن كثير من الدنايا والضغائن ولحاول أن يجعل رفقته لمن حوله صحبة هانئة، وذكرى طيبة ترق لها القلوب حين تستعيدها فى قادم الأيام إذ أى «ذكرى» يتصورها لنفسه من كانت حياته وأيامه وبالا على من حوله وهم عادة أقرب الناس إليه؟

وبماذا «ينوح» عليه من أحال حياتهم ولياليهم إلى جحيم كجحيم السعير إذا حم عليه القضاء بعد حين؟

أما أنت يا سيدتى وزوجك الراحل يرحمه الله.. فلقد فهمتما جيدا حكمة الحياة وسرها المكنون حين تراضيتما على القبول بأقداركما والاستمتاع بكل لحظة من عمر السعادة المتاح لكما، فنعمتما معا بأطيب الأوقات حتى فى لحظات الألم، وتبادلتما أجمل المشاعر، وتعاونتما معا على عناء المرض وآلامه.. وكل منكما يشعر بسعادته فى العطاء للآخر كما ينبغى دائماً أن يسعد بذلك المحبون الصادقون، والأديب الفرنسى جى. دى. موباسان يقول لنا انه حين يتحاب إثنان حبا صادقا ونبيلا، فلن يسعدهما شىء أكثر من المنح والعطاء.. كل منهما للآخر، فيعطى المحب كل شىء لمحبوبه ويشعر بلذة المنح، ويخاطر بكل شىء لإسعاد من يحب.

ولقد أعطاك زوجك الراحل الكثير والكثير من قلبه ومشاعره وحياته، وأعطيته أنت أيضا الكثير والكثير من نفسك وقلبك وعطفك وحنانك، حتى لم تعد تهنأ له أوقاته إلا فى القرب منك، فهل كثير على من كان مثلكما ورضيا بأقدارهما وصدق عزمهما معا على الاستمتاع بكل رشفة من رشفات كأس الأيام، أن ييسر الله سبحانه وتعالى لهما كل ما يريدان، فيحققا لنفسيهما كل ما أراداه وما حلما به قبل أن تعزف موسيقى الحياة أناشيد الختام؟.. وهل تتشككين حقا فى أن شريك حياتك قد غادر الحياة وهو عنك راض، وهو الذى تمناك صادقا زوجة له فى الآخرة كما كنت زوجة طيبة ومخلصة له فى الدنيا؟.. لقد قرأت رأيا لمفتينا الجليل فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى، يقول فيه إن أزواج الدنيا يلتقون فى الآخرة إذا كانوا صالحين، فكيف لايلتقى أمثالكما فى دار النعيم وقد كنتما حقا من الصالحين؟

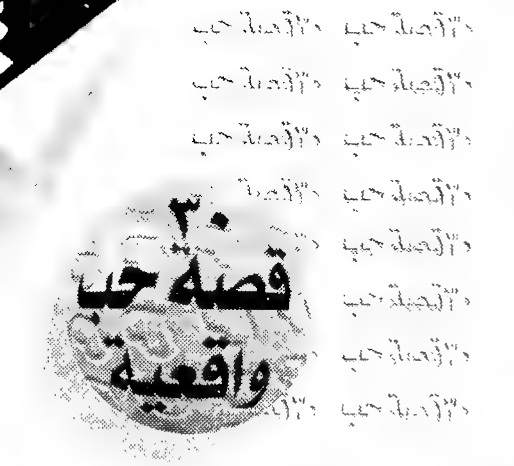
لقد أنزل الله عليك سكينته يا سيدتى امتدادا لتقبلك منذ البداية لأقدارك وتسليمك بها بلا سخط ولا شكوى.. ومن رضى فله الرضا.. ومن سخط فله السخط كما جاء فى مضمون الحديث الشريف.. وفى دفء الذكرى الجميلة.. تجد القلوب الحزينة بعض سلواها وبعض قدرتها على مواجهة تغير الأيام التى لا تستقر على حال واحدة فى كل الأحوال.

وهذا موقف دينى ونفسى وعقلى حكيم وسليم من الحياة يسمح للعاقل وحده بأن يرضى عن كل ما حملته إليه أمواج الحياة، وبأن يتذكر عند اشتداد الأنواء ماسبق أن نعم به فى أوقات الصفاء، فيشكر ربه على كل حال، ويطلب عونه على ما يوجهه من عناء ويذكر نفسه بقول الشاعر العربى البهاء زهير:

لا تعتب على الدهر فى خطب رماك به
إن استرد فقد طالما وهبا
حاسب زمانك فى حالى تصرفه
تجده أعطاك أضعاف الذى سلبا

لكن متى تعامل الإنسان مع الحياة بهذه النظرة الحكيمة الراضية؟.. ومتى تذكر ما أعطاه الدهر، وهو يندب ما سلبه منه.. فلا يذكرن شيئا إلا ما فقد!

لكن هذه قصة أخرى لا مجال لها الآن.. ورسالتك نفسها محاولة مشكورة لتنبيهنا إلى أن «نتذكر» نحن أيضا فى أوقات الضيق، ما سبق أن سخت علينا به الأيام فى حال الرضا فنقبل بأقدارنا فى «حالى تصرفها» وليس فى حال الإقبال والمنح فقط.. فشكرا لك عليها.. ودعاء لك من القلب بأن تعوضك الأيام عن كل ما سلبته من هنائك وأمانك وسعادتك.. والسلام...



النبع القديم

فكرت فى أن أكتب إليك منذ ثمانى سنوات.. ثم جرفتنى الأحداث وعدلت عن رغبتى إلى أن جد ما يدعونى لها منذ فترة قصيرة. فأنا جامعية أعمل فى مجال مهنى له طبيعة عملية وقد نشأت فى أسرة من أسر الطبقة المتوسطة التى تجعل من الأبناء هدفها الأول وتوفر لهم مطالب تعليمهم على حساب احتياجات الأبوين، وكنت كبرى أخوتى الثلاثة فتخرجنا جميعا فى كليات عملية وحققنا لأبى الموظف بإحدى الوزارات وأمى ناظرة المدرسة الابتدائية أملهما فى الحياة، وأسعدناهما لقاء ما قدما لنا من حب ورعاية وتضحيات غالية، حتى كان أبى وأمى يذهبان ويعودان من عملهما من اليوم الثالث فى الشهر وليس فى جيب أحدهما جنيه واحد بعد دفع الايجار والكهرباء ومصروف الأبناء ونفقات دراستهم وديون البقال والجزار إلخ. ورغم ذلك فلقد كان بيتنا دائما من أنظف البيوت ومفتوحا للأهل والأقارب، وكنا نرتدى أجمل الملابس فى حدود قدراتنا وكانت «البركة» تعشش على بيتنا فتمضى به «مستوراه» إلى نهاية الشهر. والحب يظلله فلم أر أو أسمع فى بيتنا كلمة نابية ولم نشعر نحن الأبناء الأربعة فى يوم من الأيام بوجود نزاع أو خلاف بين أبى وأمى، حتى تمنيت حين اقتربت من سن الشباب أن أتزوج رجلا طيبا حنونا مثل أبى وأعيش معه فى وئام حتى نهاية العمر. وتخرجت فى كليتى وأنا فى الحادية والعشرين من عمرى وعملت بإحدى الهيئات، وتعاملت مع الزملاء بروح الود والاحترام التى تربيت عليها فى أسرتى وخلال شهور من التحاقى بهذه الهيئة اقترب منى زميل بالإدارة جمعنا معا عمل مشترك فى أكثر من مشروع ولقى عملنا نجاحا وتشجيعا من رؤسائنا، فأصبحوا يختاروننا معا لإعداد مثل هذه المشروعات ثقة فى قدراتنا. وأثمر التعاون المستمر بيننا فى العمل ثماره المتوقعة، وصارحنى زميلى بإعجابه ورغبته فى الارتباط بى ولم أكتم عنه فرحتى وصارحته بأننى قد تمنيته لنفسى منذ تلازمنا فى العمل واكتشفت مميزاته وقدراته التى أثارت إعجابى. وكانت المشكلة الوحيدة التى دفعته للتردد فى طلب يدى هى ضعف إمكانياته المادية وشكه فى أن تقبله أسرتى كما يوحى له

بذلك مظهرى ووظيفة أبى الكبيرة، وطمأنته من هذه الناحية، وشجعته على لقاء أبى، فجاء إلى بيتنا خجولا مترددا، ورحب به أبى ترحيبا حاراً أشعره بالاطمئنان والثقة، وحين جاء موعد الحديث عن الماديات سأل زميلى أبى عن طلباته منه ففوجىء بأبى يسأله عما معه من مدخرات ويؤكد له أنه لايريد أن يرهقه بالاستدانة وإنما يقبل منه مامعه ولو كان بضعة جنيهات، لأن «المادة» لاتصنع سعادة وإنما يصنعها التفاهم والوئام بين الطرفين.

وتزوجنا خلال عامين تشاركنا خلالهما فى إعداد متطلبات الزواج وشقة الزوجية، وسعد أبى وأمى وأخوتى بزواجى وتعاونوا جميعا على تقديم كل ما فى طاقتهم لإتمامه، وبدأنا حياتنا الزوجية مستبشرين بكل خير. وتبادلت مع زوجى الحب والإخلاص، وكشفت لى العشرة المشتركة عن باقى جوانب شخصيته، فوجدته إنسانا طيباً أقرب إلى طبيعة الأطفال ويشعر بخوف غامض من المستقبل ويحتاج إلى صدر حنون يشعره بالثقة فى نفسه وفى الحياة، وفسرت ذلك بطفولته التعيسة التى عاشها بين أبوين منفصلين وبالحرمان المادى الذى عانى منه معظم فترات حياته. وتأكدت من ذلك حين فوجئت بزوجى بعد أيام من الزواج يصارحنى بأنه لايريد الانجاب قبل خمس أو ست سنوات حتى لا يعوقنا عن تحقيق نجاحنا المهنى، ولكى نوفر لأنفسنا وأطفالنا مستوى أفضل للحياة، وحاولت اقناعه بخطأ هذه الفكرة وبحاجتى العاطفية لإنجاب طفل فلم أنجح معه، فقد كان ينهى المناقشة دائما بأنه لايريد أطفالا قبل أن يوفر لهم الحياة المناسبة حتى لايعانوا ما عانى منه فى طفولته.

وسلمت لرغبته رغم عدم اقتناعى بها، ورفضت نصيحة أمى بالحمل ووضعه أمام الأمر الواقع احتراما لرغبته وتعففاً عن خداعه، وشجعنى على ذلك أننى وزوجى كنا نمضى معا ساعات طويلة كل يوم فى العمل، ولا نكاد نفترق بعده، مما أشعرنى بامتلاء حياتى وثرائها.

ولاحظت بسعادة أن زوجى يزداد اعتمادا علىّ فى كل شئون الحياة حتى ليبدو «تائهاً» لو اضطررت للسفر لمدة يومين بمناسبة عائلية. وأنه كان إذا عمل فى مشروع خاص به فى العمل لا يطمئن إلى نتيجة عمله إلا إذا أكدت له سلامته وجودته.

ومضت الحياة بنا فى سعادة ونجاح فى العمل وتحسنت ظروفنا المالية كثيرا وأكملنا تأثيث شقتنا واشترينا سيارة صغيرة وترقى زوجى فأصبح

رئيسا لقسم من أقسام العمل. وأصبحت أنا رئيسة لقسم أصغر بغير أن يتوقف التعاون بيننا، وذكرت زوجي بوعده لى بالإنجاب بعد تحسن الأحوال بعد مضى ٥ سنوات على زواجنا فاستمهلنى عامين آخرين بالرجاء والتوسلات الحارة، وبعد عامين رجعت للإلحاح عليه بأمنيتى القديمة خاصة وقد قاربت الثلاثين فوافق بلا حماس وحملت فلم يكتمل حملى لللأسف وتعرضت لمتاعب صحية انتهت باجهاضى بعد أربعة شهور، وحزنت لذلك حزنا شديدا أما زوجي فلم يكترث لما حدث ولم يحزن، وحاول اقناعى بعدم تكرار المحاولة تجنباً للمشاكل الصحية لكن حلم الأمومة ظل يراودنى بإلحاح، وتنقلت بين الأطباء طلبا للعلاج.. وعرفت منهم أننى أعانى من بعض المشاكل فى الإنجاب لكن فرصتى ليست ميئوساً منها.. وأننى لو كنت قد بدأت الحمل والعلاج فى سن مبكرة لكانت فرصتى أكبر وشعرت حين عرفت بذلك ببعض اللوم لزوجي الذى أصر على تأجيل الإنجاب منذ البداية، لكن حبى له لم يتأثر، بل ازددت تعلقاً وارتباطاً به بعد أن أصبح هو طفلى الوحيد فكررت محاولة الحمل والاجهاض ثلاث مرات وكلها تمت رغم معارضة زوجي، وفى النهاية صارحنى بأنه لا يحب الأطفال ولا يريدهم ولا يستطيع تحمل مسئولياتهم وأنه يريدنى له وحده كل الوقت، وسلمت بإرادة الله وكففت عن المحاولة بعد تحذير الطبيب لى من خطورتها آخر مرة وتركزت كل آمالى فى زوجي وفى عملى وأصبح كل نجاح يحققه فى عمله عزاء جديداً لى عن حرمانى من الانجاب، ولم يكف زوجي أبداً عن تذكيرى بأننا لو كنا قد انشغلنا بمتاعب الحمل وتربية الأطفال من البداية لما كان قد حقق ما حققه من نجاح.. ولما حققت أنا ما حققته من تقدم، وكنت أقنع نفسى بما يقول حتى لا أزيد من حرمانى.. وتسليت عن ذلك بعملى ومتابعة عمل زوجي ومساعدته فيه وبأطفال أختى الصغرى وأخى الأوسط، وكان يسعدنى كثيراً أن ألمس ما يناله زوجي من احترام فى مجال عملنا حيث يشهد له الجميع بالنبوغ والابتكار ويشيدون بقدراتى واجتهادى.

وكان لزوجي قريب شاب من الفرع الثرى فى أسرته فى حين كان زوجي من الفرع الفقير فيها، فجاء إلىّ هذا القريب ورجانى أن أوصى زوجي بزوجته الشابة التى عينت حديثا فى إدارته لكى يمنحها بعض خبرته فى مجال عمله ويرسخ أقدامها فى المهنة. وكنت أحترم هذا القريب لما سمعته

من زوجي من أنه أحب زوجته وهو طالب معها فى الجامعة، وكانت من أسرة مكافحة للغاية فأقنع بها والديه بعد عناء كبير وتزوجها وتكفل بكل نفقات الزواج وحده ونقلها من حياة شديدة التقشف إلى حياة مريحة وأحبها بإخلاص ولم يشعرها ذات يوم بأنه أفضل منها فى شىء رغم الفارق الاجتماعى الكبير بينهما.

فحدثت زوجي بشأنها فلم يتحمس لمساعدتها وقال لى عنها أنها فتاة انتهازية كانت مخطوبة لشاب مكافح مثلها وساعدها كثيراً مادياً فى دراستها، ثم رأت فى قريبه فرصة أفضل لحياة أرقى فتخلت عن خطيبها الذى ارتبطت به ثلاث سنوات بمجرد أن شعرت بتمكنها من قلب قريبه الشاب ولم تتردد ولم تضعف أمام توسلات خطيبها السابق، بل انقلبت عليه تحاربه وتستثير ضده أهلها حتى ارتد عنها يائساً وكافراً بالحب والإخلاص. ووجمت لما سمعت منه لكنى رجوته أن يجامل قريبه بمساعدتها فى أضيق الحدود. وجاءنى قريب زوجي ومعه زوجته ليشكرانى فترددت بين الترحيب بها والنفور منها لما سمعته عنها، لكنى لاحظت أن ما قاله زوجي عنها صحيح إلى حد كبير فقريبه هو المتيم بها أما هى فجامدة المشاعر ومسيطرة عليه بشكل واضح ورغم تحفظى معها فلقد راحت تطاردنى فى الإدارة التى أعمل بها وتجاملنى فى المناسبات، وفهمت أنها تحاول التعبير عن وفائها لى لأن زوجي قد قام بتدريبها فعاملتها بأدب وتحفظ فى نفس الوقت، ومضى عامان اشتريت خلالهما سيارة صغيرة لتنقلاتى.. ثم فوجئت ذات صباح بقريب زوجي يدخل علىّ مكتبى وهو منهار ومهوش الشعر وعيناه محمرتان، ويروى لى فيما يشبه الهذيان أن زوجته المحبوبة قد هجرت البيت وتركت له طفله الوحيد وتطلب الطلاق بإصرار، وتعجبت لما قال وتألمت لحاله وسألته عن سبب هذه الكارثة فسألنى مذهولا: ألا تعرفين حقا؟ فأكدت له عدم معرفتى بالسبب فإذا به يقول لى أن زوجته قد استولت على عقل زوجي وأنه يعتزم أن يطلقنى ويتزوجها بعد طلاقها منه!

ومادت بى الأرض وهو يتحدث معى حتى خيل إلى أننى أراه أكثر من شخص واحد أمامى، ورفضت تصديقه بل ونهرته صارخة وتركته فى مكتبى وهرولت إلى المبنى القريب الذى تقع فيه إدارة زوجي ودخلت عليه مكتبه فإذا بى أجدها جالسة أمامه تضع ساقا فوق ساق والسيجارة فى

يدها والابتسامة العريضة تغطي وجهها، وارتعب زوجي حين رآني واصفر وجهه أما هي فقد ظلت محتفظة بهدوئها وثباتها ونهضت بتثاقل وقالت: «عن اذنكم» ثم خرجت بخطوات بطيئة كأن الأمر لا يعنيها فى شىء!

وقبل أن انطق بكلمة واحدة سمعت زوجي يقول لى بصوت مرتجف: ارجوك.. لا داعى للمشاكل فى العمل.. ولنخرج معا لنتحدث فى الخارج». وخرج معى وركب سيارته التى اشتركنا فى ثمنها فى سنوات البداية وسالته عما سمعته: فإذا به يقول لى وكأنه مغلوب على امره كأنه شىء لا حيلة له فيه «هذا أمر الله.. ولا يد لى فيه!» سالت دموعى كالمطر وسالته هل قصرت فى حقه فى شىء.. هل شكا شيئا منى.. هل اسأت عشرته أو معاملته فكان يجيب عن كل سؤال بالنفى وهو منكس الرأس.إلى أن سألته هل ينقصه شىء معى؟ فإذا به يجيبنى بلا حياء: نعم.. الأطفال! ياربى! الأطفال؟ الأطفال الذين قلت أنك تكرههم ولا تتحمل مسئوليتهم وأخرت حملى بهم سبع سنوات جتى ضعفت فرصتى فى الإنجاب؟ سالته عن كل ذلك فلم يجب سوى بالصمت..

وتوسلت إليه ألا يحطم حياتى وقلبى بعد أن بلغت الثامنة والثلاثين وسهرت ليالى طويلة اناقشه وأحاوره بصبر غريب وأذكره بحبنا وكفاحنا وذكرياتنا المشتركة، وأشركت أسرتى معى فى مصيبتى ولأول مرة فتهرب من لقاء أبى.. ووسطت لديه أصدقاءنا ورئيسنا فى العمل وهو رجل طيب وعطوف بلا أية نتيجة، ولامنى شقيقى وشقيقتى على ما تدهورت إليه من استجداء لزوجى لكيلا يتخلى عنى وعرضت عليه حين يئست منه أن يتزوجها وينجب منها بشرط ألا يطلقنى مع ما فى ذلك من قسوة شديدة على نفسى، لكنه رفض حتى هذا العرض منى، وكان مبرره للرفض «أنها لا تقبل به!

وكان قد هجر البيت ونقل ملابسه ومتعلقاته بعد بداية الأزمة بأيام فسلمت أمرى لله وتم الطلاق بيننا وتنازلت له عن كل حقوقى مقابل أن يتنازل لى عن الشقة التى تشاركنا فى دفع خلوها وحصلت على أجازة من عملى لمدة شهر وسافرت إلى الاسكندرية حيث تزوجت شقيقتى الصغرى وأمضيت أيام الأجازة لا أكاد أغادر الفراش، وعدت للقاهرة فطلب منى أبى العودة للإقامة فى بيت الأسرة لكنى رجوته باكية أن يسمح لى بالاستمرار فى شقتى التى عشت فيها ١٢ عاماً حتى لا يتضاعف احساسى بالفشل

والمرارة، وبعد فترة من السقم والمرض رجعت للإقبال على عملى وكان قريب زوجى قد طلق زوجته منذ شهور وتعامل معها بكرم كما كان فى البداية وأعطاها كل حقوقها، فتزوجت من زوجى السابق وحملت وراحت تتفاخر بحملها وتشكو من متاعبه أمام زميلات العمل لينقلن لى حديثها.. فكنت احس كلما سمعت شيئا من ذلك أن سيخا من الحديد المحمى فى النار يخترق صدرى، وراح زوجى السابق سامحه الله يفعل معها ما كان يفعله معى فلازمها فى العمل والبيت وفى كل مكان.. ويشركها معه فيما يقوم به من أعمال خاصة وأدر عليها المال. وهى «تتوجع» من آلام الحمل وتشترى المصوغات الذهبية وتستعرضها أمام الزملاء حتى وضعت مولودها، وفى وسط هذه الآلام فوجئت بزوجها السابق يحاول الاقتراب منى ثم يعرض علىّ الزواج بإلحاح! ولست انكر اننى فكرت فى الأمر لعدة أيام. ربما بدافع الرغبة فى الانتقام لكرامتى المجروحة.. وربما بدافع الرغبة فى الانتقام من زوجته الغادرة حين يكون طفلها الذى تخلت عنه فى رعايتى لكنى بعد أن هدأت انفعالاتى بعض الشىء اعتذرت له عن عدم رغبتى فى الزواج لمجرد رد الطعنة أو إيلام من عذبونى وحطموا حياتى سامحهم الله، فهو رغم احترامى له وتقديرى لشخصه يصغرنى بسبع سنوات. لكنه لم ييأس وقابل أبى وشقيقى وحدثانى فى أمره ثم انتهيا إلى موافقتى فى قرارى بعد معارضتهما.

وانطويت على نفسى فى مسكنى.. ورحت أؤدى عملى وأزور أبى وأمى وشقيقاتى، ومن حين لآخر أسمع عن زوجى السابق أخبارا غير طيبة، فلقد أغلقت فى وجهه بيوت جميع أصدقائنا المشتركين الذين كنا نزورهم ويزوروننا والذين استاءوا مما فعل وتعاطفوا معى. وفقد كثيرا من احترامه السابق لدى رؤسائنا فى العمل حتى عدلوا عن ترشيحه لمنصب اشراف كان هو المرشح الطبيعى لشغله، واختاروا له زميلا أحدث منه فى الخبرة، وكان تفسير رؤسائنا لذلك انه لم يعد نفس الشخص الذى كان جادا وملتزما فى عمله، فلقد قل تركيزه فى العمل وكثرت اجازته ومالت موازينه فأصبح يحشر زوجته فى كل لجنة وكل مشروع له مكافآت خارجية بلا خجل.. حتى أصبحت «الست» هى الرئيسة الفعلية للإدارة التى يرأسها وتشمخ بأنفها على مرءوسيه وكلما حدث شىء من ذلك دعانى رئيسنا الذى حاول التوسط بينى وبينه خلال الأزمة ورواه لى متعجبا مما تدهورت إليه أحوال

زوجي السابق الذى أصبح على حد تعبيره «زوج الهانم» المسلوب الإرادة والكرامة معها.. فلا أعلق بشيء سوى بكلمات الأسف. ثم يسألني رئيسي: لماذا لا تتزوجين وانت مازلت شابة وجميلة؟.. فاجيبه بانني لن أفكر فى الزواج حتى أبرأ من كل جراحي وواصلت حياتي ومن حين لآخر يتقدم لى عريس عن طريق الأهل أو الزملاء فلا أجد فى نفسي الرغبة فى الزواج. ووفقني الله فى عملى فحققت فيه نجاحا كبيراً ورشحتني الهيئة للسفر فى منحة تدريبية بالخارج لمدة ثلاثة شهور ، فسافرت وشاهدت دنيا جديدة ومختلفة ، ورجعت إلى عملى بروح جديدة وأكرمني الله اكثر واكثر فإذا بالهيئة ترشحني لنفس المنصب الاشرافى الذى كان زوجي مرشحا له من البداية بعد ترقية شاغله ، فوجدت نفسي رئيسة لزوجي السابق وزوجته وتحرجت من ذلك لكن زوجي السابق قدم لى الحل من حيث لاأدرى .. فقد طلب نقله هو وزوجته من هذا القطاع كله ، ونقلا إلى قطاع آخر وسألت نفسي هل مازلت أحمل له فى قلبي بقايا الحرارة القديمة؟ .. فوجدتني أجيب عن تساؤلى بالنفى فلقد عوضني ربي عن غدره بى بالكثير والكثير فترقيت فى عملى وأحاطني الزملاء والرؤساء بحبهم واحترامهم لعملى وجديتي فيه ، وأنا محبوبة والحمد لله من أسرتي واخوتي واقاربي ومن الأصدقاء القدامى الذين حافظوا على وفائهم لى .. فى حين انطفأ بريق زوجي السابق وخبا اسمه فى العمل بعد أن كان مرشحا لأعلى المناصب ، أما زوجته فقد أصيبت أطماعها بنكسة شديدة بعد تعثر أحوال زوجي وفقده لكثير من موارده الخارجية .. وسمعت عن كثير من المشاكل جرت بينه وبينها لأسباب مادية فضلا عن انه لم يعد له أصدقاء سوى أصدقاء زوجته وكلهم يصغرونه بعشر سنوات على الأقل .

وتسالني بعد كل ذلك لماذا أكتب لك بعد ثماني سنوات من رغبتي الأولى فأقول لك انني اردت ان استشيرك فى أمرى وأنا فى قمة الأزمة قبل طلاق زوجي لى ، وأما فى المرة الثانية فلقد كتبت لك لاقول أن « جوائز السماء » التى تعد بها الصابرين والمهمومين قد هطلت علىّ والحمد لله .. ومنذ أيام فاتحني رئيسي السابق الذى توسط بيني وبين زوجي للمرة الرابعة فى الزواج مني بعد أن نقل إلى وظيفة مرموقة خارج الهيئة .. الح علىّ فى قبوله مؤكدا لى انه يحمل لى حبا واحتراما قديمين ، وأمهلني ثلاثة أسابيع لاعطيه ردى النهائي لانه مرشح لوظيفة فى هيئة دولية سيسافر إليها خلال

شهور. كما انه ارمل منذ ست سنوات وله ولد وحيد فى سن الشباب ، وعلى وشك الزواج . وقد زارني هذا الشاب وحده ليتعرف علىّ ويرجوني الانضمام لأسرته ، فانفتح قلبي له منذ رأيته .

وسألت نفسي .. ماذا يمنعني حقا من أن أكون أما لهذا الشاب المهذب الخجول ، فأساعده فى شئون زواجه وأشير عليه بما يفعله فى شئون الحياة والزواج ؟ .. انني احترم اباه كثيرا واستريح لشخصه العطوف وأحمل له فى قلبي تقديرا كبيرا واشعر انني على استعداد لأن أحبه فى أية لحظة ، وهو رجل جاد وفاضل فماذا يمنعني من الارتباط به وبابنه ؟

لقد وعدته بالرد عليه فى نهاية المهلة فإذا بزوجي السابق يظهر فجأة فى مكتبي من تحت الأرض ويبكي ويطلب مني الصفح والمغفرة ويقسم لى أنه لم يسعد بيوم واحد من ايام حياته مع « الأخرى » وانه مازال يحبني كما كان قبل هذه « الغمة » ويريد أن يرجع كل شيء لأصله ونعيش معا كما كنا ويطلق زوجته المتسلطة ويرد لى اعتبارى أمام الجميع ! .. فسخرت من رغبته وأفهمته استحالة أن تمحو الأيام من قلبي مرارة مافعله بى ، لكنه لم ييأس مني وراح يطاردني فى كل مكان ويتصل بى ويقسم لى بالدموع أن الحب كفيل بإزالة كل المرارات وأننا نستطيع أن ننهل من نبع الحب القديم كما كنا نفعل فى حياتنا السابقة ، ويطالبني فقط بالنسيان وستزول كل الآلام فى لحظات !

إن قرارى شبه واضح فى ذهني لكني أريد أن أتأكد من صحته منك لثقتي فى سداد رأيك كما أريد أن أسألك أيضا هل يمكن حقا أن تكون لى مع زوجي السابق حياة سعيدة غارقة فى نبع الحب القديم وبلا أية مرارات كما يقول لى ؟

وهل يمكن حقا أن أنسى له ما فعله بى وأرجع إلى التعامل معه بنفس الصفاء القديم الذى كان بيننا ؟ أم انها مجرد مغالطات جديدة من مغالطاته يريد أن يبرر بها رغبته فى العودة لى بعد أن تفاقمت الخلافات بينه وبين زوجته وأصبحت مشاكلهما شائعة فى بيوت الأصدقاء ، ومنها اتهامها له بكراهية ابنهما وعدم الاهتمام به ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

قرارك شبه الواضح فى ذهنك هو القرار الصائب الوحيد فى مثل ظروفك هذه . إذ انه حتى لو كان زوجك السابق صادقا فى ندمه على زواجه من

الأخرى ، فهذا شأنه الذى ينبغى أن يتحمل تبعاته وحده ويتعامل معه بعيدا عنك وعن حياتك بما يلائمه من قرارات واختيارات وليروّض زوجته على ما يشاء ويرغب أو فليتحمل حياته معها من أجل «الطفل» الذى برر به غدره بك وتشكو الآن زوجته من كراهيته له وأكاد أصدقها فى ذلك لأن «الطفل الكبير» قد يضيق بالطفل الصغير إذا زاحمه فى شىء أو اضطره للتضحية من أجله ببعض رغباته.

وزوجك السابق طفل كبير حقا ياسيدتى.. وقد كنت أنت الأم والزوجة والصديقة له حتى نصبت الأخرى شباكها حوله طموحا الى حياة أرقى، تماما كما فعلت مع زوجها السابق الذى تعلقت به لينقذها من ظروفها الاجتماعية المتدنية وتخلت من أجل ذلك عن خطيبها الأول بلا رحمة. ان بعض الناس كما يقول لنا شكسبير العظيم فى مسرحيته «يوليوس قيصر» يطأون درجات السلم لكي ترفعهم الى أعلى فما أن يصلوا الى غايتهم حتى يشعروا بازدراء للدرج الذى رفعهم إليها، وهذه السيدة من ذلك النوع من البشر فيما يبدو، وقد أصيب طموحها الاجتماعى والمادى بطعنة مؤثرة حين تدهورت أحوال زوجك السابق وتأخر أو توقف صعوده الى الدرجات العلا، فانتابها ما ينتاب أمثالها من ضيق مفاجىء بالسلم الخائب العاجز عن بلوغ الغاية!.. وأيا كان شأنه معها أو شأنها معه فهذا أمر يخصهما وحدهما لا شأن لك به، وما يطلبه منك زوجك السابق ليس حلا لمشكلة حياتك وآلامها وإنما هو حل لمشكلة حياته التى صنعها لنفسه بضعفه أمام سحر تلك المرأة وانقياده لها وخيانته لعهد الوفاء فلا تنخدعى بما يحاول ايهامك به من أن «الحب» وحده كفيل بمحو المرارات وإزالة البقع شديدة السواد من الثوب الأبيض، أو من انك سوف تنهلين معه من نبع الحب القديم وتعيشان معا مرة أخرى فى سلام ووئام. فهذا النبع قد جف ماؤه منذ زمن طويل ولم تبق به سوى حصى الغدر والآلام، ولو كانت به بقية من مائه العذب لما استشرتنى فى أمرك من البداية ولضعفت أمام دموع من لم يرحم دمعك وضعفك وتذللك إليه من قبل. كما انك لم تعودى نفس الانسانة التى كانت حين كان ماء النبع جاريا نقيا، ولا هو أيضا نفس الرجل الذى كان، فالانسان يتغير ويتغير مزاجه النفسى من مرحلة الى مرحلة من العمر، وإذا كان قد أتيح للانسان أن يبدأ حياة جديدة بعد مرحلة من العناء والآلام، فلماذا يبدأها بمجاهدة النفس لنسيان الذكريات

المؤلمة وهو أمر غير مؤكد النجاح، وفى مقدوره أن يبدأ صفحة أخرى خالية من كل الشوائب والأدران؟

ياسيدتى ان الثوب الجديد ناصع البياض أكثر نقاء ووعدا بالصفاء من الثوب الملوث الذى سنجاهد جهاد الأبطال لازالة آثار الأدران القديمة منه وقد ننجح فى ذلك وقد لا ننجح، وفى مثل ظروفك فلأن نبدأ بناء بيت جديد لم تخالطه المرارة والأحقاد أيسر وأكثر ضمانا للنجاح والاستمرار من أن نحاول تجديد بيت متهالك نخر سوس الغدر والخيانة فى وعائه.

كما اننى فى مثل ظروفك هذه من أنصار مذهب فيلسوف الصين العظيم كونفوشيوس الذى يقول: قابل الرحمة بالرحمة وقابل القسوة بالعدل!

والعدل فى قصتك هو الا تتحملى تبعات جناية زوجك عليك مرتين، مرة حين انقاد وراء مشاعره وأهوائه، ومرة أخرى حين تكشفت له تجربته معها عن التعاسة والشقاء. فالشرفاء يتحملون تبعات أفعالهم ولا يطالبون الضحايا بمشاركتهم نتائجها وتقديم المزيد من التضحيات لهم، والقرار الحكيم الذى ينبغى لك أن تتخذيه هو قبول الارتباط بذلك الرجل الفاضل الأمين الذى تشعرين باستعدادك للتجاوب العاطفى معه فى أية لحظة والذى تعدك الحياة معه بالأمان والاستقرار والعطاء النفسى والتعويض المناسب لأمومتك المحرومة بلا مرارات سابقة أو لاحقة، وبلا مخاوف من تقلب المشاعر أو ذيول المشاكل التى ستطارد زوجك السابق من جانب زوجته إذا ماتزوجتما مرة أخرى، كما انها ليست «خصما» يستهان به، وإنما هى «مدربة» على السيطرة والاستحواذ على من تشاء لتحقيق رغباتها، وليس مستبعدا أن تستعيد تأثيرها على زوجك السابق فى أية لحظة ولو لمجرد رفضها الهزيمة أمامك.. فلماذا المخاطرة وفى مقدورنا أن ننال السعادة والأمان؟.. لقد خرج زوجك من قلبك ومن حياتك الى الأبد. لكنك وقد يكون لديك بعض العذر فى ذلك تستشعرين فقط بعض الرضا عن النفس ولا أقول الشماتة حين ترين «ثأرك» فيمن ظلمك وتجبر عليك ماثلا أمامك فى ضعفه وهوانه وتذلله إليك للعودة للحياة معه. وربما راودتك ولو للحظات خاطرة أن تقبلى عرضه لمجرد أن تثأرى لنفسك من الأخرى التى دمرت حياتك بلا رحمة وتشعرى بنشوة الانتصار عليها بعد مرارة الهزيمة.. لكن الانسان لا يستطيع أن يدع لرغبته فى الانتقام أن تحدد له مسار حياته وخطواته فيها على حساب



سعـادته وسـلامه النفسى.. فنشـوة الثار لحظة أو لحظـات.. أما الـزواج فحياة متصلة لا تنجح ولا تدوم لمثل هذا الدافع السلبى وحده.

ولاباس بان نستسلم لبعض هـذه المشاعر السلبيـة للحظات تجاه من بـادرونا بـالإيلام والايـذاء بلا ذنب جنينـاه لاننا فى النهـاية بشر ولسنـا مـلائكة .حلقـة فى السماء ولكن بشرط الا تتعـدى هذه المشـاعر حـدود الخواطر العابرة إذا عجزنا عن الترفع عنها..

وربما كـان من الافضل أن نتسـامى بها عن الشماتـة فى الآخـرين الى شكـر العادل الـذى لا تميل موازينـه الـذى يجزى الصابـرين بصبرهم ويجزى المعتدين بعدوانهم سبحانه.. وأى جـزاء ياسيدتى وأى جوائز وأى تعويض أكثر مما منحتك عدالـة السماء خلال تلك السنوات العجاف؟: لقد واصلت صعودك فى عملك حتى نلت فيه من النجاح مالم تكونى تحلمين بمثله، وربما لم يكن مؤكدا أن تصلى إليه لـو لم تعترض حياتك هذه المحنة المؤلمة التى أطلقت شرارة ابداعك فى عملك..

كما انك تحظين بحـب الجميع واحترامهم فى حين خبـا نجم ظـالمك واهتزت صـورته فى اعين الآخرين.. «ومـا ربك بظلام للعبيـد».. صدق الله العظيم..

لقد تعففت من قبل عن أن تستسلمى للرغبة فى الانتقام من ظالمك ولم تدعى لها تحديد مسار حياتك حين رفضت الارتباط بزوج الأخرى السابق لانـه لم يكن يصلح لك، بنفس هـذه الحكمـة والاحترام للنفس سـوف تتعاملين مع نفس هـذه الرغبة وترفضـين عرض زوجك السـابق.. وتبدأين حياة جديـدة واعدة بالخير والأمان مع الزوج العطـوف الذى ينتظرك ومع «الابن» الشاب الـذى يحتاج لمشورتـك وعطفك وهو يبدأ أولى خطـواته على طريق الحياة بإذن الله..

اكتب إليك رسالتى هذه بعد أن قرأت رسالة « أخطاء الحياة » للشاب المتزوج الذى أحب خلال دراسته الجامعية زميلته لعدة سنوات وطلبت منه أن يتقدم إليها، فاعتذر بضعف امكانياته المادية، فخطبت لغيره وتزوجته وانجبت منه، وتحسنت ظروفه المادية بعد سنوات وتزوج من أخرى وحملت زوجته، ثم التقى بحبيبته السابقة مصادفة فى الطريق بعد عشر سنوات فتجددت مشاعره تجاهها لكنه لم يخن زوجته معها.. وكتب إليك يستشيرك ويشكو من فتور مشاعره تجاه زوجته.. ويسالك هل يصحح الخطأ القديم وينفصل عن زوجته ويطالب الأخرى بالانفصال عن زوجها ويحققان الأمل القديم فى الارتباط؟.. ولقد أعجبنى ردك الحكيم عليه بأن أخطاء الحياة لا ينبغى أن يدفع ثمنها الأبرياء الذين لم يرتكبوها وهم فى قصته اطفال فتاة القلب القديمة وزوجها وزوجة كاتب الرسالة ومولوده المنتظر.. واريد أن أحيى كاتب الرسالة لعدم خيانته لزوجته لكيلا يظلمها كما ظلمنى زوجى، فأنا سيدة شابة ومنذ خطبت لزوجى وأنا لا أشعر من جانبه بأى حب لى ولا بأية لهفة على لقائى ومضت شهور الخطبة بغير أن اشعر بجمال هذه الفترة فى حياة كل فتاة بسبب فتور مشاعره أو برودة بمعنى أصح، ومع ذلك فلم افقد الأمل فى تحسن الأحوال بعد الزواج، وتزوجنا بعد فترة خطبة قصيرة، وفوجئت به بعد الزواج دائم الانتقاد لى فى كل شىء تقريباً من ملابسى الى تسريحة شعرى إلى كل تصرف أو فعل اقدم عليه.. وتحملت انتقاداته صابرة مع أنى على درجة عالية من الجمال وعلى خلق طيب والحمد لله ومتدينة وحلوة المعاشرة ومن أسرة طيبة وكان يتمنانى من هو أفضل منه من شباب العائلة ومن الجيران لكنها القسمة والنصيب، وقد تألمت غاية الألم حين قال لى ذات يوم ونحن فى عامنا الأول من الزواج انه يفضل الموت على أن يعيش معى.. وحين راح يشعرنى بأنه لم يجد لدىَّ أى شىء يسعد به.. ورغم ذلك فقد تحملت آلامى النفسية فى صمت ودون شكوى ولم أفكر فى طلب الطلاق لأنه لم يكن قد مضى عام

على زواجى إذ تخيلت ماذا سيقول الناس عنى لو طلقت وأنا مازلت عروسا فقررت الاحتمال ومواصلة الرحلة. وتحملت صابرة صد زوجى وبرود مشاعره تجاهى وانتقاداته الدائمة وانتقاصه لى فى كل شىء.. وصممت على أن ينجح زواجى رغم المؤشرات غير المطمئنة ومنها طلبه منى تأجيل الانجاب خلال العام الأول، وقلت لزوجى ذات يوم: ماذا تريد منى أن أفعله لترضى عنى وتجد لدى ما يسعدك؟.. واكدت له اننى سأفعل كل ما يطلبه منى بلا ممانعة لكى يشعر بالرضا ويتقبلنى كزوجة وشريكة حياة. فطلب منى ان اصفف شعرى بطريقة معينة، وأن ارتدى موديلات معينة من الملابس بالوان محددة، واستجبت لكل رغباته وصففت شعرى بالطريقة التى ارادها.. واشتريت ملابس جديدة من نفس الألوان ونفس الموديلات التى حددها لى وارتديتها.. ومع ذلك فلم اشعر بسعادته ولا بتجاوبه، ثم ذهبت بعد ذلك بأيام مع إحدى قريبات زوجى إلى محل اقمشة فتصادف وجود فتاة به تشترى قماشا، واشارت إليها قريبة زوجى وروت لى أن زوجى كان يحب هذه الفتاة جدا قبل زواجه منى لدرجة انه يبكى من اجلها، لكنه لم يتزوجها ولا تعلم سبب ذلك، ونظرت إليها باهتمام فوجدتها فتاة عادية جدا فى كل شىء، وليس فيها شىء مميز أو مثير لكنى لاحظت فقط انها تصفف شعرها بالطريقة التى طلبها منى زوجى، وانها ترتدى ملابسها من نفس الألوان والموديلات التى اختارها لى، وتألمت لذلك جدا وادركت انها الحاجز الغامض الذى قام بين زوجى وبينى منذ زواجنا وبلا ذنب لى. ورغم ذلك فقد تجاهلت الأمر كأنى لم اعلم به وصممت على نجاح زواجى كراهية للفشل والطلاق والعودة الخائبة لبيت أسرتى، وبعد عام حملت فى طفلى الأول، وانجبته وتركز أملى فى أن ينسى زوجى احلامه القديمة بعد أن أصبح أبا وتتغير مشاعره تجاهى، فمضت السنوات تباعا حتى بلغت ١٢ عاماً واصبح لدينا ثلاثة أطفال، وبدأ زوجى يلين بالفعل فى معاملته لى بعض الشىء وبدأ يغير من معاملته لى ويشعرنى بوجودى، وسعدت بذلك جدا، فلم تمض أيام حتى كنت ارتب بعض أوراقه فإذا بى اعثر بينها على خطاب بخط يده إلى فتاته القديمة علمت منه أن زوجها قد مات وانها اصبحت ارملة وصعقت بانه يبثها فيه حبه ويؤكد لها انها قد

عاشت معه فى خياله ووجدانه طوال سنوات زواجه، وانها هى حبيبة العمر وليس أحد قبلها ولا بعدها، وفهمت من الخطاب ايضا انه قد رجع إلى لقائها وانه يذهب إليها فى مقر عملها ويتقابلان فى العمل وخارج العمل.

وصدمت صدمة العمر وانا اقرأ هذا الخطاب اللعين.. وتساءلت وأين أنا من كل هذا الحب الذى هانت معه عليه حياتى وكرامتى وسعادة أطفاله الثلاثة؟ وعشرتى الطيبة له وانا التى عاملته دائماً بالحسنى ورعيت الله فى معاملتى له طوال اثنى عشر عاما؟.. لقد انهرت عصبيا ونفسيا لايام طويلة واصبحت لا أستطيع النوم إلا بالمهدئات حتى دعوت الله عليه وعليها من كل قلبى بالا يجمع الله شملهما والا يهنأ ببعضهما البعض أبدا!

والآن.. اريد ان اسالك يا سيدى وانا احترق من الغيظ والقهر والألم.. ما هو «الشيء» الذى سيجده عندها ولم يجده عندى؟.. وهل لديه يقين بانه إذا تزوجها فسوف يسعد بها حقا ام ان مرآة الحب عمياء كما يقولون؟.. وسوف يكتشف بعد زواجه منها انها لا تستحق كل هذه التضحية ويلمس عيوبها التى لم يكن يراها من قبل بسبب حبه لها؟..

لقد فعلت المستحيل لارضائه يا سيدى .. فلم يزده ذلك إلا بعدا عنى واهانة لكرامتى.. وقد علمت انه يريد الزواج منها، وانا الآن فى انتظار تنفيذ حكم الاعدام فى حياتى معه، وحياة أطفالى واستقرارهم. ولقد كرهته وكرهت نفسى بسبب احساسى باننى إنسانة مكروهة من اقرب الناس لى مع اننى محبوبة من جميع زملائى، كما اشعر بالرغبة الشديدة فى الانتقام من زوجى الذى انصرف عنى ولم يرع حرمة الرباط المقدس الذى يجمعنا، حتى كاد يدفعنى لان اخونه مع اى انسان اسمع منه كلمة اعجاب أو أرى منه نظرة حب، لولا أن منعنى خوفى من الله من ذلك.

فهل الزوج الذى يخون زوجته له عقاب من الله على خيانته؟.. وهل صبرى على ما فعله معى زوجى له اجر من الله لى فى السماء؟

وبماذ تنصحنى أن افعل.. هل احافظ على ما تبقى من كرامتى وأطلب منه الطلاق خاصة وقد كرهته ولم احافظ على حياتى معه فى الأيام الأخيرة إلا من اجل اطفالنا؟.. أم تنصحنى بأن ادافع عن حياتى وحياة أولادى ومستقبلهم واستقرارهم للنهاية وبكل ما أستطيع من سلاح؟

اننى انصح كل من أحب فتاة بهذا الشكل وحالت الظروف بينه وبين أن يتزوجها الا يتزوج أبدا بعدها وبان يقضى بقية حياته يعيش على ذكراها بدلا من أن يظلم معه بنات الناس.. والسلام عليكم ورحمة الله.

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

يبدو أن زوجك ياسيدتى من هؤلاء الرجال الذين تنطبق عليهم كلمة المفكر الفرنسى جان جاك روسو التى تقول: «قد يهجر الرجل كل شيء من أجل المرأة التى يحبها»!

وقد يفعل المستحيل من أجل المرأة التى يرغب فى اجتذابها إليه، لكنه لن يحرك ساكنا من أجل المرأة التى يعلم عن يقين انها تحبه!

والحق أن بعض الرجال وبعض النساء أيضا من هذا النوع الجاحد المتبطر الزاهد فى مشاعر من يحبونه والذى يسعى دائماً وراء من لا يملك اى دليل على انهم يبادلونه نفس مشاعره.

إنها آفة قديمة عند بعض البشر هى آفة الزهد فى الموجود والتطلع إلى المفقود، وانت يا سيدتى «الموجود» الذى كان ينبغى لزوجك أن يسعد به ويشكر ربه عليه ويرضى عن حسن معاشرتك له وسرعة تلبيتك لكل رغباته حتى ولو حولك بها إلى «مسخ» تقلدين به فتاة أحلامه القديمة.. لكن متى عرف الإنسان قيمة ما بين يديه قبل أن يفقده إلى الأبد؟.. ومتى سجد لربه شكرا وعرفانا على ما انعم عليه به من نعم يتطلع غيره بحسرة إلى بعضها؟

لقد تناسى زوجك فى تطلعه إلى «الفردوس المفقود» ـ الذى حالت بينه وبينه من قبل ظروف الحياة ـ حقوق زوجته المخلصة عليه وحقوق اطفاله الثلاثة على ابيهم ومسئوليته الخطيرة عن استقرارهم ونشاتهم فى حياة طبيعية بين ابوين متحابين او على الأقل متراحمين إن عزت المشاعر العاطفية بينهما.

فماذا نستطيع ان نقول لمن يطوح بامان اطفاله الثلاثة جريا وراء حلم قديم من أحلام الشباب؟

لقد اخطات يا سيدتى فى قراءة المؤشرات غير المطمئنة لعلاقة زوجك بك ابتداء من فترة الخطبة، إلى العام الأول من الزواج الذى أصر فيه على تأجيل الانجاب، وراح ينتقد كل شيء فيك ويعلنك بانه لم يجد لديك ما يسعد به!

ولقد كان من الأفضل لك أن تتخذى معه وقفة حاسمة فى فترة الخطبة، فيستشعر مسئوليته عن أشعارك بإقباله عليك أو ينسحب من حياتك بلا خسائر ولا آلام.

لكنك للأسف لم تفعلى ذلك فى الوقت المناسب. ودفعك خوفك من الفشل والعودة الخائبة إلى بيت أسرتك إلى أن تحاولى بكل السبل انجاح زواجك إلى حد الاستجداء الذليل لمشاعره الفاترة وأغراه ذلك بالاستهانة بك وبمشاعرك بدلا من أن يقدر لك حرصك عليه ورغبتك فيه، كما قد يفعل بعض الجاحدين. وحين بدأ يلين فى معاملته لك ويشعرك بعض الشىء بوجودك. وقعت الواقعة واكتشفت انه انما يرتب للزواج من فتاة الأحلام القديمة بعد أن زالت الحواجز بينهما.. وفى ظنى انه لم يلن لك تعبيرا عن مشاعر عاطفية طارئة تجاهك أو استشعاراً لصدق ما تبذلين من محاولات مضنية لارضائه، وانما أغلب ظنى انه قد بدأ يلين لك فى نفس الوقت الذى تجددت فيه علاقته بفتاته القديمة، كرد فعل تلقائى لدى الرجل حين يخون زوجته فيدفعه احساسه بالذنب تجاهها إلى محاولة «تعويضها» عن هذه الخيانة ببعض اللمسات العاطفية المزيفة.. أو ببعض الرقة المصطنعة أو ببعض الكرم المادى الطارىء معها، كأنما يرغب إلى جانب تعويضها، فى أن تستنيم إلى ثقتها فيه ليمضى فيما هو سادر فيه نهايته.

ولقد قلت مرارا أن السعادة الحقيقية التى لاينغصها وخز الضمير.. أو الخوف من انتقام السماء استجابة لنداء المظلومين لايمكن أن تتحقق للانسان أبدا إذا كان لسعادته ضحايا من الأبرياء، لهذا فليس لدى من جديد أضيفه إلى حديثى إلى زوجك، لكنى أقول له فقط. إن النجوم البعيدة فى السماء تبدو لنا دائما جميلة ولامعة وشاعرية، لكننا إذا اقتربنا منها أدركنا انها كتل من الغازات شديدة الحرارة والخالية من أى جمال والتى يقتلنا لهيبها، وكذلك أشياء كثيرة فى الحياة يصورها لنا خيال الحرمان واحة شاعرية من السعادة، فإذا أدركناها قد نجد فيها ما يلسعنا بلهب الندم والتعاسة .

وأنت تسالينني يا سيدتى عن «الشىء» الذى يجده لدى المرأة الأخرى ولايجده لديك، وأجيبك بأنه غالبا هذا «الخيال الجميل» الذى لم تتح له

الظروف أن يتحقق أو يختبر فى أرض الواقع، ولو أدركه الآن لربما سعد معه ولربما شقى به، وكلا الاحتمالين متساويان تماما، لكن أصحاب الضمائر ومن يحتملون مسئولياتهم الانسانية عمن يرتبطون بهم، لا يقدمون على هذه المخاطرة أبدا اشفاقا على أعزائهم من أن يدفعوا ثمنها فى كلا الحالين.

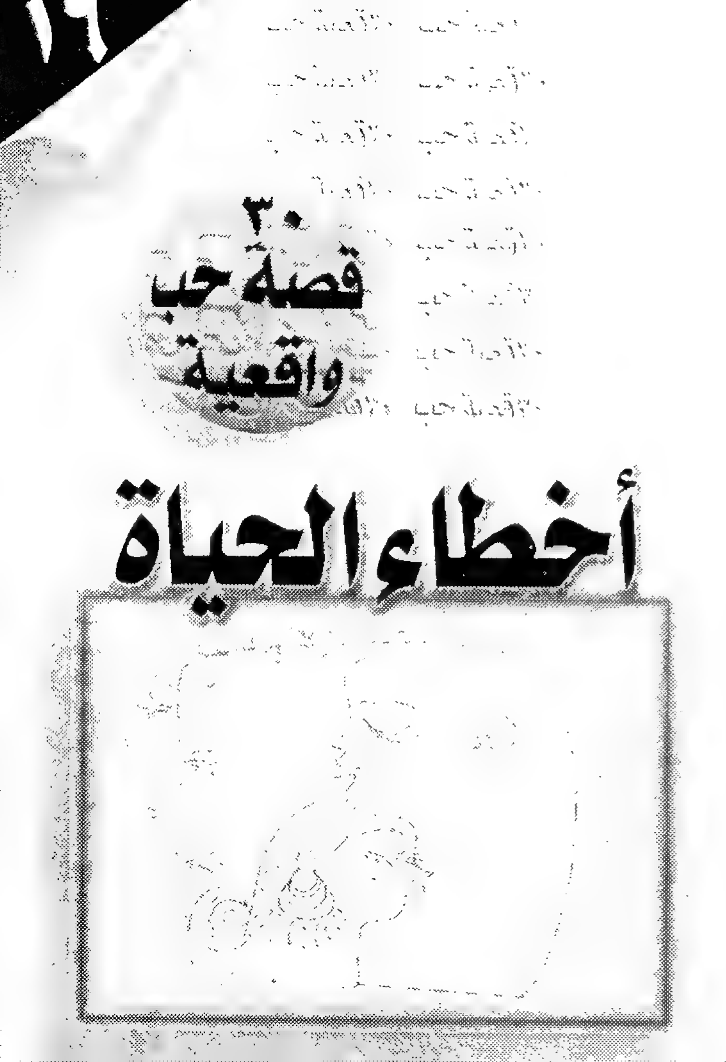
ونحن فى النهاية لانعرف الآخرين جيدا إلا إذا اقتربنا منهم وعاشرناهم فى السخط والرضا.. وفى الصحة والمرض.. وفى السعادة والشقاء.. الخ. لهذا فان احتمال أن نفجع فيمن يبدون لنا على البعد كالنجوم اللامعة.. كبير وقائم دائما.. والإنسان يتغير دائماً من مرحلة إلى مرحلة من العمر ولايمكن أن يكون هو نفسه بمزاجه النفسى وطباعه بعد ١٥ أو ٢٠ عاما من الفراق معه.

لكن زوجك مازال يعيش أسيرا لخياله وأمنياته القديمة، ولو كان قد عزف عن الزواج فى الفترة الماضية، وعاش على ذكرى فتاته إلى أن زالت بينهما الحواجز، لما لامه أحد على سعيه للارتباط بها الآن.. لكن المؤكد انه ليس من العدل ولا من قبيل تحمل الانسان لمسئوليته الانسانية عن أعزائه بشرف وشجاعة أن يضحى بسعادتهم وأمانهم جميعا طلبا لسعادة محتملة مهما كانت مغرياتها.

إن رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول لنا ما معناه انه إذا نظر أحدكم إلى امرأة ووقعت من نفسه فليرجع إلى أهله أى إلى زوجته فإن عندها مثل الذى عند الأخرى.

ولا شك أن عندك الكثير والكثير مما كان ينبغى أن يسعد به زوجك ويرضى عنه.. لكن ماذا نقول فى جحود الإنسان وسعيه الدءوب وراء المفقود فى بعض الأحيان؟

ان خيانة الرجل لزوجته باللمس والاتصال المحظور، اثم كبير يحاسبه الله عليه أشد الحساب، وصبرك على زوجك ومحاولاتك المستميتة للحفاظ عليه وانقاذ سعادة أطفالك فضل عظيم يجزيك عنه ربك أيضا أعظم الجزاء، لهذا فإن نصيحتى لك هى ألا تستسلمى سريعا أمام تلك الأخرى وتنهزمى أمامها بلا مقاومة.. وأن تحاولى وللمرة الأخيرة انقاذ زواجك



وأمام أطفالك أبرياء تذمتك من أية مسئولية عن انهيار هذه الحياة وتمزق أطفالك بين أبويهم، ومن رأيي أن تواجهي زوجك بما علمت وأن تؤكدي له بما لا يدع له أي مجال للشك أو للاعتماد على صمتك العاطفي السابق تجاهه، أنك لن تقبلي بزواجه من الأخرى مع استمرار حياتك معه.. فإذ [illegible] هذا الفردوس [illegible] على هذا الأساس ويراجع نفسه [illegible] العواقب للجميع.

ولنر بعد ذلك ماذا سيفعل حين [illegible] تتمتع بنفس الوهم الذي توهمه، ولنتمنى أن يتغلب [illegible] إحساس الأب بمسئوليته عن أطفاله وإحساس الزوج بمسئوليته عن زوجته التي طالما غمرته بفيض حبها وإخلاصها له.. ولا تقلقي كثيرا لكراهيتك المؤقتة له فهي ستزول بالضرورة حين يختار بينك وبينها فيكون الاختيار الأخير لصالحك وسينتفض حبه في قلبه من جديد إذا فعل.. وستنجو حياتكما مما يترصدها من أخطار بإذن الله.

أنا شاب فى الثالثة والثلاثين من عمرى .. نشأت فى أسرة عادية وعشت حياة هادئة.. وتعرفت وأنا فى نهاية المرحلة الثانوية بطالبة فى غاية الأخلاق والجمال، وتحاببنا وتعاهدنا على الزواج بمجرد أن أنهى دراستى الجامعية.. والتحقت فى العام التالى بإحدى الكليات النظرية ولحقت هى بى بعد عام آخر فى نفس الكلية.. واستمرت علاقتنا طاهرة وبريئة فكنا نتقابل فى ساحة الكلية وفى الأماكن العامة.. ونترقب اليوم الذى اتخرج فيه وأصبح قادرا على التقدم لأسرتها.. لكننى تعثرت للأسف فى دراستى الجامعية.. ورسبت أكثر من مرة فطال مشوار التعليم بالنسبة لى وتضافرت معه ظروفى المادية الصعبة، فيئست من أمل اجتماع الشمل بيننا وطلبت من فتاتى أن نقطع علاقتنا ، وأن تقبل من يتقدمون إليها ممن يقدرون على أعباء الزواج. ورفضت هى ذلك بإصرار وقاومت طويلا انهيار الحلم لكنى ألححت عليها بأن تستسلم للأمر الواقع، وألا تبدد سنوات العمر الثمينة فى انتظار حلم صعب التحقق، واستسلمت أخيرا لذلك وقطعنا علاقتنا، ونحن مازلنا فى المرحلة الجامعية، وتخرجت فتاتى قبلى بعام وتقدم لها شاب ممتاز وفى مركز مرموق، ورحبت به أسرتها وتمت خطبتها له، وبعد أسابيع من الخطبة أرسلت إلى تبلغنى باستعدادها لفسخ الخطبة إذا كنت على استعداد للزواج منها ولو بعد حين، لكنى أشفقت عليها من أن تربط مصيرها بمصير شاب مكافح مثلى لن يقدر على تكاليف الزواج قبل سنوات، وأرسلت إليها أرفض عرضها الكريم واعتذر عن عدم قبوله وأرجو لها السعادة فى حياتها الجديدة. وصدمت هى بردى القاطع.. فمضت فى مشروع زواجها، وانقطعت أخبارها نهائيا عنى، ومضت عدة سنوات وجدت خلالها عملا فى أحدى الشركات الكبيرة وتحسنت أحوالى المادية وبدأ الأهل يحثوننى على الزواج ورشحت لى إحدى قريباتى فتاة رأتها مناسبة لى من كل الوجوه، ورأيتها أنا فلم اقتنع بها. أو بمعنى أصح لم أجد فى نفسى ما يرغبنى فيها أو ينفرنى منها، وترددت فى القبول، لكن الجميع

شجعونى على الارتباط بها وحثونى عليه فمضيت فى اجراءات الخطبة والزواج بلا حماس وتمت الخطبة فى موعدها وتحدد موعد القران، وشغلت بإعداد مسكن الزوجية وشغلت خطيبتى بإعداد مستلزمات الزواج وقبل موعد الزفاف بثلاثة أيام ذهبت إلى وسط المدينة لبعض الأعمال، فإذا بى أجد نفسى فجأة أمام فتاتى القديمة التى لم أرها منذ عشر سنوات كاملة وهى تدفع أمامها عربة أطفال بها طفلة صغيرة وتنظر إلى بدهشة وابتهاج.. وأنا أنظر إليها مذهولا وعاجزا عن الكلام!

واندفعت إليها محييا فى شوق وحنين وحيتنى هى بحرارة شديدة ودفعت العربة أمامها ببطء كأنها تدعونى للسير إلى جوارها، وسرت معها منفعلا ومبتهجا وتبادلنا الحديث والسؤال عن أحوال كل منا.. وعلمت منها أنها ليست سعيدة مع زوجها، وصارحتها بأننى ساتزوج بعد ثلاثة أيام لكنى لست مقتنعا بزوجتى المقبلة ولا أدرى لماذا أمضى فى مشروع زواجى منها.. كأننى مرغم عليه!

وطال حديثنا لأكثر من ساعتين وأنا لا أشعر بما حولى، وهى كذلك وجاءت لحظة الفراق التى لامفر منها فطلبت أن تعرف عنوانى وتليفونى، لكنى فضلت الا تعرفهما أشفاقا عليها من المتاعب التى قد تهددها، إذا تجدد الأمل فى اللقاء داخلنا مرة أخرى وأحنت هى رأسها موافقة ومؤمنة على ذلك.. وودع كل منا الآخر داعيا له بالسعادة فى حياته.

وبدأت حياتى الزوجية مع زوجتى محاولا أن أنفض من رأسى صورة فتاتى القديمة وشخصيتها الدافئة الجذابة، فمضت شهور الزواج الأولى فى فتور ولم أشعر بوجود زوجتى فى حياتى ولاحظت عليها ضعف شخصيتها وافتقادها للباقة الحديث مع الآخرين.. وطلبت منها أن تغير من نفسها وطبعها ورفضت الاستجابة لذلك فإذا بخيال فتاتى القديمة يطل على من جديد ويشاركنى حياتى كل يوم فأغيب معه فى لحظات حلم جميل.. ثم أفيق منه على وجه زوجتى وصوتها وحديثها الذى لا يمنعنى وإذا بى أجد نفسى أفكر فى الاتصال بفتاتى القديمة كل لحظة، ثم أتراجع لأنى لاأريد لها العناء ولا أريد أن أخون زوجتى التى تنتظر مولودنا الأول الآن .

إن خيال فتاتى.. يلاحقنى كل يوم.. ويحثنى على ألا أتوقف أمام أى شىء سوى سعادتى.. فأنفصل عن زوجتى وأتحمل تبعات ذلك النفسية والعائلية والاجتماعية رغم صعوبتها وأطالب فتاتى بألا تكون أقل شجاعة منى وبأن تنفصل عن زوجها وتتحمل تبعات ذلك مهما كانت قاسية عليها ثم نحقق معا الحلم القديم الذى اعترضته ظروف المادية وتعثرى فى الدراسة من قبل. ويستغرقنى هذا الحلم طويلا فأضيق بزوجتى وبكل ما تفعل.. ثم أنظر إلى بطنها المنتفخ بالمولود المنتظر.. فأتراجع وأرد نفسى إلى دنيا الواقع، فبماذا تنصحنى ياسيدى.. هل أقدم على الخطوة المؤلمة وأهدم أسرتى وأحكم على مولودى بأن يجىء للحياة فى بيت لا يعيش فيه أبوه.. أم أمتثل لأقدارى وأواصل حياتى مع زوجتى قابلا بها.

لقد أخطأت خطأ عمرى حين رددت بالرفض على رسالة فتاتى القديمة حين أرسلت لى تبلغنى باستعدادها لأن تفسخ خطبتها إذا كنت مستعدا للتقدم لها.. ومازلت نادما على هذا الرفض.. فهل ترى فى الإمكان تصحيح هذا الخطأ القديم الآن ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

أخطاء الحياة لا ينبغى أن تصحح على حساب الأبرياء الذين لم يرتكبوها، ولا بارتكاب أخطاء جديدة أشد هولا وحين يتأخر التصحيح عن موعده المناسب فإن الاقدام عليه فى الوقت الضائع، يصبح خطأ آخر يضاف إلى أخطائنا القديمة ولا ينتقص منها.

فإذا كنت قد ندمت الآن وبعد عشر سنوات على أنك قد رفضت يد فتاتك الممدودة إليك تحثك على أن تخطو الخطوة الصحيحة فى اتجاه تحقيق الحلم القديم، فليس من النبل أن تقبل بأن يدفع ثمن هذا الخطأ الآن أطفال فتاتك القديمة، وأبوهم وأسرتها وأسرة زوجها، وتدفعه أيضا زوجتك وأسرتها ومولودك المنتظر.

وإنما ينبغى أن يتحمل الإنسان ثمن أفعاله بشجاعة ويقبل تبعاتها بشرف. ونحن فى النهاية لانعيش فى جزيرة مهجورة وإنما بين أهل وبشر وأبناء يتأثرون سلبا وإيجابا باختياراتنا فى الحياة، ولا نستطيع حتى ولو راودنا هذا الحلم الجميل فى الخيال أن «ننسى كل شىء ولا نتوقف إلا

أمام سعادتنا الشخصية فقط» كما تقول فى رسالتك، وبغض النظر عما سوف يترتب عليها من شقاء للآخرين، ذلك أن هذه هى الأنانية.. الكريهة.. والفردية البشعة التى تنجم عنهما معظم الكوارث العائلية والاجتماعية ولقد تخليت أنت عن حلمك القديم باختيارك ولم تتمسك به ولم تكافح من أجله، وإنما استسلمت سريعا للانهزامية.. والشك فى قدرتك على تحقيق الاحلام ففقدتها، باستسلامك وإحباطك، وليس بسبب الظروف المادية وحدها، بدليل أنه لم تمض عدة سنوات إلا وكانت أحوالك المادية قد تحسنت وراح الجميع يحثونك على الزواج.

وكثير من أحلام الإنسان فى السعادة تبدد فى الهواء ليس لعجزه عن تحقيقها.. وإنما لشكه فى قدرته على أن يحققها لنفسه بالكفاح الجاد والتمسك بالأمل حتى النهاية .

وفى رواية «السيمفونية الريفية» للأديب الفرنسى أندريه جيد قال الأب الكاهن بطل الرواية: « ما أكثر الأشياء التى كان من السهل الاقدام عليها لولا تلك الاعتراضات التى يتفنن الإنسان أحيانا فى ابتكارها لنفسه، وكثيرا ما حيل بيننا وبين هذا العمل أو ذاك لأننا قد سمعنا صوتا من داخلنا أو من المحيطين بنا يقول لنا : إننا لن نقدر عليه ، ولو لم نسمع هذا الصوت ونستجيب له لكشفت لنا التجربة عن قدرتنا على نيله والفوز به » !

وأنت قد سمعت هذا «الصوت» المحبط من داخلك ففت فى عضدك.. وأقعدك عن الكفاح لتحقيق حلمك والتمسك به، مع انه لم يكن مستحيلا، فما معنى أن تتعذب به الآن وقد قامت بينك وبينه سدود حقيقية كالجبال !

إننا نندم غالبا على ما يفوتنا من فرص الحياة ونتصور فيها دائما «السعادة المثلى» التى حرمتنا منها الأقدار، مع أننا لانستطيع أن نجزم بأننا كنا سنسعد بها لو كانت الحياة قد سمحت لنا بها ولم تسمح لنا ظروف الحياة بأن نختبر هذه «السعادة المثلى» ونتحقق منها لأنها لم تتح لنا من الأصل .

ولأننا فى النهاية إنما نلتقى بأقدارنا المقدورة علينا شئنا ذلك أم أبينا. ولأن سعادتنا وشقاءنا فى الحياة هما أيضا من قدر الله مهما تحسبنا لهما أو اجتهدنا .



ينبوع الحنان



فهون عليك يا صديقى ولا تستسلم لأحلام اليقظة الجميلة التى تعلم أنت قبل غيرك أن دونك ودونها أهوال ترتج لها أركان عدة أسر وأنك لاتقدر على الاقدام عليها إلا فى دنيا الخيال الحالمة الجميلة. ونصيحتى لك أن تدع فتاتك لحياتها وزوجها وأطفالها وأن تنفض صورتها من خيالك لكى لاتظل حائلا بينك وبين قبولك لزوجتك والتوائم معها، فهذا الخيال نفسه هو الذى يظلم زوجتك ويضعها دائما موضع المقارنة الظالمة مع أخرى لا ترى أنت منها سوى طيفها الشاعرى القديم ولم تعش معها حياة مشتركة ولم تختبرها فى كل أحوالها الدنيوية وحين تنجح فى إبعاد هذه الصورة عن خيالك فسوف تعترف لزوجتك بحقها العادل فى أن تكون امرأة أخرى مختلفة عن فتاتك القديمة فى شخصيتها وملكاتها وقدرتها وسوف تكتشف فيها من المزايا ما يرغبك فيها.. وما ترضى عنه وعن حياتك معها وتدع من أجله تلك الأحلام القديمة راقدة فى سلام فى خزينة الذكريات.

اكتب لك هذه الرسالة بعد أن نامت ابنتى الصغيرة التى تبلغ من العمر ٦ سنوات وقصتى ياسيدى تبدأ منذ سبع سنوات عندما تزوجت من إنسان رائع احببته بكل قواى واحبنى واغرقنى فى فيض مشاعره وحبه لكن اسرتى عارضت هذا الزواج لاسباب تتعلق بها ولم اتوقف عندها قليلا او كثيرا، وهذه الأسباب هى أن وسطه الاجتماعى اقل قليلا من وسطى ولأن أسرتى أرادت لى الزواج من شخص آخر كان قد تقدم لأسرتى واقتنعت به لأنه كما يقولون «مخربش» ويعرف كيف يتعامل مع الحياة والناس، فى حين أن من أحببته كان يبدو فى نظرهم إنسانا منطويا خجولا لايعرف كيف يتعامل مع الدنيا ولن ينجح فى أن يحمينى منها.. لكنى رغم ذلك تمسكت به ووجدت فيه ضالتى.. فهو رقيق الشعور.. طيب سريع التنازل عن حقه لكيلايغضب احد منه حريص على الناس حتى لو اساؤوا إليه.. كنت أحس انه جاء إلى هذه الدنيا خطأ.. فهو لايعرف اى شىء عن طبائع البشر، ويصدق كل كلمة تقال له.. ويتعامل مع الناس دائما بحسن نية، وأشعر انه حين يعود من عمله إلى البيت كانه يريد ان يحتمى بصدرى من الفظائع التى يراها فى مقر عمله او فى الشارع.. فكنت أضمه إلى حتى يخلد إلى السكينة.. فينفجر ينبوع الحنان من قلبه وكان ذا قدرة عجيبة على العطاء والحنان.. وكنت أنظر إلى عينيه فاجدهما تطوفان فى المكان بحثا عنى.. ولا تطمئنان إلا حين تستقران على فابتسم له.. فيبتسم ويشع سعادة وحنانا.. وانقطعت عن أسرتى — بكل أسف ـ بسبب زواجى منه واسرتى ليست أمى وابى فلقد توفيا رحمهما الله. لكنها مكونة من عمى وزوجته وقد ربيانى وكانا رحيمين بى لكنهما اعترضا على زواجى وقاطعانى بسببه فاضطررت لذلك راغمة.

ومضت حياتى سعيدة، وانجبت طفلة اكتملت بها سعادتنا.. ولن انسى ما حييت حنانه واشفاقه على خلال فترة الحمل.. وكان يتصور ان اية حركة أؤديها خلال الحمل ترهقنى وتؤذى الجنين.. فيطلب منى الا افعل

اى شىء.. فاضحك واهون عليه الامر فيزداد عطفا وحبا.. أما لحظة الولادة فكانت لحظة تاريخية فى حياتنا معا.. ولن انسى ما حييت رعبه حين جاءت لحظة الولادة فقد اشفقت عليه وهو يرتجف خوفا وهلعا علىَّ ويتمتم بآيات من القرآن الكريم وهو ينتفض فطلبت من الطبيب ان يخرجه من المستشفى كله ومن احد الأصدقاء أن يصحبه إلى البيت والا يعيده إلىَّ إلا بعد ان يأذن الله، وحدث ذلك بالفعل وجاء زوجى المحبوب ليحمل طفلته ودموعه تهطل كالمطر حبا واشفاقا.

وعشنا اياما سعيدة سعيدة.. بعد ان انضمت إلى عش حبنا ابنتى الوحيدة.. ولم يتغير شىء فى حياتنا سوى ان زوجى قد افرغ فائض حبه وحنانه على ابنته، وان ابنتى قد شاركتنى فى حبه وتعلقت به تعلقا شديدا كانها «اكتشفت» بإلهام من الله نوعيته وانه نوع من البشر خلق ليحبه الاخرون حتى ولو اختلفوا معه .

لم يكن يزعجنى شىء إلا انى فقط كنت اريد له الا يلتصق بى تماما لكى يستطيع مواجهة الحياة إذا فصلت بيننا الظروف لاى سبب ولاى فترة زمنية بسبب السفر او المرض الخ.. وكان يحاول جاهدا ارضاء لى لكنه كان يعود إلى مرة اخرى فاقول فى نفسى «اه ياطفلى الصغير.. إنك لاتريد أن تبعد عنى» واضمه إلى صدرى.

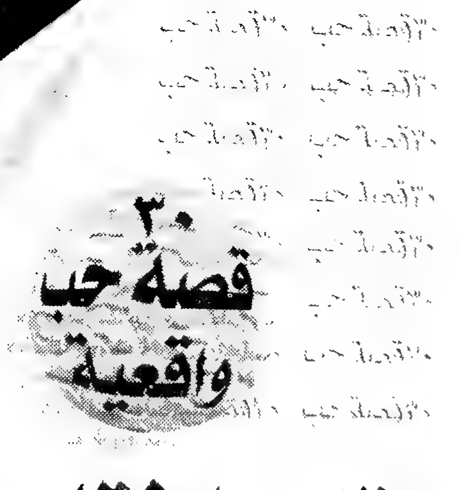
ومضت الحياة جميلة نشترك فى كل شىء.. ونعمل كل شىء سويا ونشترى اشياءنا معا.. ونذهب إلى العمل معا ونعود معا.. ونزور الاقارب عند الضرورة معا.. يشترى لى ملابسى.. واشترى له ملابسه، إلى ان جاءته فرصة للسفر إلى الخارج فى رحلة عمل تابعة لعمله.. فكاد يرفضها لانه لا يريد ان يبعد عنى أو عن ابنته لمدة أسابيع.. فضغطت عليه لكى يقبلها.. ولكى لا تضيع هذه الفرصة ومضيت أشجعه واعد له حقيبة السفر وأكتب له قائمة المشتريات التى اريدها لى وله ولابنتى.. وهو خائف.. يرتعد وكلما اقترب يوم السفر يزداد هزالا ورعبا كانه مقدم على خوض معركة وانا اطمئنه واداعبه واقول له انى ساعد الأيام على عودته.. ثم جاء موعد السفر فقبلنى وضمنى إليه طويلا وهو يبكى وقبل ابنته وضمها طويلا إليه.. ثم خرج ودموعى تودعه، وسافر للخارج، وشاءت إرادة الله ألا يعود

فقد توفى هناك فى حادث سيارة كان مع زملائه فى طريقه لزيارة أحد المصانع فوقع حادث للسيارة فأصيب كل ركاب السيارة بإصابات عادية أما هو فقد اختاره الله إلى جواره ولا راد لقضائه. فهذه إرادة الله، وبدأت متاعبى وآلامى عادت أسرتى للاتصال بى من جديد ورعايتى.. لكنى وجدت الحياة تختلف تماما عن الحياة التى عشتها طوال السنوات السبع الأخيرة. ولن أقول أنى حزنت عليه حزنا شديدا لأنى واثقة انك تحس بذلك الآن.. لكنى سأقول لك اننى كنت ومازلت أعيش مع طيفه حتى الآن كأنى فى انتظاره أن يعود إلى من رحلته.. أذهب إلى عملى فأتلفت حولى.. باحثة عن عينيه اللتين كانتا تطوفان حولى باستمرار.. وأعود إلى بيتى فأتخيله قلقا ينتظر عودتى ولايطمئن ولا يستقر ألا حين يرانى..أمضى الامسيات أمام جهاز التليفزيون فأغيب عما أراه وأرى وجهه الرقيق المتعب دائما كأنه يحمل فوق صدره خطايا البشر ينظر إلى بإشفاق كأنه يقول لى «أنا زعلان منك لأنك تهملين صحتك» فتغرورق عيناى بالدموع واحتضن ابنتى كأنى احتمى بها مما اعانيه، وهنا تبدأ مشكلتى وهى المشكلة الازلية.. فابنتى تبكى كل يوم وكل ليلة لأن «بابا» لم يعد من السفر حتى الآن.. وأنا حائرة لاأعرف ماذا أصنع لها.. وقد جربت كل الحيل بلا فائدة.. وفكرت أن أكتب إليها رسائل باسمه من الخارج كما رأيت فى بعض الأفلام لكن لاشىء ينسيها أباها. وقد ضاعف من الامى أن ظهر فى حياتى الشخص «المخربش» الذى تقدم لخطبتى قبل زواجى وراح يطاردنى بإصرار وعناد لأتزوجه مرة أخرى تسانده أسرتى التى عدت إليها، ورفضته مرارا.. فازداد ضغطا على.. وكلما فكرت مجرد تفكير أن أقبل عرضه أجد نفسى تفزع من فكرة أن «أحل» هذا الانسان الشرير «المخربش» محل ذلك الانسان الملائكى الرقيق خاصة انه يطلب طلبا قاسيا هو أن اترك طفلتى لحضانة عمى وزوجته لأتفرغ له، وهو لايريد أن يتركنى فى حالى فيذهب إلى مقر عملى ويشيع إنه خطيبى وحين أرفض عروضه.. يلاحقنى بالاقاويل لأسرتى ويطلب منها الضغط على لكى تتوقف هذه الأقاويل عنى.. وأنا حائرة لا أعرف ماذا أفعل.. ولا أجد من أبثه همومى.. وأفكر أحيانا فى الاستسلام لهذا الوحش وقبول الزواج منه.. لكن كيف استطيع

أن أتخلى عن جوهرة حياتى وهى ابنتى.. وأفكر أن أعيش لابنتى وأن أكيّف حياتى على الوحدة بعد أن ذقت السعادة انهارا مع زوجى الراحل.. لكن هذا الشخص الذى تتجمع فيه كل شرور الدنيا لايدعنى لحالى.. فماذا أفعل وبم تنصحنى.. هل أقبله زوجا.. وأضحى بابنتى.

□ **ولكاتبة هذا الرسالة أقول لها باختصار :**

لاتستسلمى لرغبة هذا الشخص فى الزواج منك وابعاد ابنتك عنك.. لأنك لاتحبينه ومازلت تعيشين حبك لزوجك الحالم الذى مر بالحياة كأنه طيف جميل عبر بها وترك وراءه أجمل الذكرى.. ولن تجدى السعادة بعد هذا الزوج الحالم مع زوج «مخربش» يمثل بالنسبة لك النقيض فى كل شىء ومن الواضح أن نمط هذه الشخصية لايلائمك لأنك أنت أيضا شخصية رومانسية حالمة.. وسوف تموتين كل يوم ألف مرة مع مثل هذا الزوج الفظ. كما انك بالتأكيد لن تجدى السعادة مع زوج لا يقدر مشاعرك كام ويشترط أساسا ابعاد طفلتك عنك فى مثل هذه الظروف المأساوية التى تعيشينها.. ولو سألتنى الرأى فإنى انصحك بألا تتزوجى ممن تكرهين.. لأن مثل هذا الزواج محكوم عليه بالفشل مقدما، وانصحك بأن تنتظرى قليلا إلى أن تلتئم جراحك ثم تزوجى بعد ذلك من تجدين فى نفسك الميل والارتياح له ولن تجدى مثل هذا الميل الا تجاه شخص لاتتنافر طباعه تنافرا تاما مع زوجك الراحل.. وعموما فإن الزمن يصنع الاعاجيب ولسوف تعبرين هذه المحنة بسلام إن شاء الله وستجدين من يضمد جراحك ويعيد السعادة إلى عشك القديم بشرط الا تتعجلى الأمور، أما ابنتك المسكينة.. فضاعفى من رعايتك وحنانك لها.. ولا مفر من أن «تسربى» إليها الحقيقة المرة على جرعات وبالتدريج إلى أن تعرف الواقع المؤلم ثم تنسى بعد حين بقلوب الأطفال ما يدمى قلوب الكبار.. والله معك ومعها فى أيامكما القادمة.


١٨
٣٠
قصة حب
واقعية


ستار الختام



لا أعرف من أين أبدا قصتى .. فأنا سيدة شهدت حياتى أحداثا عديدة مؤثرة ، فرحلت أمى عن الحياة وأنا فى العاشرة من عمرى، ولحق بها أبى بعد عامين من رحيلها، وكنت وحيدة أبوى، فحصل أعمامى على حقهم الشرعى فى تركة أبى، وورثت أنا نصف التركة، مع ميراثى عن والدتى وبالاضافة إلى قطعة أرض زراعية ومنزل كان أبى قد اشتراهما باسمى ليؤمن مستقبلى، وبسبب ميراثى اللعين هذا تصارع أعمامى بعد وفاة أبى على الفوز بى زوجة لأحد أبنائهم وأنا مازلت صبية مراهقة فى الرابعة عشرة من عمرها بدعوى الحرص على ألا تخرج الأملاك عن دائرة الأسرة إلى رجل غريب، ولم تكن لى أية رغبة فى أحد من أبناء أعمامى الذين كنت لا أشعر معهم جميعا إلا باحساس الأخت تجاه اخوتها، لكنى كنت على الناحية الأخرى فتاة يتيمة وضعيفة ولا سند لى، فلم أصمد طويلا للضغوط، ورسا المزاد فى النهاية على أقوى الأعمام نفوذا وتأثيرا، وكان هو الوصى الشرعى على، فسحب أوراقى من المدرسة رغما عنى، وأعلن خطبتى لابنه الذى يكبرنى بـ ١٤ عاما ومضى فى إجراءات الزواج بلا أدنى اعتبار لمشاعرى ولا لموقفى الرافض لابنه وتم عقد القران والزفاف وأنا ساخطة على ابن عمى الذى قبل الزواج بى رغم مصارحتى له بحقيقة مشاعرى تجاهه، ورغم أننى قد خلعت الدبلة ورددتها إليه أكثر من مرة.

ومضت الحياة بى رغم ذلك معه وأنجبت منه ولدين وبنتين كرست لهم كل حياتى وتحملت العبء الأكبر لتربيتهم ، وتواءمت مع حياتى، وحققت رغبتى القديمة فى استكمال تعليمى فواصلت التعليم وأنا زوجة وأم لأربعة أبناء، وعملت أيضا بإحدى المؤسسات وتدرجت فى العمل حتى أصبح مرتبى كبيرا، ثم مرض زوجى مرضا شديدا منذ سنوات ورحل عن الحياة بعد ثلاثين عاما من الزواج كان الأبناء خلالها قد تخرجوا فى الجامعة، وتزوجت الابنتان واستقرت كل منهما فى بيتها، وسافر الابن الاكبرللعمل فى الخارج، وتزوج الابن الأصغر واستقل بحياته عنى، فوجدت نفسى فى

النهاية وحيدة أعيش فى فراغ قاتل وأنا فى أواخر الأربعينات من العمر.. ولا شىء يسلينى عن بعض وحدتى سوى عملى، أما الأبناء فلا يأتون إلا للزيارة، وإذا جاءت إحدى الابنتين أشعرتنى بأن وراءها الكثير من المشاغل التى تنتظرها،حتى أصبحت شديدة الحساسية ومتضاربة المشاعر تجاههم، فإذا زارنى الأبناء شعرت بالرغبة فى أن أكون وحدى، وإذا غابوا عنى اشتدت على الوحدة وشعرت بوحشة قاتلة.

وفى هذه الظروف نقل إلى مقر عملى مدير جديد كان يعمل فى فرع آخر من فروع المؤسسة، وكنت أعرفه عن بعد كزميل قديم، وقد أدى لى من قبل عدة خدمات سابقة شكرته عليها فى حينها، وشعرت تجاهه بالاحترام والتقدير، وكنت كلما التقيت به بعد ذلك صدفة وعلى فترات متباعدة، لمحت فى عينيه نظرة الاعجاب التى لا تخطئها امرأة أبدا فى عينى رجل، ثم نقل بعد ذلك إلى مقر عملى وأصبح مديرى الذى تفرض طبيعة العمل أن أتعامل معه باستمرار، فتكرر لقاؤنا فى العمل ووجدتنى أستريح إلى حديثه.. وأستشف من جديد نظرة الاعجاب القديمة فى عينيه، فازداد اقترابنا، وكان زوجى قد رحل عن الحياة منذ عامين وأن فى التاسعة والأربعين من العمر فوجدت مشاعرى الحبيسة على مر السنين تستيقظ فى أعماقى وأشعر بالحب الجارف تجاه هذا الرجل، وبادلنى هو مشاعرى بأكبر منها، وكان يمر فى حياته الزوجية بمشاكل لا حصر لها ويحكى لى عنها كثيرا وأحكى له عن متاعبى مع الوحدة.. ومع العمر الذى ضاع فى الحرمان الصامت ثم طلق زوجته للمرة الثالثة، وكان قد طلقها من قبل مرتين لأسباب ومشاكل سابقة بينهما ولا علاقة لى بها، أما الطلاق الأخير فلقد كنت ـ أعترف بذلك ـ طرفا فيه أو أحد أسبابه مع أن زواجه لم يشهد قط الاستقرار قبل أن أعرفه، وفوجىء أبنائى بما طرا على من تغيرات وانزعجوا لها بشدة، وتضاعف انزعاجهم حين صارحتهم برغبتى فى الزواج من هذا الرجل وانهالوا علىّ باللوم والاهانات والتهديدات بمقاطعتى إذا فعلت. فتحديت كل شىء وضحيت بكل شىء وتم الزواج.. ومنعنى أبنائى من استقبال زوجى فى البيت أو اتخاذه عشا لزواجنا مع أنه باسمى وقد ورثته عن أبى لأنه البيت الذى عاش فيه أبوهم، وكان زوجى قد ترك هو الآخر مسكنه

لزوجته وأولاده وسجله باسمهـا، وراح يتنقل بين مساكن اخوته، ولا أجرؤ على استقبالـه فى بيتى الذى املكـه خوفـا عليه من ابنـائى ومن تهديداتهم المتكررة فكنا نتـلاقى فى الخارج وارتباطنا العاطفى يتعمـق ويقوى فى وجه التحـديات وعشنـا فترة قلق شـديدة لمست فيهـا من عقـوق ابنائى الـذين كرست حيـاتى لهم الكثير، وتحملت منهم الكثير، فمن حين لآخـر يؤلموننى بالكـلام القارس تـارة، والمقاطعـة تارة أخرى، ويسالـوننى متهكمين: هل يستحق هذا الـرجل هذه التضحيـة بنا من اجله؟! فـلا اجد مـا اجيبهم به، ولا أجـرؤ على ان اقول لهم اننـى احبه بكل جـوارحى ولا استطيع الحيـاة بـدونه لحظـة واعجب لنفسى كيف احب بهذه القـوة وانـا فى الخمسين من عمرى.

وظل الزواج قـائما وانا أعيش وحيدة فى بيتى.. وهـو يتنقل بين مساكن اخوتـه إلى أن وجد أخيرا شقـة مناسبـة وتركت بيتـى للاقـامة معـه فيها، واشترينا الضروريات فقط ونقلت للشقة بعض الأشيـاء الأساسية، وعشنا معـا أحلى ايـام العمر، وهـو يعـوضنى عن عقـوق ابنـائى وتجريحهم لى، ومسـاومـــاتهم لى على ان اكتب لهم أمـلاكى حتى لا يشـــاركهم زوجى فى ميراثهم عنى وانا اخفف عنـه متاعبه واغمـره بمشاعرى الفيـاضة وانتهى الأمر بان كتبت لابنائى بالفعل ميراثى عـن والدهم، اما ميراثى واملاكى عن ابى وامى فلم اعطهم منـه شيئا، ولم اجـد مبررا لذلك لانه ليـس من العدل الا يكـون بينه وبين ابنـائى الذين اضعـت عمرى عليهم إلا هـذه العلاقـة المادية؟!

المهم اننى عشت مع زوجى وحبيبى ايـامـا فى غايـة السعادة والهنـاء، وقدمنى زوجى لأهله فرحبوا بى وقالـوا لى ان الله قد عوضه بى عما عاناه فى حياته الزوجية التى لم تعرف الوفاق قط.

واستمر هذا الحلم الجميل فترة ساحـرة من العمر ثم بدأت أشعر بتغير طارىء فى طباع زوجى وبـانه مهموم بشىء غامض لا اعـرفه، فسالته عما بـه واجـابنى بانـه إجهـاد العمـل ولا شىء غير ذلك، إلى ان الححت عليـه بالسؤال أكثر من مرة فدمعت عينـاه وصارحنى بان ابناءه يضغطون عليه بشـدة لكى يعيـد أمهم إلى عصمتـــه وانـه حـائر فيما يفعل بهذا الصـدد،

وصدمت صـدمة شديـدة لانه كان أكـد لى من قبل انه طلقها ثـلاث مرات، وعرفت ان ابنـاءه أبلغوه انها سوف تتـزوج رجلا آخر سـوف يقيم معها فى الشقة التى كتبهـا باسمهـا، وأن هذا الأمـر قد جـرح مشاعـره كثيرا وأثار ضيقه ان تتـزوج أم ابنائه من غيره فى نفس المسكن الذى وضع فيـه شقاء عمـره كله، ولم أصـدق فى الحقيقة أن مطلقتـه سوف تتـزوج وأدركت انها مجرد وسيلـة ضغط عليـه من ابنـائه ومع ذلك فقـد تأثـر بها جدا وبـدأ يحدثنى عن رغبتـه فى إعادة زوجته تـاسيا مـا أكده من قبل من انـه طلقها ثلاث مرات!

ومادت الأرض بى وأنا اسمعه يقول ذلك وتساءلت متألمة: وماذا عنى؟

فإذا به يجيبنى بان شرطها الأول لكى ترجع إليه هو طلاقى وأن تمسك قسيمة الطلاق بيدها وتتأكد من صحتها!

أما شرطهـا الثانى فهـو أن تقيم فى نفس الشقة التى نعيش فيهـا وتغلق مسكنها القديم زيادة فى الانتقام منى والتشفى!

ولك ان تتخيل مـا احسست به من حـزن وألم.. وأنا ارى زوجى الـذى ضحيت من أجله بابنائى يضحى بى من أجل زوجته السابقة وأبنائه.

ورجعت حزينـة ومهزومـة للإقامـة فى بيتى الذى هجـرته من قبل من اجله وتركت له حرية الاختيار.. ولم يعد زوجى زوجته إلى عصمته بعد لأنه لم يطلقنى حتـى الآن ولم يشأ ان يطلقنـى إلا إذا طلبت منـــه ذلـك حتى لا يشعر بالذنب تجاهى كما يقول، وحين طالبته بالطلاق لكى تقبل مطلقته الرجوع إليه ويـرجع للحياة معها ومع أبنائه، فوجئت به يطـالبنى بالتنازل عن حقوقى بحجة اننى أنا التى اريـد الطلاق، فما رأيك فى كل ذلك يا سيدى وهل تـرانى كنت أعيش وهما كبيرا مع هذا الـرجل.. أو لم يكن من حقى أن افعل ما فعلت فى مثل عمرى هذا.. ولمن أشكو همى وفجيعتى؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

حين تجىء النهاية فإنه من الاكـرم لنا ألا نطيل فيها وألا نحاول افتعال الأسباب للمماطلة فى انهائها بلا طائل!

فالنهاية الحاسمة هى دائما أفضل ختـام لكل تجربة إنسانية استوفت فصـولها ولم يبق لإنهائهـا إلا إسـدال الستـار عليهـا. ذلك انه إذا كـانت

التجربة خاطئة ومؤلمة من الأصل فإن الإسراع بوضع النهاية لها يقلل من مضاعفاتها وآلامها ويعيننا على تحجيم خسائرها والاستفادة الأسرع بدروسها، أما إذا كانت التجربة صحيحة ـ لكنها واجهت ظروفا غير مواتية فرضت عليها الفشل والانتهاء ـ فإن الاسراع أيضا بإنهائها يحفظ لنا ذكرياتها الطيبة.. ورموزها الجميلة بغير أن تشوهها مساومات وخلافات الختام فى النهايات غير الحاسمة.

وهكذا ففى كل الظروف فإن النهاية الحاسمة الكريمة بلا مراوغة ولا مماطلة ولا توقف أمام الصغائر هى أنبل النهايات دائما وأكثرها ترفعا عن الدنايا، أما النهايات المفتوحة للجدل والعناد وتفاقم الخلافات هى دائما أسوأ ختام لكل تجربة إنسانية سعيدة كانت أم شقية.

وتجربتك مع هذا الرجل كانت تجربة خاطئة من البداية يا سيدتى، لأن الأرملة أو المطلقة فى مثل ظروفك حين ترغب فى الزواج فإنه ينبغى لها أن تتزوج بمن يسهم زواجها منه فى حل مشاكل حياتها وتلبية كل احتياجاتها الانسانية، وليس بمن لا يعدها الزواج منه إلا بمزيد من هذه المشاكل وإلا بفتح جبهات جديدة للمتاعب عليها كجبهة الخصومة والخلاف مع أبنائها وأهلها.. أو جبهة النزاع والحرب الصريحة، بينها وبين أسرة زوجها وأبنائه إذا كان أبا وزوجا كما هو الحال فى قصتك.. أو حتى جبهة الخوف والعيش فى قلق من احتمال عودته لأبنائه وزوجته فى أية لحظة.

وتجربة الزواج برجل متزوج وله أبناء، حتى ولو كان قد طلق زوجته من أجلك لا تقدم الحل الموفق لوحدة أرملة فى الخمسين من عمرها ولها أبناء كبار ومتزوجون مثلك. ذلك أن انفصاله عن زوجته لا يعنى فى كل الأحوال، انقطاع الروابط بينه وبينها للأبد مع وجود أبناء لا يرضون عن حياتهم ولا عن أبيهم إلا إذا وفر لهم الحياة العائلية الطبيعية بين أبويهم.. فيظل نداء الأبناء قائما دائما وقويا فى حياة الأب ولا تصمد أمامه طويلا قصة حب عابرة لم تسبقها سوى بعض نظرات الاعجاب السابقة وبعض المعاملات القليلة العادية.. ثم اقتراب سريع تبادل كلاكما فيه الشكوى للآخر من حياته وظروفه الشخصية.

فالرجل كان يواجه بعض المتاعب العائلية مع زوجته قبل أن يعرفك،

لكن الحياة كانت تمضى به رغم ذلك معها إلى غايتها الطبيعية ثم ظهرت أنت فى حياته واستجاب لمشاعرك الحبيسة التى تبحث عمن يطلق شرارتها بعد أن ابتسر عمك لا سامحه الله صباك المبكر وبواكير شبابك قبل الأوان ولم يسمح لك بأن تعيشى مرحلتهما كاملة.. ثم تنتقلى منهما إلى مرحلة النضج العاطفى والنفسى والزواج فأجرم بذلك فى حقك من حيث لا يدرى لأن ابتسار بعض مراحل العمر وحرمان المرء من أن يعيشها فى حينها لا يثمر غالبا إلا الحنين لأن يعيش الانسان ما حرم منه من بعض مراحل العمل، وإلا الرغبة المكتومة فى ممارسة ما كان ينبغى له أن يمارسه فى حينه من مشاعر وخبرات مما يعرضه غالبا لتحدى الزمن والعمر وظروفه الشخصية إذا استسلم لهذه الرغبة الملحة بعد فوات الآوان. وهكذا فلقد أدى ظهورك فى حياة هذا الرجل ورغبتك فى أن تمارسى معه ما حرمت منه من مشاعر وخبرات عاطفية قديمة، إلى اقدام الرجل على طلاق زوجته، للمرة الثانية فى تقديرى وليس للمرة الثالثة كما زعم لك لكى يهدىء خواطرك ويبدد هواجسك بشأن احتمال استئناف الحياة بينهما ذات يوم.

وتم الزواج بينكما مضحية بعلاقتك وبأبنائك وباعتبارات عائلية وإنسانية عديدة فنعمت بالحب والسلام معه لفترة وتعزيت بتجربتك الجديدة عما اعتبرته عقوقا من جانب أبنائك، ثم ماذا حدث بعد ذلك؟ لقد تكشفت التجربة سريعا للرجل عن انها لا تعوضه عن افتقاده لأبنائه وللحياة العائلية الطبيعية بينهم بالرغم من كل ما كان يشكو منه من قبل من زوجته وأسفرت أيضا عن عجزه عن احتمال تعاسة أبنائه بانفصاله عن أمهم وحياته معك بعيدا عنهم، فأيقن الرجل انه غير قادر على التضحية بأبنائه كما تقدرين أنت واستجاب لرجائهم له بالعودة لأمهم وبدأ طريق الانسحاب من هذه القصة العاطفية التى اعترضت مجرى حياته لبعض الوقت. لكنها لم تنجح فى تحويله إلى مسار نهائى آخر. ولست أتصور انه قد هجرك لانه قد تألم لفكرة أن تتزوج أم أبنائه من رجل آخر يعيش فى مسكنه الذى وضع فيه شقاء عمره، فالأمر أبعد من ذلك بكثير وأعمق أغوارا، ولا يمكن أن يكون شقاء العمر أو المسكن هو دافعه الأساسى لإنهاء قصته معك والعودة لزوجته، بعد أن تحدى ظروفا عديدة بزواجه

منك وإنما الأقرب للمنطق والعقل، هو أن الدافع الأقوى لذلك هو أبناؤه وعجزه عن احتمال تعاستهم ببعده عنهم، ورغبته هو في استعادة الشكل الطبيعي لأسرته مع أبنائه وزوجته السابقة.. في نفس الوقت الذى تراجع فيه الحب.. أو ذوى وتكشف عن سحابة عابرة هطلت أمطارها لفترة في حينه ثم جفت ومضت في طريقها والدليل على ذلك هو قبوله بشروط زوجته لعودة إليه وموافقته على طلاقك وإخراجك من مسكن الزوجية رغم قصة الحب التى جمعت بينكما ولعلك قد عرفت الآن بالدليل المؤلم أنك قد أخطأت حين انسقت وراء مشاعرك الحبيسة بلا ترو ولا تقدير للظروف العائلية المحيطة بك وبه، ولعلك قد عرفت أيضا أن التجربة كلها لم تكن تستحق منك التضحية بأبنائك ولا بعلاقتهم بك، مهما حدث ومهما كانت الأسباب وأنه لا حق لك في اعتبار موقفهم منك عقوقا لك، لأنه ليس سوى احتجاج صاخب على إقدامك على هذه التجربة وانسياقك إليها ضد التيار وبلا أية محاذير.

ولست أنكر عليك في النهاية حقك في الزواج إذا رغبت فيه واشتدت حاجتك إليه، لكن ذلك لا ينبغى أن يتحقق — إذا تحقق — إلا بتأييد أبنائك له وبعد اقتناعهم بحاجتك الانسانية إليه. وبشخص من سوف يشاركهم فيك. وبإخلاص نيته في الارتباط بك، وبعد إقناع صبور وهادئ من جانبك لهم بمبدأ الزواج أولا ثم بشخص من ترتبطين به.. فإذا لم يرضوا به رغم كل ذلك فكثيرات من الأمهات لا يضحين بسعادة أبنائهن في مثل هذه الظروف من أجل الرغبة في الزواج ولا يعرضن أبناءهن لما يشعرون به من حرج عائلى كبير أمام أزواجهن وزوجاتهم وأصهارهم بسبب هذه الرغبة من جانب أمهم. ويقنعن من الحياة بما سمحت لهن به، ويرضين عن حياتهن وأنفسهن.. ويتعزين عما يفتقدن بأشياء أخرى كثيرة وجميلة في الحياة. أما الانسياق وراء التجربة الغرامية في مثل هذا العمر والتضحية بكل شيء من أجلها من الأبناء إلى الوضع العائلى إلى اغتصاب زوج امرأة أخرى ووالد أبنائها بدعوى متاعبه معها، فليس كل هذا من الحكمة ولا مما يرضى عنه العقل.

وقد تحديت أنت كل شيء وضحيت بكل شيء كما تقولين لأنك شعرت

قبل الزواج انك لن تستطيعى الحياة - لحظة واحدة - بدون هذا الرجل؟ فكيف تعيشين الآن بعد هجره لك يا سيدتى؟ وكيف تتحملين الحياة؟

إن الانسان أقوى كثيرا مما يتصوره في نفسه.. وهو قادر دائما على أن يحيا في أصعب الظروف وعلى أن يحتمل الحياة لحظات بل سنوات كثيرة بدون ما حرم منه أو ما حالت بينه وبينه الأقدار والظروف، لكننا نبرر أخطاءنا واندفاعاتنا وعثراتنا دائما بهذه العبارة التى لا معنى لها.

ولهذا كله فإن رأيى هو ألا تسوفى في اسدال ستار الختام على هذه القصة العارضة في حياتك.. وألا تماطلى في الطلاق بدعوى تمسك بالحصول على الحقوق المادية قبل إتمامه، فالرجل كما هو واضح لا يقدر على الوفاء بها، وأنت قادرة ماديا ولست في حاجة حقيقية إليها لكنك ترغبين بتمسكك بها في ألا تقطعى ما بينك وبينه من صلة، أملا في تجدد العلاقة بينكما ولو من باب عجز زوجك عن تحمل تبعات الطلاق! وليس هذا مما يليق بك ولا بالتجربة نفسها التى بدأت عاطفية وضد تيار العمر والأوضاع العائلية ولا يجوز لها أن تنتهى بالنزاع المادى حول ما لا يستحق النزاع حوله، فإذا كنت قد أحببت هذا الرجل حقا واستمتعت معه بأيام «في غاية السعادة» كما تقولين، فلا تفسدى ذكرى الأيام الجميلة بالمماطلة والمطالب المادية الرخيصة.. ولا تقفى عقبة كأداء في طريق عودته لزوجته وأبنائه وحياته العائلية واستفيدى بدرس تجربته مع أسرته، في استعادة حب أبنائك لك، ورأب الصدع الذى حدث في علاقتك معهم.. وانتظرى حلا آخر لوحدتك أكرم وأكثر ملاءمة لك ولأوضاع أبنائك العائلية والاجتماعية.. والسلام.

٢٠
قصة حب
واقعية

المحاولة الثانية

أنا مهندس قاهرى شاب فى الثلاثين من عمرى نشأت بين أبوين طيبين واخت وحيدة فمضت بنا رحلة الأيام حتى تخرجت أنا وأختى فى نفس الكلية العملية بتفوق فلم يسعد أبوانا طويلا للأسف بثمرة كفاحهما الشريف فى الحياة ورحل أبى عن الدنيا عقب تخرج شقيقتى بشهور وتبعته أمى بعد عامين آخرين ووجدت نفسى أنا وشقيقتى وحيدين تماما فى الحياة فازددنا ترابطا وتعاطفا وتعاهدنا ألا تفرق بيننا الأيام، وبعد شهور من رحيل أمى تقدم لشقيقتى رجل فاضل فكادت ترفضه إشفاقا علىّ من وحدتى بعد رحيل أبوى، لكننى نهضت لأداء واجبى تجاهها وتحريت عن سمعته وأسرته وأخلاقه وجاءت التحريات كلها لصالحه.. فرجعت إلى أختى وحثثتها بقوة على قبوله.. وأكدت لها اننى لن أسعد بحياتى إلا بعد أن أطمئن إلى استقرارها فى بيت زوج يحبها ويرعاها ويحميها، فسألتنى بإشفاق: وانت؟ فأجبتها بأننى رجل وأستطيع مواجهة الحياة وسوف يضع الله فى طريقى من تقر بها عينى وتعوضنى عن وحدتى، حين يشاء ذلك. فتزوجت شقيقتى وسعدت بزواجها سعادة كبرى، وتعانقنا ليلة الزفاف باكيين ومسترحمين لأبوينا اللذين علمانا بتضحياتهما وربيانا على الحب الأخوى الصادق والحنان وانتقلت أختى إلى بيت زوجها، وشعرت بأن الدنيا كلها قد خلت علىّ بعد زواجها.. وانفردت بنفسى فى سكن العائلة وأصبح بيتها هو واحتى التى أشعر فيها بالحب وبأنفاس العزيزين الراحلين.. وكلما زرتها سألتنى عن زواجى وعاتبتنى بشدة على استمرارى فى وحدتى.

وذات يوم فاتحنى مهندس زميل لى فى العمل فى أمر ارتباطى بابنة عمه التى تصغرنى بأربع سنوات فقط وقال لى انها رأتنى فى حفل عيد ميلاد طفلته فى بيته وانى لفت انتباهها بشدة فحدثت زوجته وسألتها عنى، وأرضانى ذلك كرجل لكنى أشفقت من قلة امكانياتى المادية وعجزى عن تكاليف الزواج وصارحته بذلك فأكد لى ان أسرة عمه لا تحفل بالماديات

وانها تريد لابنتها زوجا أمينا وعلى خلق ودين مثلى، وتشجعت بما سمعت ولبيت دعوته لزيارة أسرة هذه الفتاة، وأحسست حين رأيتها وجلست إليها بارتياح شديد لها مع انها ليست باهرة الجمال، ولقيت منها اهتماما تلقائيا شديدا لا يتجمل ولا يتحفظ فأسعدنى ذلك واستشرت شقيقتى فى أمرها واصطحبتها لزيارتها فأحبتها أختى من الوهلة الأولى وشجعتنى على الارتباط بها بحماس شديد وتعمقت علاقتى سريعا بفتاتى خلال فترة الخطبة القصيرة.. ولاحظت سعادة خطيبتى بل وفرحتها الواضحة بى، ولقيت من أبيها وأمها وأختيها كل حفاوة وتقدير، وذللت الأسرة كل الصعاب المادية أمامى وكلما تعثرت فى شىء أو ترددت أمامه بسبب قلة امكانياتى، تطوع والد فتاتى بأن يتحمله عنى بأريحية وهو يقول لى انه لا يهمه إلا سعادة بناته الثلاث خاصة كبراهن الطيبة الحنون.. أى فتاتى. وفى ليلة الزفاف أبكتنى شقيقتى الحبيبة بفرحتها الطاغية وبقيامها بدور الأم والأب لى فى حفل الزفاف، وبإصرارها على أن تحمل ذيل فستان عروستى فى الزفة ورعايتها لها ولى فى الكوشة وبزغاريدها السعيدة التى كانت تستدر دموعى رغما عنى ثم صاحبتنى حتى باب مسكنى وقبلتنى وقبلت عروسى وهى توصيها خيرا بى لاننى كما قالت طيب وغلبان ومقطوع من شجرة.. وانصرفت أختى راضية وسعيدة وبدأت حياتى الزوجية مع شريكة حياتى، وسرعان ما اكتشفت فيها أشياء كثيرة جميلة. فهى رقيقة الاحساس وطيبة ومتدينة وعطوف، ولا تخفى حبها لى أمام الجميع وصارحتنى بطفولية أحببتها فيها وقدرتها لها انها تمنتنى لنفسها منذ رأتنى فى بيت ابن عمها وانها حثت زوجته على أن تفاتح زوجها فى أمرى، وأسعدنى كل ذلك وبادلت زوجتى حبا بحب وإخلاصا بإخلاص ولم تمض شهور قليلة حتى حملت وأنجبت لى طفلا جميلا زاد من سعادتنا وابتهاجنا بالحياة، لكنى لاحظت فجأة ان زوجتى قد بدأت تشكو من قلة النوم وفقدان الشهية، وانها تمضى الليل أحيانا بطوله عاجزة عن النوم.. ومسهدة وحائرة، حتى لتعجز عن النهوض من الفراش فى اليوم التالى وتظل مستلقية فيه بلا نوم ولا قدرة على الحركة وسألتها عما بها.. فلم تفدنى بشىء سوى انها تجد نفسها عاجزة عن النوم.. واستشرت

طبيـــب الشركة التى أعمل بها فى شأنها فقال لى انه يرجح انها تعانى مما تشكو منه بعض الزوجات الشابات اللاتى ينجبن لأول مرة.. وهو اكتئاب ما بعد الولادة واتبعت نصيحته فى إعطائها مهدئا خفيفا.. مع الحرص على الترفيه عنها.. وتجنب كل ما يؤلم مشاعرها الخ.. ثم رجعت إلى البيت ذات يوم فوجدتها مستلقية فى فراشها وعيناها مفتوحتان لكنها لا تنطق ولا تتحرك ولا تستجيب لمحاولاتى للحديث معها او تحريكها وهرولت لاستدعاء الطبيب الذى نجح فى افاقتها وعرفت منه انها اصيبت بهذه الحالة بسبب عدم النوم.

وجاءت والدتها لزيارتها على غير انتظار وعلمت بما حدث لها ففوجئت بها تضطرب اضطرابا شديدا وتطلب منى عرضها على طبيب بالذات.. وفى أسرع وقت والححت عليها فى معرفة السبب فعلمت منها ان هذه الحالة قد واتتها من قبل، فاصطحبتها إلى عيادة الطبيب المقصود فإذا به طبيب نفسى معروف، وإذا بزوجتى لها ملف قديم عنده ومرضها هو الاكتئاب النفسى، وصدمت صدمة هائلة حين علمت بذلك وتشاغلت عن صدمتى بمساعدة زوجتى على الشفاء فتحسنت حالتها بالعلاج الذى وصفه لها الطبيب، لكن لم يمض وقت طويل حتى لاحظت عليها الشرود الدائم وانعدام التركيز رغم حرصى على إحاطتها بالحب والرعاية والحنان وتعمدى اخفاء أثر صدمتى بمعرفة حقيقة مرضها ثم رجعت من العمل ذات يوم فوجدتها فى فراشها نائمة فايقظتها لتناول الغداء فلاحظت ضعفها الشديد وشحوبها وعجزها عن النهوض من الفراش ووجدت علبة الدواء التى تتناول منها قرصا واحدا كل يوم فارغة إلى جوارها فادركت الكارثة.. وهرولت خارجا لاستدعاء الطبيب الذى جاء واصر على نقلها إلى المستشفى فنقلناها واجريت لها الاسعافات اللازمة وصارحنى الطبيب بأن زوجتى قد حاولت الانتحار بسبب ما تعانيه من اكتئاب نفسى ونبهنى إلى أن المحاولة ستتكرر مرة أخرى ولهذا فلابد من إبعاد كل الأدوية والأدوات الحادة عنها ومراقبتها بحرص طوال الوقت.

ومنذ ذلك الحين يا سيدى وأنا أعيش فى رعب قاتل ترقبا لهذه المحاولة الثانية التى لا أعرف متى ستجىء.. ولا من أى باب من أبواب الجحيم ستأتينى منه.

لقد ضممت زوجتى إلى صدرى بعد رجوعنا من المستشفى.. وبكيت بين يديها وعاتبتها على ما ارادت أن تفعله بنفسها وبى وبطفلها الوحيد، فبكت طويلا وقالت لى انها لا تستحقنى ولا تستحق أن تحيا حتى تحت قدمى لأنها مريضة ولأنها أخفت عنى هى وأسرتها حقيقة مرضها حتى لا افر منها بعد أن احبتنى خلال فترة الخطبة وتعلقت بى حتى الجنون، فقلت لها ان ما حدث قد حدث ولا لوم عليه ولا عتاب بعد ان تزوجنا وأنجبنا واصبح لنا طفل صغير يحتاج إلينا واكدت لها اننى لا أستطيع الحياة بدونها واننى أريدها أن تقاوم الاكتئاب ونزعة الانتحار التى قد تهاجمها لكى ترعى طفلها الصغير وتسعدنى بوجودها فى حياتى، فأقسمت لى انها نادمة على ما فعلت وانها لن تكرره أبدا وانها لا تريد منى سوى أن أسامحها على كتمانها لمرضها عنى بسبب ما وصفته بأنه أنانيتها ورغبتها فى أن تتزوج منى. فاقسمت لها بأنى لا أحمل لها فى قلبى إلا الحب والخوف عليها.. ولا أريد من الحياة سواها.. فاستراحت لذلك، لكنى لم أعرف طعم الراحة بعد ذلك قط يا سيدى.. فهى تتناول دواء وصفه لها الطبيب باستمرار للوقاية من عودة المرض إليها والذى حدده بأنه «الاكتئاب الرجعى» وأنا أغادر البيت كل يوم ذاهبا إلى عملى والهواجس تلاحقنى كل لحظة عما يمكن أن تفعل إذا عاودتها النوبة خلال غيابى وماذا سيكون مصيرها ومصير طفلى ومصيرى إذا وقعت المحاولة الثانية التى يتوقعها الطبيب فى أية لحظة ولم ينجح أحد فى إنقاذها فى الوقت المناسب، كما انى لا أغادر البيت إلا إذا جاءت أختى «لمراقبة» زوجتى كل لحظة إلى أن أرجع للبيت أو جاءت أمها أو إحدى شقيقاتها للقيام بنوبة المراقبة والحراسة إلى حين عودتى، فإذا رجعت للبيت لم أدعها تغيب عن ناظرى لحظة واحدة واتفنن فى اخفاء الآلات الحادة والأدوية عنها، وإذا طالت غيبتها فى الحمام بعض الشىء طرقت عليها الباب متوجسا إلى أن يجيئنى صوتها وإذا نمت فى الظهيرة نهضت مفزوعا بعد لحظات متسائلا عنها، ولا يغمض لى جفن فى الليل إلا إذا اطمأننت إلى استغراقها العميق فى النوم، فإذا جفاها النوم كما يحدث أحيانا ظللت ساهرا حتى يهزمها الارهاق وتنام وقد انهض بعد ذلك مرتعبا اتحسسها لاتأكد من وجودها إلى

جانبـي . اننى أعيش فى جحيم دائم يا سيـدى وقد عاهـدت نفسى ألا أتخلى عن زوجتى أبدا لكنى أسأل هل سيستمـر هذا العناء إلى مـا لا نهاية.. وهل سأفاجأ بـالمحاولة الثـانية للانتحـار على غير انتظار رغم كل ما أبـذله من احتياطات وتحفظات؟

أولا يمكن أن تستشير طبيبا نفسيـا كبيرا من أصدقـائك فى أمر زوجتى ليطمئن بعض مخاوفى ويعطينى بـريقا من أمل الشفـاء.. والنجاة والأمـان ذات يوم؟ أن شقيقتى تبكى على حـالى وتقول لى انها قـد ازدادت هما بحالى وقلقـا علىّ بعد الـزواج عما كانت عليـه، قبل زواجى وأنا فى وحـدتى، وهى تحب زوجتى وتشفق عليهـا وتـوصينـى بها خيرا، لكنهـا تأسى لحالى وتطالبنى بـالبحث عن علاج شـاف لها لدى الأطبـاء.. فهل هناك أى أمل فى مثل هذا العلاج يا سيدى؟

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول:**

— ترقب البلاء قد يكـون فى بعض الأحيان أقسى على النفس من حلوله ومواجهته بما يتطلبه الموقف من إجـراءات. فالنفس انما تتحسب للمجهول وتخشاه بـأكثر مما قـد تخشى مـواجهة الأمر الـواقع والتصرف ازاءه بما تمليه ضرورات الموقف.

فأرح ضميرك بأداء واجبك الانسـانى فى حمايـة زوجتك مـن نفسهـا واتباع نصيحـة الأطباء فى اتخاذ كل احتياطـات الأمان بشأنها، لكن لا تعش كالوتـر المشدود كل لحظة ترقبا لخطـر قد يجىء وقد لا يجىء فتحكم على نفسك، بمعاناة القلق النفسى والتعرض للأمـراض العضوية الناشئة عنه، وتضاعف بـذلك من الخسائر العائليـة بدلا من أن تخفف منها، فـالاكتئاب النفسى الـرجعى، له مـؤشرات تسبق احتداد نوبتـه وتصاعـدها إلى حـد الاقدام على الانتحـار، وأنت قد لمست فى المرة السابقـة بعض هذه المؤشرات وتعرفـت عليها وهى الشرود الـدائم والكآبـة وانعدام التركيز والعجـز عن النـوم، ومادامـت زوجتك كانت تحيـا حيـاتها الطبيعيـة وتتناول الأدويـة الوقائية من الاكتئاب باستمـرار ولا تظهر عليها أعراض من هذه المؤشرات، فلا خوف عليها من الانتحار ولا مبرر للتوتر الـدائم وترقب المحاولة الثانية كل لحظة واستمتع بأوقات الصفـاء مع زوجتك الطيبة التى لا تخفى حبها

لك عن الجميع، وادخر فى قلبك وروحك زادا معنويا تستعين به على مواجهة أيام الشـدة إذا حلت وسارع باستشـارة الطبيب كلما بدت لك من المؤشرات ما يـدعو إلى ذلك، وقد يكون دخـول المصحة لفترة قصيرة فى بداية النـوبة حلا مفضلا لتفادى أخطار الاقـدام على الانتحار وربما أستطيع مساعدتك فى ذلك عند الضرورة لا قدر الله. والرعايـة العاطفية والطبية كفيلان بتفادى كل الاخطـار بإذن الله. أما بـريق الأمل فى الشفاء التـام الذى تتسـاءل عنه فقائم وموجود إن شـاء الله. فالاكتئاب الرجعى كما علمت من طبيب نفسى مشهور له أطوار كأطوار الانسان من طفـولة وشباب وشيخوخة، وهو الآن فى مرحلة الشبـاب لدى زوجتك وقد تتسارع نوبـاته فى بعض المراحل لكنه سيصل خلال سنوات إلى مرحلة شيخوخـة المرض، فيهمد وتتباطأ نوباته، ثم تضعف إلى أن تختفى نهائيا بإذن الله.

فاصمد لمحنتك يـا صديقى وتخفف من حالـة الطوارىء العصبية التى تعيشهـا كل لحظـة الآن وانتقـل إلى حـالـة من الاسترخـاء الحذر التى لا تحرمك من الاستمتاع بحيـاتك العائلية وحبك لـزوجتك وحبها لك إلى أن تلحظ أولى المؤشرات المنذرة فترجع إلى حـالة الاستنفـار من جديـد، وتبادر بعـرض زوجتك على الطبيب وتفـرض عليها رقـابـة عائليـة متصلـة، ولكل إنسان فى النهايـة من سعادته ما يـرضيه.. ومن تعاسته أيضـا ما يشقيه، فتقبل أقـدارك وارض بها واستعن بحب زوجتك لك ورقتهـا معك وفخرهـا بك على مـواجهة حياتك والتـوائم معها.. والأفضل أن تعـرض زوجتك على الطبيب فى مـواعيد دوريـة لتطمئن إلى استقـرار الحالة وبعـد شبح النوبـة التـالية عنهـا، وكلما استشعرت زوجتك حبك لها وتمسكك بها وخلـوك من أى لوم داخلى لها ولأسرتها لاخفـائها أمر مـرضها عليك، ابتعـد عنها شبح الاكتئاب وتبـاعدت مـؤشراته، وازدادت هى تمسكا بـالحياة ورغبـة فيها.. فالاحسـاس بالـذنب قد يقتل ذوى المشاعـر الرقيقـة ويتحالف مع المرض عليهم.. وأنت قد سـامحت وتسامحت نبلا منك وكرما، فلا تدخـر جهدا فى إشعارهـا بذلك لكى تستفيـد من الأثر المعنوى الايجابـى لتخفف عنها من الاحساس بالـذنب تجاهك فى إبعاد شبح الاكتئاب عنها.. أعـانها الله وأعانك عليه.

٣٠
قصة حب
واقعية

الجرح الغائر

أنا إحدى قارئات بابك المدمنات، وكثيرا ماتمنيت أن أقرأ مشكلة مشابهة لمشكلتى لأجد فيها ماأستفيده منها، إلى أن قرأت منذ أسابيع رسالة «الدائرة المظلمة» التى يروى فيها طبيب شاب قصته مع زوجته وطفلتيه ومعاناته معها حتى انتهى الأمر بينهما بالطلاق.. ثم غرق فى أحزانه إلى أن عثر على الإنسانة التى اطمأن قلبه إليها ورأى فيها مايعوضه عما عاناه، فإذا بإحدى طفلتيه تمرض مرضا خطيرا وإذا بمطلقته التى طلبت الطلاق من قبل وأصرت عليه، ترجع إلى صوابها وتطلب التئام الشمل مرة أخرى ليتعاونا معا على علاج طفلتهما.

وقصتى هذه لست أرويها لهذا الطبيب الشاب، إنما أريد أن أرويها للفتاة التى كانت تستعد للارتباط به حين واجه هو هذا الاختيار الذى سينتهى به غالبا إلى الرجوع إلى مطلقته حرصا على الطفلة المريضة وشقيقتها.. فأنا سيدة فى الخامسة والثلاثين من عمرى نشأت فى أسرة متوسطة المستوى كبيرة العدد، وكنت أكبر اخوتى وقد تخرجت فى كليتى وعملت فى إحدى الشركات فور تخرجى، وتعرفت فى العمل على زميل فاضل لى لاحظت عليه منذ البداية قلقه واضطرابه ومعاناته لهموم غامضة، وجمعت بيننا زمالة العمل فازداد اقترابا منى بطريقة مهذبة، وعرفت منه إنه على وشك الانفصال عن زوجته التى أنجب منها طفلا عمره ٤ سنوات، فعرضت عليه أن أتوسط بينه وبينها للإصلاح وإعادة الشمل، فأكد لى إنه لافائدة من وراء ذلك وان كليهما لايرغب فى العودة للآخر وان كل المساعى السابقة قد فشلت فى الاصلاح بينهما، ولم يبق إلا التفاوض على شروط الطلاق، وأسفت لحاله.. ثم تحول الأسف إلى تعاطف شديد حين صارحنى بعد فترة بأن زوجته هذه قد انفصلت عنه قبل عام ونصف العام وحرمته من رؤية طفله طوال تلك الفترة، وعندما طالبها بذلك أعلنت له بجرأة شديدة إنه لاحق له فى مطالبته برؤية هذا الطفل لانه ليس ابنه!.. وصدم الرجل صدمة هائلة زلزلت كيانه.. واكتسى وجهه بطابع الحزن الدائم

والاكتئاب حتى تألم له كل الزملاء وتعاطفوا معه.. وتألمت له معهم وحزنت لحاله، وتم الطلاق بينه وبين زوجته بالفعل واجتر الرجل الفاضل أحزانه فى صمت..

واستمرت علاقة الزمالة الحميمة بيننا فى العمل وبعد عام ونصف العام سألنى ذات يوم فى استحياء هل تقبليننى زوجا لك إذا تقدمت لطلب يدك من أسرتك؟.. ووجدتنى أعلن له موافقتى وترحيبى به وكان دافعى إلى ذلك هو تعاطفى الشديد معه وارتياحى العاطفى له الذى يبشر بميلاد الحب الشريف بعد الزواج وتقدم لأسرتى وناقشته الأسرة فى ظروفه طويلا وقبلوا به وتعاطفوا معه فقد كان جديرا دائما بالحب والاحترام وخطبت إليه وعمرى ٢٣ عاما، واستمرت الخطبة عاما وقعت خلاله بعض المشاكل بينه وبين مطلقته ولم أتوقف عندها باعتبارها من طبيعة الأشياء فى مثل هذه الظروف، وتزوجنا فى شقة صغيرة مريحة، وبدأنا حياتنا الزوجية وبدأت المشاكل الحقيقية فى نفس الوقت من جانب مطلقته كما لو كانت أول مطلقة فى العالم تواجه الحياة بطفل صغير!

فلقد بدأت تأتى إلى بيتى كثيرا ومعها فى كل مرة مشكلة جديدة وطوفان من السباب والكلمات الجارحة لزوجى، فتأتى مرة ومعها الطفل لتتركه لأبيه لأنها لاتريده، وقد أدت واجبها «كاملا» تجاهه.. ثم تنقض ماقالته وترجع به من حيث جاءت، وتأتى مرة أخرى مطالبة بزيادة المصروف مع أن زوجى يهتم به وينفق عليها وعلى طفلها بسخاء، وتأتى مرة ثالثة لتعلن إنها سوف تتزوج وتريد أن تتخلص من الطفل ثم ترجع به فى النهاية أيضا، وهكذا بلا انقطاع ولا راحة على الدوام، وفى كل مرة تطلق قذائفها الجارحة التى تستحى الأذن من سماعها، وفى إحدى هذه المرات كررت على زوجى وأمامى ــ سامحها الله ــ ان الطفل ليس ابنه وإنما ابن «أحد الاشخاص القريبين منه» ثم التفتت إلى الطفل الصغير الذى لايعرف من شئون الدنيا شيئا وطلبت منه أن يبحث عن أبيه الحقيقى حين يكبر!.. فطعنت زوجى فى مقتل، سامحها الله، وساءت حالته النفسية للغاية وفقد ثقته فى نفسه وفى الآخرين، وانطوى على جرحه المؤلم رغم كل محاولاتى للتخفيف عنه.. والتهوين عليه.

وخلال ذلك كان الحمل قد تأخر عندى، واتجهت الأنظار من حولى. أهل زوجى متلقائية ناحيتى تتهمنى بالمسئولية عن ذلك، باعتبار إنه قد سبق له الانجاب من قبل، وبدأت رحلة التحاليل والعلاج فإذا بنتائج الفحص تثبت سلامتى وقدرتى على الحمل فى أى وقت، وتثبت من ناحية أخرى ـ وللأسف ـ ان زوجى هو المسئول عن عدم الانجاب، ولم تحتمل اعصابه أكثر من ذلك فثار ورفض العلاج ليثبت لنفسه انه سليم ولايحتاج إليه. وقدرت أنا ظروفه ومحنته المؤلمة فتجنبت الحديث فى الموضوع لفترة ثم رجعت له معه فثار من جديد وأصبح يثور كلما فاتحته فيه، وينتهى الأمر بخصام بيننا لفترة ثم أرجع إليه وتستمر الحياة من جديد، ومازالت مستمرة منذ احد عشر عاما لم أندم خلالها على ارتباطى به فهو انسان فاضل وطيب وحنون وأرى حبى كل لحظة فى عينيه لكنه من خلال هذه السنوات أيضا وإلى جانب مشكلتنا الأساسية فى عدم الانجاب وقلقى لمرور السنين دون حمل وانجاب مع تجاهل زوجى لهذا الموضوع نهائيا، فلقد رافقتنا أيضا مشاكل مطلقة زوجى وابنه خلال رحلة الحياة وكأنما قد أصبحت جزءا أساسيا منها.. فلقد كبر الولد حتى بلغ مرحلة الثانوية العامة وكبرت معه مشاكله واستنفد كل طاقتى المادية على متطلباته التى لاتنتهى ولاتراعى أية اعتبارات، وفشل فى الثانوية العامة بعد أن تعلق أملى بنجاحه فيها لنرتاح أخيرا ونلتقط انفاسنا، كما تزوجت أمه من رجل فاضل فاض برعايته على هذا الابن لكنه قوبل بالاستنكار من جانبه بعد أن فسدت أخلاقياته للأسف بسبب سوء تربية والدته له وبسبب تعلقها بوهم الارستقراطية الكاذب، والمستوى الراقى فى الحياة مع انها من أسرة متوسطة جدا، وهو يتمتع «بجرأة» هائلة فى التعامل معى ومع والده، ومؤخرا مع والدته أيضا ويؤكد للجميع ان علاقته بأبيه علاقة مادية فقط.. وقد كاد زوج والدته يهجرها ويهجر البيت أكثر من مرة بسبب سوء أخلاق هذا الولد لولا انه رجل فاضل حكيم ويحاول إصلاحه والحفاظ على بيته بالتعاون مع زوجى، وقد أصبحنا لايمضى بنا يوم دون اجتماعات عائلية مطولة وجلسات ساخنة ووفود تذهب ووفود تجىء بين بيتنا وبيت مطلقة زوجى وبيت أهلها.. وأهل زوجها الخ، وكأننا نتعامل مع مشكلة

الشرق الاوسط وكل ذلك والولد مستمر فى غيه ومشاكله وقد انتقل إلى مرحلة الطلبات الباهظة التى لايقدر عليها أبوه ولا أحد غيره كالسفر إلى أمريكا والسيارة والمصروف اليومى الباهظ، إلى جانب تسريحات الشعر البذيئة التى ينفر منها مجتمعنا، وفى وسط كل ذلك بدأ أهل زوجى يتمردون علينا معا أنا وهو، وبدأ تدخلهم المباشر فى حياتنا.. وبدأوا يطلبون معرفة أين ينفق زوجى دخله وفيم ينفقه ونحن بلا أطفال، وبدأت أسمع تعليقات مؤلمة عن عدم انجابى وعن جدوى فائدتى فى الحياة وأنا لاأنجب ولاأستطيع الانجاب وأبتلع الألم صامتة حتى لاأعيد فتح جرح زوجى الغائر ويرجع هو إلى فقد ثقته بنفسه بعد أن أكرمنا الله بتخلصه من هذه الحالة النفسية السيئة منذ سنوات.

ووسط هذه الدوامة أجدنى أتساءل أحيانا وأين حياتى من كل هذه المشاكل المستمرة منذ تزوجت حتى وصلت مؤخرا إلى ساحة القضاء بين زوجى وبين أهل مطلقته بسبب مشاكل ابنه المستعصية على الحل؟.. وأين حقى فى أن أصبح أما وأشعر بدبيب الأمومة يسرى فى أحشائى لكى أحس بأن لى وظيفة أخرى فى الحياة عدا وظيفة الخدمة وانتظار الاجتماعات اليومية لحل المشاكل التى لاتنتهى بين الولد وزوج أمه وبين أمه وزوجها، وبين الاثنين وزوجى، وبين أهل مطلقته وبينه وبينى وبين أهل زوجى، إلى جانب تطاولات مطلقته وقذائف لسانها عليه والتى لايفعل زوجى حيالها شيئا سوى الصمت التام خوفا من الفضائح، وحتى لايرى الولد أبويه وهما يتراشقان بالسباب فى حضوره، فلا تراعى هى ذلك وإنما تزداد عدوانية تجاهه.

اننى أفكر كثيرا الآن فى حياتى ياسيدى وكلما حاولت أن أعيد النظر فيها، نظرت إلى زوجى الفاضل الذى يحبنى بشدة ويرى فىّ الزوجة العاقلة الحكيمة، فأراه يتعذب وسط هذه الدوامة المستمرة من المشاكل إلى جانب مرضه بآلام الغضروف التى تلزمه الفراش أحيانا بالأسابيع، فأتأمل حاله مشفقة عليه وأتساءل: ماذنبه فى كل ظروفه هذه؟.. وازداد تعاطفا معه. ثم تهتف نفسى فى أحيان أخرى: نعم هو لاذنب له فى ظروفه فعلا.. لكن ماذنبى أنا أيضا فى كل ذلك؟، فلا أجد لتساؤلى جوابا مريحا أيضا.

لقد كتبت رسالتى هذه لكى أسألك رأيك فى حياتى ونصيحتك لى بما أفعل إزاءها ولكى أقول للفتاة التى تدخلت الأقدار فى اللحظة الأخيرة لتحرمها من الزواج بالطبيب الشاب المطلق الذى سيرجع لمطلقته وطفلتيه، أنها قد تعانى بعض الوقت لفقدها من اختارته وتفهمت ظروفه، لكنها ستفوز فى النهاية بجائزة السماء وتحيا بعد حين حياة طبيعية مع انسان آخر بلا مشاكل كمشاكلى التى أعيشها من زواجى حتى الآن. فالانسان لاينفصل أبدا عن ظروفه الشخصية وإنما تظل لاصقة به وتطارده حتى نهاية حياته.. وقد كان هذا هو ماتعلمته وخبرته من قصتى فى زواجى ومع الحياة.. فماذا تقول لى يا سيدى؟.

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

نعم ياسيدتى لاينفصل الإنسان أبدا عن ظروفه ولايجوز له أن يقيم بنيان حياته أو حساباته للمستقبل على أساس تجاهلها أو توهم انتفائها من الأصل فالحالمون وحدهم هم الذين يقعون فى هذا الخطأ الجسيم ويدفعون ثمنه دائما من سعادتهم وسلامة حياتهم، أما الواقعيون من البشر فيعرفون جيدا ان ظروف الإنسان الشخصية وأقداره تتبعه دائما كتلك المدينة التى عناها الشاعر اليونانى المصرى كفافيس حين كتب قصيدته الشهيرة التى يقول فيها: ولسوف تتبعك هذه المدينة إلى آخر العمر يقصد بذلك جذور الإنسان وأقداره وظروفه الشخصية، لهذا فمن الحكمة دائما ألا يتجاهل الإنسان مشاكله وظروفه وألا يفر من مواجهتها والتعامل معها.

غير ان الإنسان من ناحية أخرى لاينعدم أمامه مجال الاختيار فى النهاية، وإنما يختار أيضا لحياته رغم أقداره المقدورة عليه وينبغى له أن يرضى بتبعات اختياره وان يتحملها بشرف.

وأنت مثلا قد اخترت لحياتك وقبلت بتبعات اختيارك لزوجك، ولم يكن فى ظروفه الشخصية مايخفى عنك، وزوجك أيضا قد اختار لحياته بعيدا عن مطلقته وتحمل تبعات هذا الاختيار ومازال يتحمل حتى الآن.. وزوج مطلقته أيضا قد اختار لحياته عالما بكل الظروف المحيطة ويدفع ثمن اختياره راضيا أو ساخطا. وإذا اختار الإنسان لحياته بملء إرادته فمن

واجبه الإنسانى والأخلاقى ألا يتنصل من تبعات اختياره أو يتشكى منها أو يحاول فرض أوضاع جديدة تتعارض مع ماتعهد به منذ البداية وماقبل به راضيا وواعيا بما يفعل.

نعم قد تضيق النفس أحيانا بما تعانى.. وقد يتوقف الإنسان فى الطريق لحظات ليراجع اختياراته ويتأمل حياته ويتشكى مما يؤلمه فيها، لكننا نمضى بعد ذلك غالبا على نفس الطريق الذى خطونا عليه خطواتنا الأولى بارادتنا الحرة.. التزاما بالعهد ووفاء بالأمانة.

فإذا كان جدّ فى ظروفك جديد، فهو إنك لم ترزقى بأطفال حتى الآن، مع ارتباط مسألة الانجاب لدى زوجك بذلك الجرح الغائر القديم الذى لم تتورع مطلقته عن أن تضع عليه الملح الأجاج بسادية غريبة لكى يشتد وقع الألم على نفسه، لاغفر الله لها، ويزداد الجرح إيلاما!

ان هذه هى المشكلة الحقيقية التى تواجهينها ياسيدتى وليست دوامة المتاعب التى تعانين منها منذ زواجك بسبب مطلقة زوجك، ومتاعب ابنه، ومشاكل أمه مع زوجها، فكل ذلك من تبعات اختيارك الأول، ولابد أن تقبلى بها حتى ولو تشكيت من وطأتها فى بعض الأحيان.

والحق اننى إذا كنت قد عجبت لشىء فى رسالتك هذه فهو لجرأة زوجته الأولى فى «الجهر» بجريمة بشعة ارتكبتها فى حق ربها وزوجها وطفلها الوحيد، وكأنما تفاخر بما ارتكبت وقد كان الأحرى بها أن تتستر عليه وتنزوى به مستخزية.

وبدلا من أن تفعل ذلك فلقد راحت تطعن به زوجها السابق فى مقتل «بسادية» مرضية غريبة كأنما تتلذذ بإيلامه وتعذيبه.. فكيف انقلبت المعايير والقيم إلى هذا الحد؟!

انها تجاهر «بعارها» الشخصى وتهدد به بدلا من أن تتخفى به وتستجدى عفو ربها.. وعفو من ارتكبت هذه الجريمة البشعة فى حقه وهو زوجها!!.. فالخيانة فى البداية والنهاية هى خطيئة الخائن الشخصية وليس أحدا غيره، ولايستطيع انسان فى الوجود رجلا كان أم امرأة، ومهما أحاط شريك حياته بالقيود والسدود، أن يمنع أحدا من خيانته إذا سمحت له أخلاقياته بها، وانعقدت ارادته على ذلك، ففيم التلذذ إذن بالمجاهرة بخطيئة

لاتغسلها مياه البحر لإيلام الخصوم وجرح مشاعرهم وهز ثقتهم فى أنفسهم؟

اننى اقدر لزوجك بالطبع شرف خصومته مع مطلقته وقيامه بمسئوليته المادية والأدبية عن ابنها وتعففه عن إثارة هذه المسألة الشائكة التى تنال منه ومن أعزائه بقدر ماتنال من تلك السيدة إذا صح كل ماورويت عنها، لكنى رغم ذلك كنت أفضل ألا يتعامل معها بمثل هذا التخاذل من البداية وإلى الحد الذى تستشعر هى فيه «عزة» الطرف الأقوى، وليس تخاذل الطرف الخاطىء واستخزائه وبحمله بالتعفف عن النزاع والتهديد وإثارة المتاعب.. إذ كيف يجوز لأحد أن يتفنن فى الايلام واختيار مقاتل الإنسان لكى يطعنه فيها بلا رحمة ولو أدان نفسه فى سبيل ذلك بارتكاب أبشع الخطايا؟.. وماذا يتوقع منا بعد أن يفعل ذلك، هل يتوقع أن نطلب منه نحن «العفو» وتكتم عاره حرصا على سمعة أعزائنا؟.. لقد كان زوجك يستطيع أن يلجمها ويوقفها عند حد الأدب مع استمراره فى أداء التزاماته تجاهها، إذا كان قد ذكرها فقط فى عنفوان عدوانيتها واجترائها عليه بأنه الضحية وليس الجانى، وانه يستطيع لو أراد أن يدينها أمام الجميع بالجرم المشهود وان يقيم دعوى انكار نسب ضدها مهما كان شأن شريكها فى الجريمة أو حساسية وضعه بالنسبة له، فان كان لم يفعل ذلك وكان من الحكمة حقا ألا يفعل، فلتفق إذن من غيها وتتعامل معه بما يستحقه من احترام منها ومن عدل فى تعاملها معه.. وإلا صدق عليها قول الأديب الراحل مصطفى صادق الرافعي:

ما الام الشجرة التى لو نطقت لشتمت من يسقيها!

وإذا كانت الأمور قد تجرى على هذا النحو أحيانا، وكما يقول المثل الهولندى القديم.. من انه حين ينقلب الحب إلى كراهية فانه لايعرف حدودا.

فالحق أيضا. منْ ناحية أخرى انها لاتجرى على هذا النحو حتى ولو انقلب الحب إلى كراهية بين من لايعرفون شرف الخصومة ولايلتزمون بأخلاقيات الخصام التى تعتبر المحك الحقيقى لأخلاق الإنسان، أما من يعرفونها فهؤلاء هم من ينطبق عليهم قول الإمام على بن أبى طالب فى نهج

البلاغة فى صفات المؤمن التقى حين يقول عنه إنه: لايحيف على من يبغض ولايأثم فيمن يحب!

أى لا تدفعه كراهيته لمن يكرهه إلى أن يظلمه أو يحرمه حقا، ولاتدفعه محبته لآخر إلى الا يلتزم معه بحدود ربه.. أو بالعدل الذى لايعطيه ماليس من حقه.

فإذا ناقشت بعد ذلك مشكلتك الحقيقية وهى عدم الانجاب، وليست آثار «المدينة» اياها التى تبعت زوجك إلى عشك معه وسوف تتبعه إلى نهاية العمر، فانى أقول لك ياسيدتى اننى أحس من ثنايا سطورك وكلماتك العطوف عن زوجك، انك ترتبطين به ارتباطا عضويا يصعب عليك فصمه.. فإذا كنت تتحرقين لانجاب الأطفال وممارسة أمومتك، فلاشك إنك وحدك التى تستطيعين أن تحسمى هذا الاختيار الصعب بين حبك لزوجك وسعادتك معه برغم كل هذه المتاعب، وبين تطلعك المشروع بعد اثنى عشر عاما من الزواج إلى الانجاب، وإن كانت عشرتك الطيبة لزوجك طوال اثنى عشر عاما، ترجح اختيارك، للاستمرار والتماس التعويض من السبل المتاحة، فمن واجب زوجك أن يعينك على هذا الاختيار بألا يقصر فى طلب العلاج لنفسه حتى ولو من باب الإرضاء النفسى لك وإبراء الذمة.. لترضى بعد ذلك بحياتك إذا رضيت بها.. ولالوم عليك إذا فعلت، فالسعادة الحقيقية أيضا شىء عزيز المنال، ولاتسخو علينا الحياة بها فى كل الأحوال، ونحن نرضى غالبا عن بعض جوانب حياتنا ونسخط على البعض الآخر.. وسيكون هذا هو الحال دائما فى أى اختيار يختاره الانسان لنفسه، والسعداء منا هم من يسلمون بهذه الحقيقة ويقبلون بها ويستمتعون بما أتاحته لهم الحياة من أسباب السعادة حتى ولو كانت غير بادية لعيون الآخرين. والحق اننا نجفل غالبا من التضحية بالموجود، لصالح المجهول الذى لانعرفه ولانعرف هل سنسعد به أم نشقى، ولايقدم على هذه المخاطرة غالباً إلا أهل المجازفة أو من تدفعه ظروف شديدة القسوة والالحاح للاقدام على التغيير، والتضحية بما بين يديه وانت وحدك التى تستطيعين أن تقررى هل بلغت دوافعك إلى التغيير هذا الحد من الالحاح أم لا، وهل فرصتك فى الانجاب من آخر مضمونة أم لا. ثم تختارين لنفسك

بعد ذلك ماترينه محققا لاحتياجاتك الانسانية، وبشرط ألا تضيقى بتبعاته وقرابينه التى لامفر منها.. وإذا صح تقديرى فان اختيارك فى النهاية سوف يكون لصالح حياتك الحالية مع زوج عطوف ترين الحب فى عينيه فى كل لحظة.. ويحسن عشرتك، ويتمسك بك ولالوم عليك أيضا لو فعلت.. بإذن الله..

٢١

٣٠ قصة حب واقعية

فى الطريق



أنا سيدة فى الثانية والاربعين من عمرى أحمل مؤهلا دراسيا عاليا، وأعمل بوظيفة محترمة ولى ابن عمره ١٦عاما وابنة عمرها ١٣سنة، وكلاهما يدرس بمدرسة راقية والحمد لله. أما زوجى الحبيب فيبلغ من العمر ٤٤عاما، وقد تزوجنا عن حب بعد انتهائنا من مرحلة الدراسة وبدأنا حياتنا حينذاك من الصفر وتحملنا صعوبات البداية القاسية معا وتجاوزناها بالحب والصبر والتعاون بيننا وكانت كلها صعوبات مادية إلى أن منّ الله علينا بكل شىء، وتهيأت لنا بعد سنوات الكفاح أسباب الحياة المريحة من شقة لائقة وسيارة مناسبة ومستوى مادى جيد. كما ظلت علاقتى بزوجى منذ البداية ــ وهو الأهم ـ مثالية فى كل شىء والحمد لله ولاعجب فى ذلك فهو انسان طيب وعلى خلق ودين كما انه أب رائع لابنائه يحبهم ويحبونه ويعطيهم من نفسه كل مايملك، أما عن عمله فهو يعتبر خبيرا فى تخصصه ويعمل بوظيفة مهمة فى القطاع الخاص، ومنذ عام وبضعة شهور بدأت ألاحظ على زوجى الحبيب انه لايلتزم بمواعيده المألوفة فى العودة للبيت، وانه يرجع إلى أسرته مرهقا ولايرغب إلا فى الاستسلام للنوم.. فظننته مجهدا بكثرة العمل ثم بدأت أتوجس من ان يكون مريضا ولايعتنى بصحته العناية الكافية فطلبت منه أن نذهب معا لاستشارة الطبيب فى حالة الارهاق المستمر التى يعانى منها، فرفض وهون على الأمر بأنه لايعدو ان يكون بعض الاجهاد بسبب العمل، وسوف يسترد حيويته بعد بعض الوقت، فلم أشأ الضغط عليه فى هذا الأمر حرصا على مشاعره، وتعمدت عدم الاشارة إليه بعد ذلك، لكيلا أوذى مشاعره كزوج! لكن زوجى استمر فى التأخر عن العودة لبيته وزاد تأخره وبدأ يكذب أيضا وينكشف كذبه فى تقليل أسباب تأخره كل هذا الوقت عن بيته وزوجته، وهو الذى عهدته صادقا منذ عرفته خلال مرحلة الدراسة الجامعية. وتكرر ذلك منه أكثر من مرة.. وبدأ القلق يسيطر علىّ فوجدت نفسى فى لحظة انهيار أواجهه بكل ما ألاحظه عليه من تغيرات وأطالبه بتفسيرها لى. فإذا به يعترف لى بآخر ماكنت أتوقع ان اسمعه فى يوم من

الأيام من حبيب العمر وهو أنه قد تزوج!.. ياإلهى تزوج؟.. نعم.. تزوج من فتاة عمرها ٢٥سنة وتحمل مؤهلا متوسطا وتقيم أسرتها بأحد الأحياء العشوائية فى القاهرة، وأبوها عامل بسيط.. وتزوجها منذ حوالى تسعة شهور!

وتوالت اعترافاته المذهلة أمامى فحكى لى انه قد تعرف عليها فى الطريق إذ عاكسها وهو يركب سيارته فاستجابت لمغازلته وركبت معه السيارة وتعارفا وبدأ يلتقيان ويتواعدان لمدة ستة شهور «أحبها» خلالها ورغب فى الزواج منها، فتقدم لاسرتها التى فرحت به جدا فاشترى لها شقة بالتقسيط بمبلغ ٣٠ألف جنيه «كما يقول» وأثثها بعد ان أقنع أصلا أقاربه باقراضه مبلغ ١٨ألف جنيه لانه فى حاجة «ضرورية» له وقد جرى كل ذلك وأنا غافلة تماما ومطمئنة اطمئنانا نهائيا إلى ثقتى به وبأخلاقياته المألوفة، أما ماجرى بعد المواجهة والاعتراف فهو أعجب، لان زوجى لايريد التخلى عن تلك الفتاة، ولايريد أيضا التخلى عنا، ويطالبنى بأن اتقبل الأمور على ماهى عليه وألا اتخلى عنه لانه لايستطيع العيش بدونى ويحب أولاده ويعشقهم ويلبى لهم كل مطالبهم!

ومنذ وقعت هذه المواجهة وانا أعيش فى دوامة من الحيرة والعذاب وقد أصبح نظام حياة زوجى هو ان يخرج من بيتى فى الصباح لعمله.. ويخرج منه بعد انتهائه فلا يرجع إلى زوجته وأولاده، وإنما يمضى إلى «الأخرى» فيقضى معها ٥ أو ٦ ساعات ثم يعود إلينا فى نهاية السهرة أو الامسية السعيدة وكأن شيئا لم يكن! أما ملابسه ونقوده وأوراقه المهمة ففى بيتى، وأما حديثه عن العمل ومشاكله ومسئولياته وأسرته وأصدقائه فمعى وحدى وأى مشكلة يواجهها يرويها لى أنا، وأما أبناؤنا فلا يعرفون شيئا عما جد على حياة أبيهم، ولاأريدهم أن يعرفوا حتى لاتهتز صورته أمامهم وقد اتفق هو مع «الأخرى» على عدم الانجاب، حتى لايتسبب انجابها فى أن يؤدى ابننا الوحيد الخدمة العسكرية، وبعد أن كان فى بداية زواجه منها يبيت عندها بعض الليالى بحجة السفر فى مهمة عمل، تعذر عليه ذلك الآن بعد انكشاف الحقيقة، ولم يعد يقضى الليل معها وانا الآن أعانى من الحيرة والألم ولا أعرف حلا لمشكلتى أفكر أحيانا فى أن أترك له كل شىء وأرحل إلى إحدى المحافظات النائية لأعمل بها وأطوى هذه الصفحة من

حياتى نهائيا، لكنى لاأقوى على ترك أولادى، ولا أعرف كيف ستكون مشاعرهم تجاه أبيهم إذا طلبت الطلاق وعرفوا أسبابه، كما أنى، لاأريد أيضا أن أدمر فى داخلهم كل شىء نبيل وطيب إذا دمرت بغير قصد صورة أبيهم الحنون الرزين فى مخيلتهم.

وهو من ناحية أخرى يرفض هذا الحل بشدة ويقسم بكتاب الله على أنه «يحبنى» ويحب أبناءه وانه لم يتوقف عن حبى لحظة واحدة رغم كل ماجرى ويريدنى معه إلى نهاية العمر، وأنا لاأستطيع الصبر على هذا الوضع الشاذ حتى النهاية، وحالتى النفسية والمعنوية فى تدهور مستمر وفى حين أعانى أنا أحزانى وحدى إلى جانب مسئولياتى عن ابنائى وبيتى وزوجى واسرتى وعملى.. تقبع الأخرى فى مسكنها وتنتظر منى ان أترك زوجى لها وليس لديها ما يؤرقها من هموم ومسئوليات وتعيش فى بحبوحة من العيش بالمصروف الكبير الذى يقدمه لها ولديها شقة تمليك باسمها، ولايشغلها شىء سوى أن تنتظر كل أصيل وهى فى أبهى صورة عودة «أمير»إلى «أميرته» فهل هذا عدل! أو لم يكن زوجى يستطيع المقاومة والصمود لهذا الاغراء.. وكل مافعله يتناقض مع كل ماكان يؤمن به من قبل!.

أو لم يكن يستطيع أن ينبهنى من البداية إلى مايتعرض له من إغراء أو ضغوط لكى أساعده على المقاومة..، ولكى يحتمى بى وبأولاده فى مواجهتها؟ وكيف سمح زوجى لنفسه بمغازلة الفتيات فى الطريق العام وهو الذى كان يستهجن ذلك بشدة من قبل؟ وكيف أقام علاقة عاطفية مع فتاة صغيرة وهو متزوج ثم يتزوجها بهذا الشكل، ولماذا لايريد أن يدعنى لحالى ويلح علىّ دائما بأنه يحبنى ولايستطيع الاستغناء عنى ولاعن حياته معى؟

اننى أكاد أجن من كثرة التفكير فى أمرى كل لحظة وأحس ببوادر الاكتئاب والانهيار تقترب منى،، وأراجع نفسى وحياتى مع زوجى ليل نهار واتساءل فيم أخطأت معه حتى فعل مافعل؟ ولماذا لم يصارحنى بأخطائى لاتخلص منها فلا يصبح لديه سبب يدعوه لأن يحيا هذه الحياة المزدوجة؟ إنه ينفى عنى أننى قد قصرت معه أو أخطأت فى شىء.. ولايقدم لى تفسيرا لما فعل ويكتفى بمطالبتى بان أعتبر مافعل مجرد «قلة أصل» منه!

لكنى لاأستطيع التسليم بهذا التفسير ولا أستطيع الصبر على ماأعانيه وحدى لأننى لاأريد لأهلى أو لأحد من الأصدقاء أن يعلم بما جرى وأدعو الله كثيرا أن يوفقنى إلى حل عادل لمشكلتى فبماذا تنصحنى؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

لاجديد تحت الشمس ياسيدتى، فالإنسان هو الإنسان فى كل مكان وزمان.. ومن متناقضاته الغريبة أنه قد يرغب لنفسه أحيانا فى الحد الأقصى من الأشياء، ويطالب الآخرين فى نفس الوقت بالتنازل عن بعض حقوقهم الطبيعية من أجله لكى تكتمل له هو السعادة من كل جوانبها وبغض النظر عما ينعكس عليهم من آثار هذه السعادة نفسها من عناء وشقاء!

وهذا هو بالضبط مايطالبك به الآن زوجك الحبيب الذى اكتملت له حياته الخاصة ولم يجد مايشكوه منك كما يصارحك بذلك فبدلا من أن يسعد بما أتيح له ويشكر ربه عليه تطلع إلى الاستزادة من «النعم».. ورغب فى شىء من الاثارة والمغامرة والتجديد، ولم ير بأسا فى ان «يجرب» ماكان يعيبه على الآخرين من قبل فيغازل فتاة فى الطريق ويقيم معها علاقة غرامية،ثم تسحبه رمال التجربة الناعمة اكثر فأكثر فيتزوجها سرا ويتمزق بين بيتين لبضعة شهور ويرجع خلالها لشريكة عمره وابنائه «مجهدا» لايرغب إلا فى الاستسلام للنوم، ثم تضطرب شخصيته التى كانت مستقيمة من قبل فيتورط فى الكذب مرة بعد أخرى إلى أن ينكشف أمره ويعترف لزوجته بكل ماحدث! وإلى هنا فقد نتجاوز رغم كل شىء عما فعل فكل إنسان معرض للخطأ.. وقد تغفر له شريكة العمر ماتورط فيه من خيانة وعبث إذا صدق ندمه وأبدى رغبته فى تصحيح خطئه وتحمل تبعات ذلك بشرف. لكن مايثير التأمل حقا هو مايطالبك به زوجك وكل من يجد نفسه فى مثل موقفه غالبا، وهو أن تتقبلى الأمور «كما هى عليه» وتواصلى حياتك معه فى حب.. وأمان وسلام، وتقدمى له كل ماكنت تقدمينه له من قبل من إخلاص وحنان ورعاية ومشاركة ومسئولية أمينة عن الأسرة والأبناء، ومظهر عائلى واجتماعى كريم يليق به ويتشرف! فإذا سئل ولماذا لاتصحح انت خطأك وتسرح تلك الفتاة التى لم تتجاوز علاقتك بها بضعة شهور بإحسان وتدعها لمصيرها فتتزوج شابا ملائما لسنها وتنجب منه

ماتحرمها انت منه؟ اجاب عن هذا التساؤل المنطقى، بأبعد إجابة عن المنطق والعدل وأقربها إلى الاثـرة والانانية فيجيبك غالبا بـالرفض لأن ذلك سوف «يخصم» من أسبـاب المتعـة والسعـادة فى حيـاتـه.. وهـو ليس راغبـا فى «التضحية» بشيء من ذلك ولهذا فهـو يطالب شريكة عمره ورفيقـة كفاحه وأم ابنـائه بأن «تضحى» هى من أجله وتتقبل الأمـور على «ماهى عليـه».. لانه كمّا يتصـور الإنسان أحيانـا فى نفسه «الملك» الذى ينبغى أن يقـدم له رعاياه القرابين وليس عليه هو أن يقـدم لهم أية «تضحية» ولـو كانت من باب تصحيح الخطأ والتنازل عن بعض المتعة الإضافية أو الترفيه فى حياته!

فإذا سئل بعـد ذلك وماذا إذا رفضت زوجتك قبـول الأمور «على مـاهى عليـه» وهذا من حقهـا شرعا وقـانـونا، وطلبت الانفصـال عنك لتبدأ حيـاة جديـدة هى الأخرى من باب الثار للكرامة أو التعويض والرغبـة فى نسيان التجربة الاليمـة.. هل تقبل ذلك؟ اجابك بلا تردد بـالنفى، وفسر لك رفضه بأن ذلك سوف يجعل لمغامرته العاطفيـة ثمنا باهظا لايقوى على أدائه وهو أن «تضطرب حيـاته الشخصيـة اضطرابـا مؤثـرا بالانفصـال عن شريكة العمر المقبـولة من الأهل والمجتمع» وتضطرب حياة ابنـائه الذين يعشقهم ويلبى لهم كل مطـالبهم اضطرابـا أشد وتهتـز صورتـه الاجتماعية امـام كثيرين، فتكـون الخسـائر أكثـر من الاربـاح.. هو يـريد كما هـو واضح أن يستزيد من «السعادة» لا أن يقلل منهـا ولهذا فالحل الأمثل من وجهة نظره هـو أن تتقبل شريكة عمـره الأمـور «كما هى عليـه» ولو عـانت هى مـرارة الخذلان وخيانة العهد وآلام الغيرة القاتلة من منافستها فى قلبه وحياته التى جاءت لتقطف ثمار شجـرة لم تروها بـالعرق والدمـوع وكفاح السنين كما فعلت هى.

اما «التضحيـة» بهوى النفس التى لا تتطلب إلا شجـاعـة الاعتراف بـالخطأ.. وشجاعـة الـرجـوع إلى الطريق الصحيح فليسـت فى حسابـه.. ولاينبغى ان يتوقعها احد منه!

وهكذا الإنسـان فى بعض الأحيان ياسيـدتى، حين تسيطر عليـه أهواؤه ويعجز هو عن السيطرة عليهـا، فإذا كنت تسالينني عما تفعلين فى مواجهة هـذا الموقف، فلعلى أكون قـد أجبت عن مثل هذا السـؤال عشرات المرات من قبل ولكن لاباس من التاكيـد على ماأقـوله دائما من جـديد وهـو أن الشرع

والقانون يعطيانك الحق فى طلب الانفصـال عن زوجك إذا عجزت فى النهاية عن احتمال ضرر خيانـة العهد ووجود امـراة أخرى فى حيـاتـه، لكن واجب الأمومـة والمسئولية عن الأبنـاء الذين لاذنب لهم فى أزمـة «منتصف العمر» عند بعض الرجال، يطالبك إذا قبلت بذلك بأن تدافعى عن حياتك وسعادتك وسعادة ابنائك فى وجه هذا الغزو الخارجى لحياتك العائلية، وبان تبذلى كل ماتستطيعين لاستعادة زوجك واجتذابـه إليك إلى ان يكتشف عبثية التجربة التى تـورط فيهـا من الأصل ويصحح الأخطـاء، ورايـى دائما هـو أن من واجب من يخوض معركـة الدفاع عن حياتـه ضد خصوم يحاولون هـدمها هـو ان يتصرف فى ذلك على نحو معـاكس تمامـا لما يتوقعـه منه الخصـوم وبحيث لايعينهم ابدا على تحقيق أهدافهم فيخسر المعركـة بلا مقاومة. فإذا كانت «الأخرى» مثلا تنتظر منك ان تتخلى عن زوجك وتنسحبى من الميدان وتدعيـه لها لتنفرد بـه دونك فلا تفعلى مـاتتوقعه منك أو تـأمل فيه، وإنما تشبثى بموقعك وحصـونك ودافعى عنها بلا هوادة وبكل الطـرق المشروعة والحكيمة. وإذا كانت هى قد فرغـت من كل الهموم والمسئوليات ولايشغلها إلا انتظـار فـارسهـا وهى فى «أبهى صـورة» وتتـوقع منك ان تهزمك انت الاحزان والهمـوم بعد اكتشاف الأمـر. فيذوى جمالك وتتحـول حياتك مع زوجك إلى جحيم متصل من الصراع والشجار واللـوم والحساب والأحزان، فلا تحققى لها هذا الأمل.. ولاتجعلى المقارنة تنعقد دائما فى ذهن زوجك بين ما يجده من حنان وعطف وسـلام عندها لانه لامشاكل تؤرقهـا فى علاقتها به، وبين مـايجده عندك مـن جدال وايلام وحسـاب واتهامات ونكـد مقيم بسبب توتـر العلاقـة بينكما، بالضرورة بعـد الأزمة، وانما اجعلى المقـارنة تتخذ شكلا آخر لتصبح فى ذهن زوجك بعد خمود العواطف الطارئة مقارنة بين حب العمـر الأصيل، الذى ارتفع فـوق آلامه وكتم سره حتى عن اقـرب الناس إليه ومازال يقدم له رغم معاناته الحب الصـامت ويقدم لبيته وابنائه وحياته ومظهره العائلى والاجتماعى العطاء الوافر وبين عبثية المغامرة التى تـورط فيهـا واراد بها لنفسـه أن يثبت لنفسـه جـدارتـه بقلـوب الفتيـات الصغيرات وهـو فى منتصف العمر، فلم تلبث الـرغبة أن خمدت بعـد قليل.. ولم تلبث المشاعر التـى تصورها ابدية ان همدت، ولم يبق مـن المغامرة إلا عناؤها وما تمثله بالنسبـة لضميره من احساس مؤلم بالذنب تجاه زوجته

وأبنائه هكذا ينبغى أن تكون المقارنة حقا إذا قرَّ عزمك على الدفاع عن حياتك حتى آخر نفس، ولا تتصورى أنك تواجهين «أميرة» لايشغلها من هموم الحياة سوى انتظار أميرها، وبالتالى فهى أقدر منك على المنافسة أو لعلك لو اطلعت على حياتها لادركت انها أيضا لا تخلو من هموم الغيرة القاتلة منك ومما تمثلينه فى حياة زوجك ومن جذور متأصلة يصعب عليها اقتلاعها، ومن تغلغل فى حياته وأفكاره وماضيه وحاضره ومستقبله يصعب عليها مواجهته فضلا عن دور الأم والزوجة العلنية التى يتشرف بانتمائها إليه أمام الآخرين، فى حين تشكو هى من هامشية دورها فى حياة زوجها. ومن احساس « الجارية» التى لا يزورها سيدها إلا تحت جنح الظلام ولا يقضى معها سوى ساعات فى الخفاء ولا يريد الانجاب منها. وكل هذه العوامل تهدد بنيان حياتها الهش، بالتهدم فى أية مرحلة من المراحل وتفقدها الاحساس بالأمان والاطمئنان للمستقبل فتصرفى على هذا الاساس ياسيدتى ولا تفقدى الثقة فى نفسك ولا فى جدارتك وأشعرى زوجك بالرفض الصامت لما فعل فى استمرارك فى العطاء له ولابنائه وأسرته، وحددى له فترة زمنية معقولة يحق لك بعدها ان تختارى لنفسك وحياتك كما تشائين إذا لم يبادر بتصحيح الخطأ.. قبل ان يتفاقم وتخرق الأخرى شرط عدم الانجاب سرا لتصعب من حل المشكلة.

فإذا كان من أصحاب القلوب الحكيمة فلسوف يقدر لك تعاملك، مع خيانته لك بهذا الاسلوب النبيل وبهذا الحرص الأمين على كرامته وسمعته، وصورته أمام أبنائه وأهله وأهلك، ولن يطول إبحاره فى بحر المغامرة وسيعود سريعا إلى زوجته وابنائه وينقذ نفسه من هذا التمزق الذى لايليق به وبعمره ومكانته، وسوف يتحمل تبعات المغامرة وخسائرها المادية بشرف ويكف عن هذا «الزعم» المخجل بأنه «يحب» كليكما معا ويتمنى استمرار الأمور على ماهى عليه إلى النهاية فالله لم يخلق لأحد من قلبين فى جوفه، ولم تعرف النفس البشرية بعد قلبا يتسع لعشق امرأتين بنفس القدر ونوع العشق فى نفس الوقت! فلماذا الإصرار إذن على محاولة خداع النفس.. وخداع شريكة العمر بمثل هذا الادعاء ولماذا لايحسم أمره بشجاعة، فيصحح خطأه ويسرح الأخرى بإحسان مع تعويضها التعويض المناسب، أو يدعك كما تختارين لنفسك ويتحمل عواقب فعلته؟



قرأت رسالة «التحليل النهائى» للسيدة التى خانها زوجها ولاتجد سببا لخيانته وتسالك لماذا يخون الرجل زوجته التى تحيطه بكل مايدعوه للوفاء والاخلاص، وأريد أن أروى لها قصتى لعلها تجد فيها مايفيدها فى تجربتها، فأنا سيدة خريجة لاحدى الكليات النظرية، وتزوجت بعد قصة حب دامت أكثر من خمس سنوات، وانجبت بنتين وولدا وعشت فى هدوء مع زوجى المحب الحنون وهو انسان مستقيم الطبع لايعرف المراوغة ونعمنا بالسعادة الصافية والحب العميق المتبادل.. فزوجى هو حبى الأول والأخير، وأنا فتاة أحلامه التى كافح سنين طويلة ليجتمع شمله معها كما انى على قدر لابأس به من الجمال والمظهر الحسن.

ولأن أسرتى من إحدى محافظات الجنوب وأنا أقيم مع زوجى فى القاهرة حيث يعمل فلقد كنت أسافر إلى بلدتى كل شهر أو شهرين حسبما تسمح لى الظروف لأزور أمى التى أصبحت وحيدة بعد سفر شقيقى للخارج للحصول على الدكتوراة فأقيم معها يوما أو يومين ثم أرجع لحياتى وزوجى وأسرتى.

ومضت حياتنا على هذا النحو خمسة عشر عاما أو تزيد، ثم مرضت أمى مرضا شديدا استدعى أن أكون إلى جوارها، فتركت زوجى وأبنائى وأقمت معها لرعايتها فى مرضها شهرا ونصف الشهر ثم توفيت أمى إلى رحمة ربها واضطررت للاستمرار فى بيت الأسرة فترة العزاء وحتى ذكرى الأربعين فطالت بذلك غيبتى عن زوجى وأولادى حوالى ثلاثة شهور.

وكان زوجى يجىء لزيارتى فى بيت أمى من حين إلى آخر فيبيت ليلته وحيدا فى بيت أسرتى لازدحام البيت بالأقارب والزوار ثم يرجع إلى عمله فى اليوم التالى.

وقبل حلول موعد الذكرى بأيام اتصلت ببيتى تليفونيا للاطمئنان على زوجى والأبناء كعادتى.. فلم أجد أبنائى فى البيت وعلمت من زوجى أنهم يقضون بضعة أيام عقب انتهاء الدراسة لدى عمتهم التى تقيم فى إحدى

ضواحى القاهرة وأن الشغالة قد تركت البيت منذ فترة، وتعجبت مما سمعت لعلمى بأن زوجى لايطيق ابتعاد أبنائه عنه.. ولايحتمل الحياة وحيدا، كما تعجبت أكثر لترك الشغالة للعمل فى بيتنا وهى مطلقة شابة وفى حاجة لمرتبها ولم تكن تشكو من شىء خلال عملها معنا.. ولم تفكر من قبل فى ترك العمل لدينا.. ولم استرح لكل ذلك ونهشتنى الوساوس والشكوك فى زوجى لأول مرة منذ زواجنا.. ولم أدر ماذا أفعل فذكرى الأربعين بعد خمسة أيام ويستحيل أن أترك بيت أمى.. قبلها فلم أنم ليلتها وفى الصباح حزمت أمرى وأبلغت أقاربى أنى أحتاج للسفر إلى القاهرة لأمر هام وسأعود قبل موعد الذكرى.

وسافرت للقاهرة دون إبلاغ زوجى بذلك ووصلت إلى بيتى فرأيت سيارة زوجى أمام البيت فى نفس الوقت الذى كان ينبغى أن يكون فيه فى عمله.. فترددت فى الصعود إلى مسكنى إشفاقا على نفسى من أن أفاجأ بما لا أحتمل رؤيته.. وظللت واقفة فى مكانى أراقب العمارة التى أقيم فيها حتى رأيت زوجى يغادرها ويركب سيارته ويمضى بها فاستجمعت إرادتى وصعدت إلى شقتى فما أن فتحتها حتى شممت رائحة عطر أعرفه جيدا تفوح من المكان.. وتذكرته على الفور فهو عطر كان قد جاءنى هدية ولم تعجبنى رائحته النفاذة، فأعطيته للشغالة التى تعمل عندنا لتتجمل به لزوجها ولم تكن قد طلقت منه وقتها وجريت فى الشقة كالمجنونة أفتش فى أرجائها.. فلم أجد أحدا لكنى وجدت على الكمودينو بجوار فراشى، نفس زجاجة العطر اللعينة التى أهديتها من قبل للشغالة.. ووجدت أيضا قميص نوم غريبا فى الحمام! فمادت الأرض بى وشعرت بدوخة وغثيان وبمشاعر غريبة.. وبكراهية هائلة لزوجى.. وأجهشت بالبكاء واستغرقت فيه.. فلم أدر إلا وزوجى واقف أمامى وهو فى حالة ذهول واضطراب والخجل الشديد يرتسم على وجهه.. ويسألنى أسئلة لامعنى لها فصرخت فى وجهه بما رأيت فلم يستطيع تبرير وجود زجاجة العطر وقميص النوم وراح ينكر بلا وعى ويتلعثم ويتعثر فى الكلام بطريقة واضحة.. ولايكاد ينطق بجملة واحدة مفيدة.. وإنما مجرد كلمات متقطعة.. وغير مترابطة.. ولا تفيد شيئا إلا الانكار، فطلبت منه الطلاق ودخلت غرفة الأبناء وأغلقتها على نفسى من

الداخل وظللت طوال الليل ابكى حتى طلع الصباح.. وتأكدت من أن زوجى قد غادر غرفة النوم ودخل الحمام ففتحت الباب بحرص وخرجت من الشقة عائدة إلى بيت أمى دون أن أراه أو يرانى.

ورجعت لبيت الأسرة وأنا أبكى.. وكل من يرانى يواسينى فى رحيل أمى وهو لايعرف إننى لاأبكى رحيل أمى وحدها.. وإنما رحيل الحب والوفاء والسعادة عن حياتى أيضا.

ووجدت نفسى أواجه هذا السؤال المرير:

ماذا أفعل مع هذا الزوج الخائن؟

وفى اليوم التالى جاء زوجى إلى بيت أمى ليحضر ذكرى الأربعين فرأيته منكسرا ويتحاشى التقاء عيوننا، وانتهز أول فرصة اختلى بى فيها واخذنى بين ذراعيه وبكى وكانت المرة الأولى التى أرى فيها دموعه.. فدفعته عنى برفق وتركت له الغرفة وخرجت، وفى الصباح التالى طلب منى إغلاق شقة والدتى والعودة معه إلى بيتنا لنتفاهم هناك على كل شيء .. ورفض السفر بدونى فرجعت معه ووجدت أولادى فى انتظارى بشقتى وكان لقاؤهم بى حارا وجميلا، وفى مسكننا حاول زوجى مرة أخرى أن يضمنى إليه.. وأجهش بالبكاء بصوت عال ولكن دون اعتراف بما فعل.. فتركته وابتعدت عنه وأفكارى ومشاعرى متضاربة وغريبة.. أراجع حياتى معه فأجده كان طوال ١٥ عاما مثالا للزوج المحب الحنون السخى فى عطائه النفسى والعاطفى والمادى لى والأب المثالى لأبنائه علاوة على حبى الشديد له، ثم أستعيد مافعل وماصدمنى به صدمة هائلة فتثور ثائرتى وأحس بالجرح العميق لحبى وكرامتى.. ورغم غضبى الشديد وحيرتى فلقد شعرت بأن شيئا ما فى داخلى يود أن يسامحه على مافعل لكن كرامتى تأبى على ذلك!

وأخيرا وبعد حيرة شديدة اهتديت لقرار هو أن أصلى لله وأدعوه أن يهدينى للصواب ففعلت.. واجتنبت زوجى وحرصت على الابتعاد عنه بضعة أيام.. وكلما مضى يوم أجد ذلك «الشيء» اللعين بداخلى يعود ويحثنى على أن أسامحه وأقبل ندمه الصامت بل وألتمس له بعض «العذر» وليس كله فيما فعل رغم بشاعته فى الضعف البشرى اللعين.. وفى انه قد

فعل مافعل بسبب ابتعادى عنه ثلاثة شهور طويلة لم تسمح لنا الظروف خلالها بالالتقاء كزوجين محبين.

وخلال صراعى مع نفسى جاءنى زوجى وطلب منى إذا كنت قد كرهته نهائيا أن أصارحه بذلك مؤكدا لى إنه لايستطيع الحياة بدونى.. فلم أجبه بشيء.. لكنى حزمت أمرى بينى وبين نفسى وقررت ألا أضحى به أو أهدم بيتى وأسرتى وأشقى أبنائى من أجل غلطة وحيدة ارتكبها زوجى مهما كانت مؤلمة.. وأملت فى أن تداوى الأيام جراحى، واستأنفت حياتى مع زوجى وأنا راغبة فى الصفح والاستمرار معه وظللت أعواما بعد ذلك وأنا أعانى من آثار هذا الجرح حتى التأم تماما.. ونسيته ونسيت هذه الواقعة تماما فلم أشر إليها معه قط ولم يتطرق لها من قريب أو بعيد طوال السنوات الماضية فكأنما سقطت هذه التجربة من ذاكرتى إلى غياهب النسيان طوال السنوات الماضية، حتى تذكرتها وأنا أقرأ رسالة تلك الزوجة واسترجعت تفاصيلها ولكن بلا مرارة ولاضيق فكأنما قد حدثت لانسانة أخرى غيرى.. وراجعت موقفى فيها وما اتخذته من قرار بالصفح وإعطاء زوجى فرصة أخرى فوجدتنى غير نادمة على هذا القرار، فلقد أكدت لى عشرة السنين بعد هذه الواقعة إنه كان ومازال الزوج الحنون ـ المخلص المحب لزوجته وأبنائه.. والذى شاركنى وشاركته حلو الحياة ومتاعبها.. وحمانى من الوحدة والمعاناة وتشاركنا فى تربية الأبناء حتى بلغنا بهم شاطىء الأمان ولربما لم يكونوا ليحققوا ماحققوه فى حياتهم من نجاح وسعادة لو كنت قد استسلمت لنوازع الغضب وحدها فأعمتنى عما لزوجى من مزايا أخرى وعما لأبنائى من حقوق علىّ وعليه.

لقد أردت أن أروى لكاتبة رسالة «التحليل النهائى» قصتى لأطلب منها أن تغفر لزوجها تلك النزوة ولكن بشرط ألا يعود لمثلها أبدا وبشرط أن تكون توبته عنها صادقة، فنحن معشر النساء مطلوب منا أن نكون أوسع أفقا وأكثر تسامحا مع من يستحق هذا التسامح إذا كان زوجا حنونا ومحبا وسخيا فى عطائه لزوجته وأسرته، وسؤالى لك ياسيدى فى النهاية هو: هل الرجل حقا ضعيف إلى هذا الحد؟ وهل من الممكن أن يحب الرجل زوجته فعلا ثم يقدم رغم ذلك على خيانتها؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

يقولون ان الاصل فى وصف الغضب الشديد عادة «بالغضب الاعمى» هو انه يعمى بصيرة الإنسان عن كل شىء آخر حوله ويحصر كل تفكيره ومشاعره فى الموقف الذى استثار غضبه فيتخذ الإنسان من القرارات والتصرفات الانفعالية مايتعامل به مع الموقف وحده ويغفل أو تغيب عنه خلال سورة الغضب ظروف واعتبارات أخرى كانت جديرة بمراعاتها لو كانت قد اتيحت له فرصة التفكير المنطقى الهادىء فى الأمر كله.

لهذا قيل بحق ان الغضب الشديد عدو التفكير السديد.

وقال برناردشو ان الغضب ريح هوجاء تطفىء شمعة العقل! وأكاد أضيف إلى عبارته البليغة هذه:.. والقلب أيضا!

وأحسب ياسيدتى ان ماانقذ زواجك وسعادتك من الانهيار عندما حدثت تلك الواقعة القديمة هو انك لم تستسلمى لقرار الغضب التلقائى الذى اتخذته فى سورة انفعالك حين رأيت مارأيت فى شقتك، وإنما أعطيت نفسك فرصة عادلة للتفكير الموضوعى الهادىء فى علاقتك بزوجك فأتاح لك هذا التفكير الهادىء مراجعة النفس وتأمل هذه الواقعة على ضوء ماضيه معك وعلاقتك الطويلة به فانتهيت من المراجعة إلى اعتبار مارقع منه ضعفا عابرا وليس أصيلا فى شخصيته.. ووجدت فيما أحاط به من ظروف وملابسات كغيابك عنه ثلاثة شهور بعض «مايفسر» لك أسباب هذا الضعف وان كان لايبرره بالطبع، فملت للتجاوز عن خطيئته وألح عليك ذلك الشىء الذى بداخلك للعفو عنه، وماكان ذلك «الشىء» إلا الحب القديم والعظيم الذى تحملينه له والذى صمد لهذه العاصفة ونجا منها، وماشجعك على الرجاء فيه.. وفى ان يكون ندمه على مابدر منه صادقا.. سوى تاريخه القديم معك ورصيده السابق لديك..

وهذا هو الفارق الهام، بين خطأ الإنسان حين تكون الاستقامة الخلقية هى طابع شخصيته ثم تزل قدمه ذات مرة إلى هاوية الضعف البشرى فيندم على مافعل، ونتجاوز نحن بعد حين عن غضبنا منه ، وبين خطأ الإنسان المتكرر حين تكون النزوة والاستهتار الخلقى هما طابع شخصيته فيدمن الخطأ وطلب العفو عنه كل حين، ويعجب لنا عندما نضيق ذرعا به

وباخطائه المتتالية ونرفض الصفح عنه.

وقد اثبتت لك تجربة السنين ياسيدتى انك قد تسامحت مع من كان يستحق منك هذا التسامح فعلا فمضت حياتكما بعد ذلك هادئة مطمئنة معطرة بعطر الحب والوفاء والعرفان.

ومن حقك ان ترضى عن اختيارك للعفو عنه وتفضيلك للاستمرار معه ولمصلحة ابنائك على المدى البعيد.. لو تخيلت الآن فقط عمق الهوة التى كان من الممكن ان يجرفك إليها قرار الغضب وحده لو لم ينتصر قرار الحب ويذكرك برصيده القديم لديك ويهديك إلى الرجاء فيه.

ولايتأتى ذلك غالبا إلا للمنصفين واصحاب القلوب الحكيمة الذين لايهدرون كل ما قدمه لهم الآخرون من قبل عند أول خطأ أو تصرف لايلقى منهم قبولهم، ولا يتصرفون فى ذلك بمنطق الخرافة العربية القديمة التى تزعم إنه كانت هناك سلحفاة تضع تسعا وتسعين بيضة كلها سلاحف جيدة ثم تضع بيضة فتفقس حية تلتهم التسعة والتسعين كلها!

فى حين يفعل ذلك للأسف بعض شركاء الحياة مع شركائهم فينسون لهم كل شىء عند أول خطأ.. أو خلاف.. أو منعطف لايتفق مع رغباتهم فكأنما قد التهم خطؤه أو تصرفه الأخير التسعة والتسعين التى قدمها لهم كلها.

ومن أجمل ماقرأت مؤخرا لأحد علماء السلوكيات.. عبارة يقول فيها:

لاتتخذ أى قرار مصيرى فى حياتك إلا إذا درت حول التل دورة كاملة!

وتفسير هذه العبارة هو أن كل مشكلة مصيرية تواجه الانسان إنما تنتصب أمامه كالتل المرتفع ولن يتأتى له أن يتخذ بشأنها القرار الصحيح.. إذا اكتفى بتأمل جانب التل المطل عليه وحده وإنما لابد من ان يدور حول هذا التل دورة كاملة لكى يرى كل جوانبه الأخرى ويوازن بينها وتكتمل له كل معالم الصورة فيكون قراره أقرب للصواب منه لو كان قد اتخذه وهو لم ير من التل إلا جانبا واحدا ناهيك عما تتيحه له هذه الدورة من مهلة كافية للتروى والتفكير الهادىء قبل اتخاذ أى قرار.

والمؤكد انك قد درت حول التل دورة كاملة أتاحت لك رؤية الجوانب الأخرى فى زوجك.. وحياتك.. وأبنائك فاتخذت قرارك على ضوء ذلك كله



ولم تندمى عليه ونصيحتك لكاتبة رسالة «التحليل النهائى» مشكورة وماجورة.

اما سؤالك عن ضعف الرجل وهل يصل به إلى هذا الحد.. وهل يمكن حقا ان يحب الرجل زوجته ثم يقدم على خيانتها، فإنك تفتحين به بابا لحديث شائك طويل ليس هذا مجاله وان كنت قد أجبت عن جانب من هذا التساؤل فى ردى على رسالة التحليل النهائى.. وعلى اية حال وتجنبا للحرج فانى أقول لك كما قلت من قبل ان الدين هو اكبر عاصم للإنسان ضد الخطيئة.. وان الحب هو اكبر عاصم له ضد الخيانة .. وبعد ذلك اقول لك ان ضعف الرجل يختلف فى الشرق والغرب وفى كل مكان عن ضعف المراة، مع التسليم دائما بأن لكل قاعدة استثناء فى كلا الجنسين.. فالمراة إذا ضعفت فإنها تضعف غالبا استجابة لنداء الحب وحده.. أما الرجل إذا ضعف فإنه قد يضعف استجابة لنداء الحب.. وقد يضعف أيضا استجابة لنداء الغريزة المتوحشة التى لم يردعها عاصم من دين.. وصادفت ظروفا وإغراءات يسرت الاستجابة لندائها.

وبعض الرجال ــ لابد أن نعترف بذلك ـ يتعاملون فى ذلك مع نداء هذه الغريزة كما يتعاملون مع غريزة الطعام الذى يقيم الاود ويمنع الهلاك جوعا، ويفصلون فى تعاملهم معها بين « حبهم » لمن يحبون وبين تلبيتهم لندائها عند الضرورة أو فى نزوة عارضة.

وهو خطأ نفسى وعاطفى ووجدانى وأخلاقى غريب، لانه يفصل بين وظيفتين لافاصل بينهما فى الحقيقة عند الاسوياء والناضجين عاطفيا وإنسانيا وخلقيا.. ناهيك عما يحمله من تعارض مخيف مع نواهى الدين واوامره.. ويكفى هذا الحد من الحديث فى الأمر الشائك ـ وشكرا.

٣٠ قصة حب واقعية

التحليل النهائى

أنا سيدة فى الثلاثينات من العمر.. جامعية وخريجة إحدى كليات القمة كما يقولون عنها.. تزوجت وعمرى ثلاثة وعشرون عاما من مدرس بالمرحلة الابتدائية يكبرنى ببضع سنوات وبعد عام من الزواج اكتشفت «الكارثة الكبرى» التى تنتظرنى وهى أن زوجى غير قادر على الانجاب نهائيا.. ولن أزعم لك ياسيدى أن ذلك لم يصدمنى أو لم يؤثر فىّ كما قد تزعم بعض السيدات فى مواقف مماثلة وانما سأكون صادقة معك ومع نفسى فأقول لك ان هذا الخبر قد زلزلنى وحطمنى تماما، ليس لأننى كنت أحلم فقط بأن أكون أما منذ صباى وإنما أيضا لأنى أحب كل الأطفال ولاتخلو حقيبة يدى أبدا من بعض الحلوى لهم وقد كنت أحلم بأن تكون لى أسرة كبيرة تضم ثلاثة أو أربعة أطفال لأنه لاعم لى ولا خال، لكن هكذا شاءت إرادة الله، فلم أيأس ولم أتوان ولم اقصر فى خدمة زوجى وواجباتى معه فى كل موقف بل ورحت أؤكد للجميع وفى كل مناسبة أننى المسئولة عن هذه «المصيبة» وذلك لكى ادفع عن زوجى الحرج والاحساس بأى نقص، ورحت أستمع باهتمام إلى نصيحة كل صديقة وكل جارة تقدم لى خبرتها فى التغلب على مشكلة عدم الانجاب بل وأكتب اسم طبيب أمراض النساء الذى تنصحنى به شاكرة.. وانتظاهر بنيتى فى الذهاب إليه أمام الصديقة.. ولاأفعل ذلك بالطبع. وعشت حياتى مع زوجى فى هدوء رغم مرات الخلاف البسيط القليلة بيننا والتى كنت أفضل فيها العودة إلى بيت أسرتى حتى تهدأ النفوس وأستجيب لرجاء زوجى فى العودة حين يجيئنى مصالحا بلا تردد، وأيضا رغم فترات وحدتى الطويلة فى شقتى من الخامسة مساء كل يوم وهو موعد عودتى من عملى إلى منتصف الليل، وهو موعد رجوع زوجى من عمله الاضافى حيث يعمل فترتين.

وخلال ذلك لم نكن نقصر فى طلب العلاج والذهاب إلى الأطباء، ثم شاء القدر بعد ست سنوات من الزواج ـ أن يظهر فى حياتنا أمل جديد فقد ذهبنا إلى طبيب أعطانا الأمل فى أن يثمر العلاج ثماره المرجوة هذه المرة، وأعطانا

علاجا مكثفا لمدة أربعة شهور نفذناه بدقة فلم يثمر النتيجة المرجوة.. فكررنا العلاج المكثف لأربعة شهور أخرى ولم يتحسن الموقف أيضا، فكررنا العلاج لأربعة شهور ثالثة.. وصارحنا الطبيب بأنه الأمل الأخير لنا وانه لن يستطيع ـ إذا لم يحقق النتيجة المرجوة .. أن يفعل أى شىء آخر وتمسكنا نحن بهذا الأمل الأخير حتى النهاية وتناولنا العلاج المكثف بحرص شديد وأمل لاينقطع فى رحمة الله وانتهينا منه بسلام وتحدد لنا يوم ٨ ديسمبر الماضى للذهاب إلى الطبيب لاجراء التحليل النهائى لخصوبة زوجى بعد آخر دورات العلاج.. وخفق قلبى بشدة خوفا مما قد يكشف عنه هذا التحليل النهائى وحزمت أمرى بغير تردد وصارحت أقرب صديقاتى بأنه كيفما جاءت نتيجة التحليل الذى يتوقف عليه آخر أمل لنا فى الانجاب، فإن مشاعرى تجاه زوجى لن تتغير ولن تتبدل وسأرضى بحياتى وبما شاءته لى الأقدار بغير سخط.

وفى اليوم السابق لإجراء هذا التحليل خرجت من البيت للذهاب إلى عملى كالمعتاد صباح كل يوم.. ووقفت فى إنتظار سيارة العمل التى تنقلنى إليه فتأخرت السيارة طويلا على غير العادة.. وبعد ساعة ثقيلة يئست من الانتظار وهممت بركوب المواصلات العامة لكنى زهدت فى ذلك فجأة وساءلت نفسى لماذا أتحمل عناء المواصلات العامة طوال هذه المسافة الطويلة إلى العمل وقررت فجأة عدم الذهاب للعمل والحصول على إجازة عارضة ذلك اليوم وعذرى فى تخلف السيارة مقبول، ورجعت إلى شقتى لأمضى اليوم فى بيتى وأقوم ببعض الواجبات المنزلية الاضافية، فأدرت المفتاح فى باب الشقة وفتحته بهدوء فإذا بى أرى زوجى العزيز الذى صبرت على عشرته كل هذه السنوات يجلس فى الصالة ليس فوق مقعد أو فوتيل ولكن فوق «حجر» سيدة لاأعرفها ولم أرها من قبل فى حياتى!

وقفت مذهولة لما أرى وعاجزة تماما عن النطق والحركة للحظات فإذا به يسألنى فى برود عن سبب عودتى.. وإذا بى أجيبه وانا لاأدرى بما أقول بأن عربة العمل لم تحضر، ثم درت حول نفسى دورة كاملة لاأعرف لماذا واتجهت بتلقائية إلى غرفة النوم.. لاأعرف أيضا لماذا ربما لكى أرى هل تغير فيها شىء عما كانت عليه حين تركتها منذ ساعة، ثم عدت للصالة بعد

لحظات فلم أجد السيدة الغريبة التى كانت بالصالة منذ لحظات، ووجدت زوجى يقول لى فى هدوء مفتعل وكأنما يعرفنى بشىء عابر لايستحق الحديث عنه طويلا: هذه مدام ...... خطيبة أخى!

فلم أسمع منه كلمة أخرى وخرجت على الفور من شقتى وركبت سيارة أجرة إلى أهلى ودموعى تهطل لاإراديا، ورويت لهم ماحدث وانتابتنى نوبة هذيان وانهرت انهيارا تاما لم أدر معه ماذا حدث لى بعد ذلك ولاأذكر منه سوى مشهد الطبيب وهو يحقننى بحقنة مهدئة فى بيت أسرتى.. وصمم أهلى على استرداد منقولاتى من شقة زوجى فى نفس اليوم ونفذوا ماأرادوا.. وتمنيت فى ذهولى وصدمتى لو أن زوجى كان قد حاول انكار الواقعة أمام أهلى أو تصويرها لهم تصويرا مخففا لكنه للأسف لم يفعل أو لم يعرف كيف يفعل.. فاكتفى بالصمت العاجز عن كل تبرير.

وضاعت ياسيدى سنوات العذاب والصبر على الحرمان من الأطفال بلا طائل ولا عزاء.. ونهشتنى الأفكار والتساؤلات الملحة فحرمتنى من النوم وراحة البال ورحت أسأل نفسى كل لحظة لماذا يخوننى زوجى مع سيدة أخرى بعد كل ماقدمت إليه من معروف وعشرة طيبة؟ وكيف هان عليه أن يفعل ذلك فى مسكن الزوجية الذى ينبغى أن يصونه بغض النظر عن أى اعتبارات أخرى؟ ولماذا يفعل ذلك وأنا لم أقصر فى حقوقه الزوجية لحظة واحدة وحرصت عليه دائما وعلى مشاعره إلى حد اتهام نفسى بالمسئولية عن عدم الانجاب رعاية له.. هل فعل ذلك لأنه لايحبنى؟ كيف يكون الأمر كذلك وقد كان يؤكد دائما تمسكه بى وحرصه على استعادتى فى مرات الخلاف القليلة التى شهدتها حياتنا.. إذن فلماذا يصدمنى فى مشاعرى وأنوثتى بهذه الطريقة المهينة المزرية؟.. اننى لاأزعم اننى سيدة فائقة الجمال أو مبهرة.. فأنا سيدة عادية لها جمالها المقبول ومظهرى مهندم دائما، وإنسانة طيبة ترضينى أقل كلمة، وحلوة المعشر وكنت أبتسم دائما فى وجه زوجى حتى لا يشعر بأى نقص فيه، كما كنت أحاول دائما أن أكون متسامحة معه وأتغاضى عن كل خلاف قد يقع معه.. فلماذا إذن يفعل مافعل؟ اننى لاأبحث لديك ياسيدى عن حل لمشكلتى.. فالحل واضح لكل ذى عينين ولاحل سواه.. لكنى أبحث لديك عما يرد لى بعض كرامتى

الضائعة.. وعما يشفى بعض جراحى الغائرة.. وأبحث لديك عن إجابة تشفى غليلى وتطفىء نار الحقد والغل التى اندلعت فى قلبى على هذه التساؤلات التى تلح علىّ ليل نهار.. فهل تستطيع أن ترد علىّ بعض كرامتى المبعثرة؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لايستطيع الإنسان مهما فعل أن يمنع الآخرين من الإساءة إليه إذا تحركت نوازع الغدر والشر فى أعماقهم.. ولاغرابة فى ذلك ياسيدتى، فأفعال الآخرين لاتقع فى نطاق سيطرتنا ولانملك أن نخضعها لارادتنا مهما أجهدنا أنفسنا فى محاولة ذلك، ومهما كان حجم العطاء الذى نقدمه لهم، إذ اننا حتى لو كنا نستطيع أن نأسرهم بمعاملتنا الطيبة وعطائنا الصادق لهم فى كثير من الأحيان، فإن نزعات النفس البشرية الغامضة كثيرة أيضا ياسيدتى.. وغرائزنا وأهواؤنا الجامحة وحوش ضارية تتلوى داخلنا تريد أن تحطم القيود الأخلاقية والدينية التى نكبلها بها لتنطلق فى الحياة كما تنطلق الوحوش فى الغابة، فإذا وهنت هذه القيود لدى البعض أو ضعفت درجة سيطرتهم على وحوش الغرائز والأهواء فى أعماقهم، انطلقت من مكامنها تسعى إلى كل مايحقق لها رغباتها دون توقف كثير أو قليل أمام القيم الاخلاقية أو أمام حقوق الآخرين علينا وواجباتنا تجاههم، والإنسان يسأل فى النهاية عما يفعل هو وليس عما ارتكبه الآخرون ضده من خيانة أو غدر أو تصرفات خسيسة.. وليس مما يسىء إلينا فى نظر أنفسنا وأنظار المنصفين أيضا أن نتعرض أحيانا لشىء من ذلك فالجريمة عار مرتكبها لاعار ضحيتها.. والسارق أحق بأن يشعر بالمهانة من المسروق، لانه هو الذى ارتكب عملا شائنا يفقده اعتباره لدى الآخرين وليس الضحية.

لهذا فلست أرى لك الاستسلام لهذا الاحساس المؤلم بالمهانة والهوان «والكرامة المبعثرة» لمجرد أن زوجك لم يحفظ لك عهدك.. ولم يقدر لك عطاءك المخلص له ولا انكارك لنفسك من أجله واحتراما لمشاعره.. فكرامتك مصونة وفى حرز حريز نسجت خيوطه من أخلاقياتك ومثالياتك والتزاماتك الخلقية.. ورؤيتك الخيرة للحياة، أما غدر الغادرين.. فعارهم وحدهم ولو آذى مشاعرنا وألحق بنا أقصى الألم. وكل مايملكه المرء فى

مواجهة إساءة الآخرين له هو أن يدفع الإساءة الجارحة عن نفسه وأن يرفض السكوت عليها أو التسامح معها، وأن يتخذ ممن أساء إليه موقفا عادلا ترضى به نفسه وكرامته.. وهذا ماتفعلينه الآن بالتحديد.. ولا لوم عليك فيه ولاجناح، فنحن قد نطالب الزوج أو الزوجة بالتسامح مع الإساءة حتى ولو كانت جارحة وحتى لو تكررت مرة ومرات، أملا فى الإصلاح وحرصا على استمرار مظلة الأسرة، وأشفاقا على الأبناء من أن يدفعوا ثمنا باهظا لمغالاة الإنسان فى الاعتزاز بكرامته ورفضه الصفح عن الإساءة، وليس هناك من مبرر نبيل للصفح والنسيان عن كل ذلك إلا هذا المبرر وحده، فلأى مبرر إذن يمكن أن يطالبك أحد بالصفح والتسامح إذا لم تدفعك إليهما دوافعك العاطفية الذاتية وحدها؟ إن الحب والوفاء والعطاء والعطف المتبادل والعشرة الطيبة هى المبرر الوحيد لاستمرار الحياة الزوجية بين زوجين لم تشأ لهما الأقدار أن ينجبا أطفالا، فإذا انتفى المبرر لم يكن لاستمرار مثل هذه الحياة أى معنى سام ولا هدف نبيل، ولا لوم على من لايجد سعادته فيها إذا تخلص منها فى هدوء وبحث عن أمانه وسلامه النفسى فى حياة أخرى. لهذا فلست ألومك فى موقفك من زوجك بعد هذا المشهد المؤلم الذى صدمت به فى مسكن الزوجية.. وبعد كل ماقدمت له من عطاء نفسى وعاطفى بلغ بك حد انكار الذات والرضا باتهامها ظلما بالمسئولية عن الحرمان من الانجاب رعاية لمشاعره..

ولك أن تتمسكى بهذا الموقف حتى النهاية إذا شئت.. ولك أن تتنازلى عنه إذا شفيت نفسك مما عانت ورغبت فى استئناف الحياة مع زوجك إذا صدق ندمه على مافعل وقدم لك الترضية الكافية التى تضمد جراحك.. أما الأسباب التى قد تدفع رجلا لأن يفعل مافعل زوجك وقد توافرت له كل أسباب الرضا بحياته معك والاكتفاء بك والتى تتساءلين عنها بمرارة وحيرة.. فالحديث يطول عنها أيضا وكلها مما لايقبله العقل أو المنطق.. والقاعدة هى أن الحب الحقيقى هو العاصم الأول للرجل والمرأة ضد الخيانة بالقلب والفكر وإن الالتزام الخلقى والدينى هو العاصم الأكبر لأى منهما ضد الخيانة بالفعل والتصرفات، فإذا غاب هذا وذاك.. فقد تقع الخيانة أحيانا لأسباب مختلفة فقد تكون ضعفا بشريا صادف إغراء

خارجيا قويا لم يستطع الصمود أمامه، وقد تكون نزوة طارئة غاب فيها العقل والالتزام واستسلم الإنسان فيها لغرائزه ورغبته الغامضة فى إصطناع الاحساس بالجدارة وبأنه مرغوب من الآخرين وموضع رغبتهم واهتمامهم.

وقد تكون فى بعض الأحيان رغبة خفية فى التعويض النفسى وإثبات الكفاءة و«الرجولة» خاصة إذا أحاطت بهذه الرجولة بعض الشبهات فتكون « المغامرة » فى هذه الحالة محاولة لاشعورية من جانب الإنسان لنفى هذه الشبهات عنها فى نظره هو أولا، وفى أنظار الآخرين.. كما قد تكون كذلك رغبة فى تعويض النفس عما تفتقده فى حياتها المشروعة من بعض النواقص العاطفية أو البيولوجية أو الإنسانية، مهما كان مظهر هذه الحياة خلابا ومتكاملا فى أنظار الآخرين ، وقد تكون .. وقد تكون .. وقد تكون.. إلخ.

وليس يعنيك كثيرا أن تعرفى دوافع زوجك لأن يفعل مافعل إلا إذا كانت بعض هذه الدوافع تتعلق بك أنت، وترغبين فى تحرى الأسباب والاستفادة من الأخطاء فى المستقبل.

أما دوافعه الذاتية المعلنة والخفية فلن تفيدك فى شىء إلا فى فهمها وفى اكتساب خبرة جديدة بالنفس البشرية ونزعاتها المختلفة.. والفهم قد يؤدى إلى التماس الأعذار والصفح بعد حين.. وهذا كله متروك لك وحدك لتقدريه وفقا لظروفك واعتباراتك الشخصية وحدها..

وفى كل الأحوال فليست هناك تجربة يعيشها الإنسان ولايستفيد منها شيئا صغر أم كبر، فإن لم تكن «خبرة السعادة» هى جائزته فيها.. فلقد عرف على الأقل «بخبرة الألم والتجربة» من لايصلحون له.. ولابد أن يعينه ذلك بشكل أو بآخر فى بحثه العادل المشروع عن الصالح المنشود!..

٢٤



التضحية المخيفة



منذ خمس سنوات وأنا أفكر فى الكتابة إليك ثم يجد جديد فى حياتى فيؤجل قرارى . فأنا سيدة فى الأربعين من عمرى من عائلة متدينة ومحترمة أبدو أصغر كثيرا من سنى كما أنى بدون غرور أو مبالغة على قدر معقول جدا من الجمال والرشاقة والأناقة وأحسن التصرف فى الأمور وفى مواقف الحياة المختلفة .. وقد بدأت قصتى معه وأنا طالبة بالسنة الثانية بكلية نظرية حين التقيت به وأحسست بشىء قاهر يجذبنى إليه ، فكانت بيننا قصة حب كبيرة عرف بها الجميع واستمرت خطبتنا خمس سنوات كاملة لأن حبيبى لم يكن وقتها يملك إمكانيات الزواج ، ورضيت منه بدبلة خطبة بسيطة وتم الزواج بأثاث بسيط كان بعضه مستعملا وجددناه ، وتقبلت كل ذلك وأنا سعيدة لاجتماع شملنا بالرغم من أننى كنت فى بيت أسرتى مدللة وبدأنا حياتنا الزوجية بإمكانيات مادية قليلة ولم أشعر بأى نقص فى حياتى مع زوجى .. وأنجبت ثلاثة أطفال وتحسنت ظروف زوجى فتركت وظيفتى وتفرغت لزوجى وأطفالى وبيتى ، وانشغلت بهم عن كل شىء فى الحياة ، حتى تباعدت رغما عنى زياراتى لأهلى واخوتى وأمى التى تعيش بمفردها لأنى أكرس كل وقتى لزوجى وأطفالى وبيتى ولم أشك يوماً من أعبائى المنزلية أو أعباء الأطفال .. وبلغ من حبى لزوجى أن أصبحت أحب ما يحبه وأكره ما يكرهه ولا أنام إلا بعد أن ينام هو ، وأصحو من نومى قبله ، وإذا مرض ولو بالصداع البسيط سهرت الليل كله إلى جواره وأنا سعيدة بأن أؤدى له عملاً أو واجبا.. كما لم أقصر فى الاهتمام بمظهرى داخل البيت وخارجه ، واهتممت باستقبال ضيوفه وحسن ضيافتهم وبكل شئون زوجى فقد أردت أن أكون له الزوجة والحبيبة .. والأم .. والأخت والسكرتيرة التى تنظم أوراقه واتصالاته وتذكره بالأمور الهامة فى حياته .

ومضت ١٥ عاما من الزواج وقبلها خمس سنوات من الخطبة ولم يتغير شعورى تجاه زوجى أو يفتر حبى له بمقدار شعرة واحدة ، بل زاد وتضاعف ولا غرابة فى ذلك فهو أول حب فى حياتى وآخر حب بل هو

الرجل الوحيد الذى عرفته وأحببته ولا أكف عن التعبير له عن حبى بالكلمة واللمسة واللفتة بعد ١٥ عاما من زواجنا حتى اعتاد زوجى كلما فعلت معه ذلك أن يقول لى اننى خيالية وتأثرت بالأفلام العاطفية والقصص التى اقرأها ولم يكن ذلك يضايقنى بل كان يثير ضحكى ومداعباتى .. لكن ما آلمنى حقاً وهزنى من أعماقى هو أننى قد اكتشفت فجأة أن زوجى الحبيب يخوننى مع فتاة صغيرة ليست فى مستواه الاجتماعى ولا من سنه ويسافر معها بالأيام إلى أفخم المصايف ويتركنى مع الأبناء فى البيت بزعم أنه مسافر فى عمل بل وأنه كان ينوى الزواج منها إلى أن علمت بالأمر فتركها ، وكانت صدمتى هائلة فى زوجى الذى كان مثالاً للأخلاق والاتزان والعقل ولأنه كان ينتقص دائما أى رجل يخطىء فى حق أبنائه وزوجته .

ومع ذلك فقد تحملت صدمتى فيه وحدى وكتمتها عن الجميع ولم أشك لأحد منه وحاولت أن أنسى وأضمد جرحى بنفسى فما أن بدأت أتناسى ما حدث حتى اكتشفت أن زوجى على علاقة جديدة بسيدة تكبره فى السن وأم وجدة لأحفاد أيضا ولا تمتاز بأى شىء ومن وسط غريب جداً ودارت بى الدنيا من جديد وتركها على الفور حين أدرك أنى قد عرفت بالأمر .

ثم توالت الصدمات بعد ذلك كأنما كانت فى عقد ثم انفرطت حباته فتساقطت واحدة وراء الأخرى ..

فهذه سيدة أخرى وجارة لنا .. وأعرف بالأمر وأواجهه وأبكى وأستعطف .. وأذكره بالحب القديم وبالشرف والأخلاق والدين .. والأبناء فيخجل ويتركها.. فلا تمضى شهور حتى أعرف بعلاقة أخرى وتتكرر نفس القصة .. مرة رابعة وخامسة .. وكلما أفقت من آثار محنة جديدة وتصورت أن الأحوال قد هدأت أخيرا أصدم بقصة جديدة وجرح جديد ورغم كل ذلك فقد سامحته على كل ما فعل وغفرت له ليس عن ضعف وإنما عن حب كبير ، واحساس بأننا روح واحدة فى جسدين ولا يمكن أن ينفصلا إلا بالموت ، كما أنى أيضا كنت أضع مصلحة أبنائى فوق كل اعتبار لأنهم يحبون أباهم جداً ويتعلقون به تعلقاً شديداً ورغم صفحى ونسيانى فاننى كثيرا ما تعجبت من أمره وكثيراً ما سألت نفسى لماذا يفعل زوجى ما يفعله .. وأنا لا أقصر فى واجباتى الشرعية تجاهه ولم أرفض له نداء ذات يوم مهما كنت مريضة أو عاتبة عليه فى شىء ، ولماذا يفعل ذلك وأنا لا أقصر معه حتى فى ترديد كلمات الحب على مسامعه كاننى فتاة

مراهقة تحب لأول مرة فى حياتها وكل ذلك إلى جانب محاولاتى المستمرة لإسعاده وإسعاد أولادى واهتمامى بالتغيير والتجديد فى حياتنا واهتمامى بالمناسبات والأعياد ومعاملتى له أمام الجميع بحب واحترام مع عدم البوح بأى شكوى منه حتى لا تهتز صورته فى أعين الآخرين وحتى يبقى دائما الرجل المحترم منهم .

نعم كثيرا ما سألت نفسى هذه التساؤلات المريرة فلم أجد لها جواباً شافيا وتركت للزمن تضميد الجراح وصبرت على زوجى على أمل أن يتغير أو تنزل عليه هداية السماء ، ثم نقل زوجى منذ أربعة شهور وفقاً لطبيعة عمله إلى صعيد مصر وأقام فى إحدى المدن هناك فى استراحة تابعة لجهة عمله .. وبقينا نحن فى القاهرة حيث مدارس الأبناء . وسافر زوجى وعاد فى أجازته الأولى فإذا بى أحس بتغيير رهيب فيه فكأنه قد أصبح رجلاً غريبا لا أعرفه من قبل وفسرت هذا التغيير الكبير بظروف نقله واقامته وحيداً فى تلك المدينة البعيدة لكنى أحسست رغم ذلك بتشاؤم كبير لم أشعر به من قبل فى الكوارث السابقة ولم أجد له تفسيرا مريحا ولم تمض فترة طويلة حتى صدق احساسى الغامض واتصل بى بعض أصدقاء زوجى ليبلغونى بأنه على علاقة بسيدة متزوجة من رجل كبير السن ولها أبناء فى الجامعة .. وأنها سيدة مستهترة ولا تبالى بشىء ولا بأحد وتسافر إليه فى تلك المدينة البعيدة .. وتستقبله فى القاهرة عند مجيئه من عمله فيغيب معها طوال اليوم ويأتى إلينا آخر الليل ولم أستطع أن أتحمل أكثر من ذلك وواجهته بما عرفت فأنكر فى البداية .. ثم عاد واعترف بأنها علاقة عمل وسوف ينهيها على الفور وبالفعل قضى تلك الاجازة معنا ولم يرد على اتصالاتها التليفونية المتكررة وجاءت ووقفت تحت البيت تنتظره ولم يخرج إليها ..

ثم سافر زوجى إلى عمله فإذا بى أعرف أنها قد سافرت إليه هناك وأثرت عليه واستعادت علاقتها به .

ورجع زوجى فى الأجازة الأخيرة فطالبته بمصارحتى بالحقيقة مهما كانت قاسية وأكدت له أننى لن أتخلى عنه وإنما سأقف بجواره إذا كان متورطا فى شىء معها فاعترف لى بوجود علاقة بينهما لكنه لو تركها الآن فلن تدعه فى حاله وإنما ستهدده فى عمله وتستطيع ذلك لأنها على صلة ببعض الكبار فى الدولة !

فطالبته بتركها وبألا يخشى شيئا فاتصل بها وأنهى كل شىء بينهما لكنها لم تهدأ واتصلت به وهددته فعلا .

وكأنما أراد زوجى أن يحتمى بنا من وحدته وضعفه معها فى مقر عمله ومن ضعفه فطلب منى أن أنتقل معه أنا والأولاد على الفور إلى المدينة التى يقيم فيها على أن ننقل أبناءنا إلى المدارس هناك وبدون تفكير وبدون تردد بل وبدون حتى أن أخبر أمى أعددت على الفور خلال ساعات حقائب السفر لى وللأولاد ورتبت كل شىء وأغلقت مسكنى وسافرنا للإقامة معه فى الاستراحة فى تلك المدينة ورغم مفارقتى لبيتى وأهلى وأخوتى ووجودى فى غربة لا أعرف فيها أحداً فلقد كنت سعيدة لوجودنا نحن الخمسة تحت سقف واحد .. ولعودة الاحساس بالأمان لى وللأولادى ونحن مع زوجى وإلى جواره وحمدت الله كثيرا على ذلك ورأيت أن متاعب الغربة هى أهون ضريبة أدفعها للحفاظ على زوجى وحبى وأولادى وبيتى .

لكن سعادتى لم تطل كثيرا للأسف فلقد أحسست بتغير زوجى من جديد وسألته عما ألم به فاعترف لى بأنه متزوج من هذه السيدة بعقد عرفى بعد أن تركت زوجها وأولادها طلبة الجامعة من أجله ! وأحسست بأن زوجى قد طعننى هذه المرة فى مقتل ، بهذا الاعتراف وبأنه قد قضى على آخر أمل لى فى الإصلاح معتقدا أننى سوف أقبل بهذا الوضع اعتمادا على أننى أحبه .

وتحاملت على نفسى وصبرت حتى لا أضيع امتحانات نصف العام على أبنائى لكنى لم أعد أستطيع الصبر ولا القبول أكثر من ذلك .

إن زوجى يقول لى أن ما فعله من حقه وانه « شرع الله » وأنا أسألك : هل أباح له الزواج بأربع بغير أسباب أو لغير حكمة .. وحتى لو كانت الزوجة سليمة وفى عز شبابها وتحب زوجها ولم تقصر معه فى شىء يذكر بل على العكس كانت تبالغ فى حبها وحسن معاملتها له ؟

وهل من « شرع الله » حقاً أن ينخرب بيت بعد عشرين عاماً كان خلالها سعيداً وآمناً .

وهل يرضى الله سبحانه وتعالى أن يضيع أبنائى فى الطريق وأن تضيع آمالى وأحلامى فى السعادة والأمان ؟

إن زوجى يعتقد أن هذه السيدة تحبه وأنها قد ضحت من أجله بزوجها وأولادها .. فهل السيدة التى تترك زوجها المسن بعد ٢٥ عاماً من الزواج

وتتخلى عن أولادها تكون قد « ضحت » فعلاً وتستحق أن يتركنا زوجى من أجلها ؟؟
وهل السيدة التى تترك زوجها وأولادها وتتبع أهلها فى سبيل رغبتها فى رجل آخر تكون سيدة صالحة وتؤتمن ؟
وهل السيدة التى تهدم بيتها بيدها وتريد أن تهدم بيتاً آخر هو بيتى ، تكون سيدة مضحية وتستحق أن يقدر لها زوجى « تضحيتها » ويضحى من أجلها وهل حب عشرين عاماً كحب أربعة شهور ؟
وأخيراً وهل يرضى الله سبحانه وتعالى بأن تضيع أسرة وأربعة أشخاص هم أنا وأولادى وأن تضيع عشرون عاماً من الحب والإخلاص والوفاء فى مقابل سيدة تاركة لزوجها المسن وأولادها مقابل علاقة أربعة شهور ؟
هل هذا عدل ياسيدى ؟
اننى أكاد أجن ولا يستقر لى جنب فأرجوك أن تجيبنى بكل صراحة وأن تشير علىّ وعليه والسلام عليكم ورحمة الله .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لا أعرف لماذا لا نتذكر « شرع الله » إلا فى هذه الجزئية وحدها منه .. ونتغافل عن مجمله أو معظمه فى كثير من سلوكياتنا ومعاملاتنا الأخرى فى الحياة ؟
وأين كان « شرع الله » فى العفة والوفاء والاخلاص وعدم خداع شركاء الحياة وهو يخرج من علاقة محرمة إلى أخرى .. ولماذا لم يحصنه ولم ينهه عن هذه العلاقات الآثمة قبل أن تتطور احداها وتتحول إلى زواج عرفى سرى لا يختلف كثيراً فى مضمونه وفى سريته عن هذه العلاقات السابقة ؟
أليس غريباً أننا لا نتذكر « شرع الله » هذا إلا إذا أردنا أن نبرر خيانتنا لعهودنا مع من عاهدناهن على ألا نشرك فى حياتنا معهن أحدا سواهن ؟
لقد تحدثت من قبل كثيرا عن تعدد الزوجات ولن أعيد ترديد ما قلت فيه لكنى سأقول لك فقط : إن الإسلام لم يبتكره ولم يأمر به على عكس ما يتصور البعض من ظاهر الآية « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » وإنما نظمه وقيده بأربع زوجات وبشرط العدل فى النفقة والمبيت والقدرة عليه وقد كان معروفاً وسائداً فى الشعوب القديمة قبل الإسلام ، وفى

التوراة نصوص ووقائع تؤكد ذلك فلقد كان لداود عليه السلام زوجات كثيرات وكان لسليمان عليه السلام سبعمائة زوجة وثلاثمائة من السرارى ، وليس فى الانجيل نص بمنعه وكان مباحا فى أوروبا حتى حرمته الكنيسة فى العصور الوسطى وهو فى رأى أكثر الفقهاء ليس أمراً واجباً وإنما مباح فقط لحكمة قدرها الله سبحانه وتعالى لصلاح المجتمع وسد أبواب الخطيئة ، كأن تكون الزوجة مريضة وغير قادرة على تلبية احتياجات زوجها الإنسانية والعاطفية ، أو أن تكون محرومة من الإنجاب وتشتد على زوجها رغبته فى الإنجاب مع الاحتفاظ بزوجته الأولى بقبولها وموافقتها ، أو أن تكون رغبة الزوج فى النساء أكبر من أن تلبيها له زوجة واحدة ، أو أن يكون فى المجتمع كثرة من النساء يُخشى معها من انتشار العلاقات غير المشروعة . وتعدد الزوجات فى رأى عالم جليل كفضيلة الشيخ سيد سابق فى فقه السُنة « ليس واجباً ولا مندوبا ـ أى مستحباً ـ وإنما هو أمر أباحه الإسلام لمقتضيات عمرانية وضرورات إصلاحية » .
وفى رأى عالم فاضل كالدكتور عبد الجليل شلبى « فإن الإسلام لا يحتم ولا يشجع على تعدد الزوجات ولكنه أباحه على شريطة ألا يزيد عدد الزوجات على أربع وأن يستطيع الزوج العدل بينهن .
أما فى رأى مستشرق فرنسى كبير كالأستاذ جوستاف لوجيون فهو « البديل الأخلاقى ـــ عند الضرورة ـــ لتعدد الزوجات السرى لدى الأوربيين » ويقصد به تعدد العشيقات والعلاقات المحرمة .
وفى كل ذلك فلم يكن فى ظروفك ولا فى ظروف زوجك ما يبرر له أو يدعوه إلى السباحة فى بحر النزوات والمغامرات .. والعلاقات الآثمة التى انتهت به إلى هذا الزواج السرى ..
و « شرع الله » الذى يتحدث عنه يعطى للمرأة فى مقابل إباحته لتعدد الزوجات الحق فى أن تشترط على زوجها ألا يتزوج عليها كما يجيز لها أيضا أن تجعل عصمتها بيدها لكى يسهل عليها الطلاق إذا تزوج زوجها عليها .. بل انه ليجيز لها كذلك أن تشترط فى عقد زواجها تعويضاً مالياً يقدمه لها زوجها إذا تزوج عليها .
والأصل فى الزواج انه تعاهد بين طرفين على أن يكون كل منهما للآخر وحده بلا شريك له فى قلبه ولا فى حياته ، فإذا خرج الزوج على هذا التعاهد الضمنى فقد خانه .. والشرع والقانون يطالبانه بأن يصارح زوجته

برغبته فى الزواج .. من أخرى ولها أن تقبل وتواصل رحلتها معه .. ولها أن ترفض وتطلب الطلاق وتحصل عليـه للضرر إذا أصر الزوج على الزواج من أخرى وبـالتالى فإن مـا فعله زوجك هـو خيانـة لعهده معك حين تحاببتما وتـزوجتما وتعاهـدتما على الاخـلاص والوفـاء حتى نهايـة الرحلـة وهى « خيـانة » بـدأت منذ فترة بسلسلـة العلاقـات والنزوات التى طـرأت على حياتـه معك .. والواضح أنه يعـانى من أزمة منتصف العمر التى يعـانيها بعض الرجال وبعض النساء أيضـا بعد الأربعين ، فيدفعهم قلقهم النفسى من تسرب الشبـاب وتسلل بوادر المشيـب اليهم إلى محاولة اثبـات العكس بالاستجابة لبعـض النزوات العابرة والعناية بـالمظهر والاهتمام المغالى فيه بالجنس الآخر .

وهى مرحلة لا تطول .. على أية حال ولقد تعاملت معها بصبر وتسامح كبيرين على أمل الإصلاح إلى أن روعك زواجه من هذه السيدة « المضحية » وإجاباتى عن تساؤلاتك المريـرة هى أن عشرين عاماً من الحب الصادق .. والعطاء المخلص والوفاء والتفانى فى إرضاء المحبوب إلى حد تدليله لا يمكن أن ترجحها أو تتكافأ معها علاقة لا يـزيد عمرها على أربعة شهور ويتخفى بها طـرفاهـا عن الآخرين .. لأنهما يعلمان قبل غيرهما أنها لا تلقى قبـول المجتمع ولا احترامه مهما تسمت من المسميات .

كما أن سعادة بيت صغير وزوجـة محبة ومشرفة لزوجها مثلـك وثلاثة أبنـاء وتـاريخا طويـلا من الحب والـذكـريات المشتركـة يجمعك بـزوجك لا يمكن أن تـوضع فى إحدى كفتى الميـزان مع سعادة سيـدة « مضحية » هجرت زوجها المسن وأبناءها الجامعيين جريا وراء نداء العاطفة والمغامرة بعد أربعة شهور فقط من تعرفها بفارسها الجديد .

وأغلب ظنى انها كانـت راغبة فى التخلص من حياتها الـزوجيةالسـابقة من قبل أن تلتقى بـزوجك بكثير وأنها قـد حـزمت أمرهـا فى ذلك منـذ زمن طـويل ،إذ ليس من المقبـول أن تتخـذ زوجة لمدة ٢٣ عـامـاً على الأقل وأم لأبنـاء شباب مثل هـذا القـرار المصيرى خلال بضعـة شـهـور فقط التقت خـلالها بفارس أحـلام جديـد مهما كـان سحره عليهـا أو جاذبيتـه وإنما الأقرب للعقل والمنطق هو أنها قد حزمت أمرها فيما يتعلق بحياتها الزوجية منذ زمن طويل وكانت تنتظر فقط من يعينهـا على تنفيذ قرارها الصعب هذا وحمايتها من الأهوال العائلية التى ستترتب عليه .

... يكن هناك أفضل من زوجك لكى يقوم بدور الحماية الضرورى هذا ...حتاج إليه ، فهو كما عـرفت من رسالتك يشغل وظيفة سيادية طلبت ...لا اشير إليهـا وهو بحكم عملـه قادر بـالفعل على حمايتها من انتقـام ...تها وأسرة زوجهـا منها بل ومن بطش أبنـائهـا بها أيضا بعـد الكارثـة ...ائلية التى تسببت لهم فيها ولقـد قام زوجك بدوره المطلوب خير قيام .. ...نه أخطأ الحسـاب فحمل نفسـه « تضحيـة » لا معنى لأن يتحملهـا ولا لأن يرى نفسـه مطالبـا بتقديـرها لها .. فـالأصح إنها هى المدينـة له ...حمايتها من بطـش ذويها وليس هو المدين لها « بـالتضحية الكبرى »كما يصور له غرور الرجل الذى يستريح دائما لفكرة تضحية المرأة من أجله .. ويجد فيها مبررا نفسيـا للإحسـاس بالجدارة والتميـز .. لكن الحقيقة غير ذلك للأسف فلقد كانت علاقتها بـه علاقة احتياج وحماية .. وليست علاقة حب عـاصف هدم فى أربعـة شهور بيتـا دام أكثر من عشرين عـاماً وكـان زوجك هـو الوسيلـة المثلى لتنفيـذ قـرارها الصعب بـالتخلص من حيـاتها الزوجية فماذا يبقيه عليها .. بعد أن أدى دوره خير أداء؟

وكيف يضعك وأنت الزوجة والأم والحب والعشرة والتاريخ المشترك مع هذه السيدة فى ميزان واحد ؟

لا ياسيـدتى إنها لا تستحق فعلا كما تقـولين ان ينهدم من أجلهـا بيتك وأحلام سعادتك وأمان أطفالك وأمانك .

أمـا « التضحيـة » التى يتحـدث عنهـا زوجك .. إذا كـان مـازال مصراً بغـرور الـرجل على استمراء الحديث عنهـا .. فإننى حتى لـو وافقتـه على اعتبارهـا كذلك .. فإنى أراهـا كافيـة وحدهـا لو أمعن التفكير فيهـا بجلاء وبصيرة لأن يزداد تمسكاً بك أنت وبأطفالك ولئـلا يعدل بك انسانة أخرى مهما كان شـأنها معه ففى رواية فـرنسية قديمة ، التقت زوجة فى الأربعين من عمرهـا لرجل ثرى فى الستين وأم لأربعـة أبناء بشاب وسيم فى الثـامنة والثلاثين من عمـره وزوج لزوجة شابـة مخلصة وأب لطفلين ، فتدلهت فى حبـه خلال وقت خـاطف ، واستجاب لها الـرجل الوسيم متأثـراً بجمالها وبوحدته العارضة خلال سفر زوجتـه وطفليه لزيارة أهلها وقررت الزوجة العاشقة أن تتخلص من حياتها الـزوجية لكى تهرب مع الشاب الوسيم إلى بلدة أخـرى ، وتركت رسالة لـزوجها بذلك تطلب منه فيهـا ألا يبحث عنها ورسالة أخرى لأكبر أبنائها ترجوه فيها أن يلتمس لها « العذر » فيما فعلت





وألا يكرهها هو واخوته .. ثم وافت عشيقها فى مكان اللقاء فى الموعد المحدد ليركبا معا عربة ؟ تحملهما إلى حياتهما الجديدة .

فإذا به يجىء إليهـا فى موعده .. ولكـن بلا حقيبة سفـر .. وبشخصية مختلفة عن شخصيته خلال الأيام الماضيـة ويطلب منها العودة إلى زوجها وأبنائهـا ونسيان عـلاقتهما العابرة فلقـد عادت زوجتـه وطفلاه إلى البيت فأفـاق من نزوته وأدرك عمـق الهاوية التى كاد يسقـط بها وازداد تمسكا بزوجته المخلصة وأسرته الصغيرة ..

وانهارت الـزوجة العـاشقة حتى كـادت تتداعى على الأرض وانهمـرت دمـوعهـا كالمطـر وراحت تـرجـوه وتتوسل إليـه وتستعطفـه ألا يتردد فى اقتناص السعادة المتاحـة لهما .. وألا يحطم قلبها .. وهو يصر على الرفض بحزم مهذب ..

ففقـدت الزوجـة الخائنة أعصـابها وثارت عليـه ثورة هـائلة واتهمتـه « بالغدر » و « الخسة » .. و « الخيانة » وقالت له بانفعال شديد :

— أتتخلى عنى بعـد أن « ضحيت » من أجلـك بـزوجى الـذى يحبنى ويحتـاج إلى رعـايتى وبأبنـائى الأربعة الـذين يحتـاجـوننى إلى جـوارهم فأجـابها بهدوء قـاتل : .. بل إننـى أتخلى عنك من أجل هـذه التضحيـة « المخيفـة » نفسهـا .. فمن تضحى بـزواج عمره ٢٠ عـامـاً وزوج محب يحتاج إليها فى شيخـوخته وأربعة أبناء من أجل رجل التقت بـه منذ أسابيع فقط لا أضمن عـدم تقلب مشاعـرها ولا إخـلاصها لى إذا التقت ذات يـوم قريب أو بعيد بمـن هو أكثر منى وسامة وأنضر شبـاباً .. ولست أثق فى أن مثل هذه السيدة تستحق أن أفقد زوجتى المخلصة وأعرض أطفالى للتعاسة من أجلها ؟

ثم استدار من حيث جاء وعاد بخطوات بطيئة واثقة إلى زوجته وطفليه !

وهكذا كـان ينبغى لزوجك أن يفعل ذلـك مع هذه السيدة حين عـرضت عليه « تضحيتها » المزعومة .

وهكذا ينبغى أن يفعل الآن تصحيحـا لهذا الخطأ .. وتفضيلا لـزوجته المخلصة وأبنائه الثلاثة .. وأمان أسرته واستقرارها .

أما مسئوليته عن حمايـة السيدة « المضحية » من أسرتها فيستطيع أن يقوم بها زملاؤه.. وبالقـانون.. وليس بهدم الأسر السعيدة الآمنة.. وشكرا.

أنا سيدة فى الخامسة والثلاثين من عمرى أعمل محاسبة بإحدى الهيئات تزوجت منذ عشر سنوات من شاب يكبرنى بخمس سنوات ويعمل بإحدى الهيئات السيادية وزوجى والحمد لله شاب فى منتهى الحيوية والشباب ولكنه كان قد أصيب قبل زواجنا بمرض ترك أثره عليه فى عدم قدرته على الانجاب فتقبلت أقدارى.. ورضيت عن حياتى وسعدت بها ولم يضايقنى شىء فيها سوى كثرة تغيبه بسبب عمله المستمر فى أماكن خارج القاهرة مما جعلنى وحيدة معظم أيام الشهر، وفى بداية حياتى معه لم أكن أشعر بالوحدة كثيرا — فقد كنا نقيم بشقة مؤقتة قريبة من أسرتى.. وكان أثاثنا بسيطا.. وحياتنا بسيطة فأكرمنا الله بعد خمس سنوات بتسلم زوجى لشقة مناسبة فى حى لائق وأصبح لدينا أثاث جميل وما نحتاج اليه من أجهزة وكماليات بفضل الحب.. وبفضل رغبتى فى تحسين مستوى معيشتى، فكنت أشترى هذه الأجهزة بالتقسيط من مرتبى، وأغير الأثاث بما أملك من بعض النقود كما ساعدت زوجى فى شراء سيارة. ووافقته بترحيب على أن يسجلها باسمه لكيلا أحرجه ولأنه أيضا اشترك فى ثمنها بمبلغ وأتكفل بمتطلباتى وأشترى كماليات البيت بإرادتى واختيارى ورغم أن زوجى لم يطالبنى قط بأى مبالغ مالية وهو ليس طماعا أبدا والحمد لله.. وقد، ساعدت نفسى على التغلب على مشكلة الوحدة وعدم وجود أطفال بتنمية هواياتى واستثمارها فيما يفيد ويزيد من دخلى وحققت فى ذلك نجاحا يسعدنى.. ومضت حياتى هادئة جميلة وزوجى الحبيب يغيب فى عمله البعيد ١٥ أو ٢٠ يوما، ثم يرجع فى أجازة لمدة ٥ أيام أو ٦ أيام فأنتظره فى لهفة وأستقبله بشوق بالغ فنقضى هذه الأيام القليلة معا لا نفترق.. وظل هذا شأننا حتى بداية الصيف الماضى حين لاحظت عليه فجأة كثرة خروجه بمفرده فى أيام الأجازة القليلة وبأعذار مختلفة رغم أنى قد حصلت من عملى على أجازة بدون مرتب لمدة عام لكى أتفرغ له حين يرجع فى اجازته كل الوقت ولأستريح من بعض ظروف العمل غير المواتية وفى إحدى المرات أراد توصيلى بالسيارة لبيت أسرتى وتركنى فيه لكى يذهب

بمفرده لزيارة صديق مريض.. فعرضت عليه أن أصحبه وأبقى بالسيارة إلى أن ينتهى من زيارته لصديقه لكى نتحدث خلال الطريق فرفض وحين ألححت عليه فى ذلك ثار وقال لى: أنت تخنقيننى، أريد أن أكون وحدى، فتركته يذهب لشأنه.. ومرت الحكاية بسلام إلى أن عاد للبيت ذات يوم وأنا أجلس فى الصالون مع بعض الضيوف.. فلمحت فى وجهه بمجرد دخوله بقعة حمراء ظننتها بقعة دم فسحبته من يده إلى غرفة النوم لكيلا يلاحظ الضيوف ما رأيت ومسحت له وجهه فإذا بالبقعة الحمراء أثر من أحمر شفاه، وتماسكت إلى أن انصرف الضيوف بسلام ثم تفرغت له وطلبت منه تفسيرا لما رأيت.. واختصارا للتفاصيل فلقد اعترف لى بعد مراوغات طويلة وعناء شديد بأنه قد تعرف منذ شهور بسيدة مطلقة ولديها طفلة وتعمل مبرمجة كمبيوتر بإحدى السفارات الأجنبية.. وأنه قد «تزوجها» أو «سيتزوجها» أو يريد أن «يتزوجها» ولا تعجب لهذا التخبط فلقد روى لى القصة فى نفس الليلة بشكل مختلف عدة مرات.

أما كيف تعرف بها فلقد حدث انه كان يركب سيارة العمل، فصدمته سيارة صغيرة تركبها سيدة ترتدى الشورت وبجوارها شاب كان يعلمها قيادة السيارات، فنزل زوجى غاضبا من سيارة العمل وطلب منها تعويضا لإصلاح سيارة العمل حتى لا يتحمله السائق اذا لم تفعل، فأعطته ٣٠٠ جنيه وحصل منها على بطاقة باسمها وعنوانها لكى يرد اليها باقى المبلغ اذا تكلف الاصلاح أقل.. وكان زوجى الذى روى لى القصة وقتها فخورا بما فعل معها بهدف أن يعلمها عدم الاستهتار بأرواح البشر، وتم اصلاح السيارة وتبقى من قيمة التعويض مبلغ فسألنى زوجى كيف يعيده اليها فأشرت عليه ان يكلف السائق بإعادته لها لكنه أصر على أن يذهب بنفسه لإعادة المبلغ المتبقى فكانت بداية القصة!

ولست فى حاجة لأن أقول لك أننى حزنت أو صدمت.. أو تزلزل كيانى.. وطالبت زوجى بقطع أية صلة له بهذه السيدة.. ولقد فعلت كل ذلك ووعدنى بأن يفعل.. وقال لى بعد أيام أنه قد قطع كل صلة له بها ولم يعد يتصل بها لكن الشك فى صدرى لم يهدأ.. مع تضارب كلامه ووعوده.. فقررت أن أقطع الشك باليقين.. وأخرجت رقم التليفون الذى احتفظت به حين رأيته على بطاقتها القديمة واتصلت بها وطلبت مقابلتها ورحبت هى وحددت لى موعدا فى كافيتريا أحد الفنادق وخرجت لمقابلتها لأعرف منها

مدى ما وصلت اليه علاقتها بـزوجي فالتقت بى وهى خائفة منى فى البداية لكنهـا اطمأنت إلى أنى مسـالمة ولا أريـد فضحهـا.. كما أنى أتحدث معهـا بهدوء واحترام وأدب فتمالكت نفسهـا وقـالت لى أن زوجي يحبنى ولا ينفك عن الإشادة بى فى حديثـه معها.. وهذا ما أعجبها فيه فضـلا عن أنه متدين ويكـره الحرام ولهذا فقد ارتبطت بـه ولم تتم بعـد خطبة بينهما لكنهما قـد اتفقا على الزواج من ناحية المبدأ مع استمرارى على ذمته بإذن الله! وشكرت لها «كرمها» بقبولها استمرارى على ذمـة زوجي بعد زواجها المرتقب منه فى القريب وتحدثنـا ثلاث سـاعات كاملـة.. وخرجنـا من الفندق وتصـافحنا بـاحترام كأى صديقتين ورأسى يـدور مما سمعتـه ورجعت الى زوجي بما سمعت وعرفت ونـاقشته فيه وراوغنى.. وجـدد وعوده بالانقطـاع عن هذه السيدة.. لكنـه وياللغـرابة يطالبنى بعـدم الضغط عليه بشـدة لإنهاء هذه القصة على الفـور لأنها لن تنتهى دفعة واحدة وانما يستغـرق الأمر بعض الوقت ولابد لى من الصبر عليه حتى تنتهى نهاية طبيعية هادئة!

وهو يـؤكد لى كل يوم أنـه يحبنى وأكبر دليل على ذلك أنه لم يتـزوج هذه السيدة مراعـاة لى وان كنت أنا المخطئة فى موقفى هذا لأنـه كان يتوقع منى أن أتحمل وأضحى من أجلـه وأتـركـه يخوض تجربتـه معهـا للنهـايـة ويتزوجهـا ولا اعتراض من جانبى ولن أخسر شيئـا فى النهايـة ذلك أنه اذا أثبتت العشرة أنها سيدة طيبـة وممتازة فلقد كسبنا «أختـا» جديدة لى، واذا كشفت التجربة انها سيدة سيئة فسيطلقها.. ولن نخسر شيئا!

أمـا لماذا كـان ينبغى على أن «أتحمـل» و«أضحى».. فلكيـلا يعيش و«فى نفسه شىء» و«تمناه» ولم يستطع تحقيقـه «بسببى» وهذا هو منطقه والله العظيم ولا أعرف هل هو مقتنع حقا بما يقولـه لى أم أنه يتظاهر بذلك ليبرر لى رغبته اعتمادا على حبى الشديد له؟

أمـا «الأخرى» فلم أجـد فيها حين التقيت بها شيئـا غير عادى فى شكلهـا ولا ملابسها ولا اكسسوارهـا سـوى أنها ارتدت يوم مقابلتى لها البنطلون الضيق وجاءت وشعـرها مصبوغ صباغـة فجة، وركبت بعد انتهـاء اللقاء «المينى باص» أى أنه لا سيارة هناك.. ولا جمال بـاهر ولا شىء مما قاله لى زوجي عنها فى حين اننى محجبة ولا أدعى كذبـا اذا قلت أننى جميلة بدرجة معقولة جـدا والحمدلله. وقد بدأت الأخرى تتصل بشقيقـة زوجي المتعاطفة معى وتطلب منهـا أن يحسم «زوجي»الأمـر معها.. حتى لا تظل معلقـة الى

النهايـة. وحتى لو أصررت على مـوقفى، وانتهى الأمر بطـلاقى فهى قادرة بشخصيتها السـاحرة وعطـائها الـدافق أن تعوضـه عنى وتنسيـه أحزان الماضى ولا خـوف على حقـوقى فهى محفـوظـة بإذن الله وسـوف يترك لى زوجي الشقة، ويعيش فى شقة أخرى ورثها مؤخرا فى حى آخر.

أما زوجي فهو يتراوح بين التمسك الشديـد بى.. والبكاء بين يدى بحرارة اذا أحس بأننى سأتـركه وأعـود إلى أسرتى، وبين إشعارى بأننى «أنـانية» ولا أريـد أن أضحى من أجلـه وأوافق على أن يتزوج هـذه السيـدة ونعيش جميعا فى ثبات ونبات. أخوة متحابين متراضين!

اننى أكاد افقد عقلى ممـا أسمع من زوجي.. ومن شكى فيه انه يلتقى بها كلما خـرج وحده ويفتعل الأسبـاب لكيـلا أصاحبـه.. وقـد انتقل للعمل فى القاهرة منذ شهور فـاتسعت دائرة الشك والحيرة فى حياتى الى ما لا نهاية فبماذا تنصحنى أن افعل يـا سيـدى؟ هل أتـرك زوجي لهذه السيـدة لكى تأخذ كل ما بنيتـه بالعرق والحب والدموع.. وتأخذ الانسـان الوحيد الذى أحببته بصدق واخـلاص لا لشىء إلا لأنها تريد أن تتزوج مـرة أخرى بعد طلاقها من زوجهـا الأول الذى طلبت منه الطلاق لأنه ليس طمـوحا مثلها! وهل اذا تركته سيعوضنى الله عنه بإنسـان آخر أحبه وبحياة أسرية أخرى بعد أن حـرمت من أمومتى طـوال عشر سنوات؟ اننى لم أتـرك زوجي وأنا شابـة صغيرة فى بداية زواجى لكى أتزوج غيره وأنجب أطفـالا يملأون على حيـاتى ورضيت بما أراده لى الله وتحملت كل شـىء بـدافع حبى لـه.. فهل أتركه الآن وقد بلغت الخامسة والثلاثين من عمرى؟

وهل من العـدل أنه بدلا من أن يقـدر لى زوجي حبى له وتضحيـاتى من أجله أن يجيئنى ليقـول لى ببسـاطـة أنه قـد عرف امـرأة أخرى ويـريد أن يتزوجهـا مع احتفاظـه بى مع أنه ليس محرومـا من شىء فى حياتـه معى. ويؤكد لى كل يـوم أنه يحبنى لكنه يزعم أن قلوب الـرجال تختلف عن قلوب النساء لأنها يمكن أن تتسع لحب أكثر من واحدة فى نفس الوقت!

وهل هذا صحيح حقا يا سيدى؟

وهل من العدل أن أمـلأ بنقودى خزان السيـارة بالبنزين.. لتركبهـا معه سيدة فـاشلة فى حياتها الخاصـة ومستهترة، تقضى معه أوقـاتها بدلا من أن تقضيها مع طفلتهـا الصغيرة؟ ان زوجي سعيد للغايـة بانها قد وافقت عليه كـزوج رغم أنه صـارحها بعدم قـدرته على الانجـاب.. ولا يصدق أن

هناك امرأة قد قبلت به مع ظروفه هذه مع أن سبب القبول واضح وهى أن لديها طفلة وليست فى حاجة لمزيد من الأطفال فما وجه التضحية فى ذلك؟

لقد أحببت زوجى كثيرا وحاولت دائما أن أكون أفضل زوجة فى الوجود وأن أكون له الزوجة المحبة المطيعة وفعلت أشياء كثيرة لا تفعلها سيدات أخريات حولى ولم أرهق زوجى بأية مطالب فى الحياة ذات يوم وقدمت له كل شىء وسهلت عليه كل شىء فاستسهل أيضا كل شىء حتى المشاعر الثمينة.. فهل ذلك هو ثمن الحب والعطاء. وماذا تقول لى؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لا شىء يعدل غرور الانسان وذاتيته فى بعض الأحيان! فهل يرى نفسه دائما جديرا بأفضل الأشياء، فاذا حالت بينه وبينها حوائل العرف والعدل وحقوق الآخرين عليه.. لم يتورع فى بعض الأحيان عن أن يستخدم الأساليب الميكيافيلية فى لىّ الحقائق ليسوغ المنطق المعكوس لنفسه وللآخرين لتحقيق رغباته وأهوائه.. وقد يتمادى أكثر من ذلك فيصر أيضا ليس فقط على قبول الآخرين راغمين أو كارهين لرغباته وانما أيضا على «مباركتهم» لها.. و«ابتهاجهم» بها .

وهذا بالضبط هو ما يحاول أن يفعله معك زوجك الآن يا سيدتى حين يلومك على «بخلك» عليه بهذه «التضحية البسيطة» التى كان يتوقعها منك فتبتهجين للأنباء السارة وتتركينه ليتزوج من الأخرى فإذا كانت زوجة طيبة فلقد كسبت «أختا» عزيزة جديدة، وإذا لم تكن كذلك فلسوف يطلقها فى هدوء وبلا خسائر نفسية ولا معنوية لأحد ولا عجب فى مثل هذا المنطق الغريب.. «فكل ما يتفق مع رغباتنا وأهوائنا يبدو فى نظرنا ـ نحن ـ حكيما ومعقولا» كما يقول الأديب الفرنسى أندريه موروا.

ورغم تقديرى لما فى منطق زوجك من «حكمة» و«عدل» فإننى أقول لك أن «الظروف» التى قد يستند اليها زوج فى مطالبة زوجته بألا تبخل عليه بمثل هذه التضحية حتى ولو كرهتها فى أعماقها ليست متوافرة بأى حال من الأحوال فى حالتك وبالتالى فإن اتهامك بالأنانية وعدم التضحية من أجل زوجك ليس فى حقيقة الأمر سوى إسقاط نفسى من زوجك عليك يدفع به عن نفسه تهمة الذاتية والأنانية هذه فلست أنت الزوجة المحرومة من الانجاب وهو الزوج القادر عليه فيتلهف لأن يتزوج أخرى تحقق له أمل الأبوة ويرجوك أن تتنازلى عن مشاعرك الشخصية ارضاء له ولا أنت

...وجة المريضة العاجزة عن تلبية احتياجاته العاطفية والانسانية ...مس ما ينقصه فيك لدى غيرك، ولا أنت الزوجة الكارهة أو المكروهة ... تنغص عليه حياته وتسومه سوء العذاب لكنه يتحمل عناء حياته معك يهدم أسرته ويمزق أطفاله بينكما.. فيهفو قلبه الى نسائم السعادة ...حب مع أخرى ويطالبك بقبول الأمر الواقع كخيار بديل للطلاق!

فبأى منطق يبرر زوجك مطالبته لك بهذه «التضحية» المضحكة وهو ...ذى يتمسك بك ولا يتخيل امكانية انفصالك عنه، وينهار باكيا اذا أحس ...قرب نفاد صبرك عليه؟

وبأى منطق يحاول اقناعك بأن قلوب الرجال تختلف عن قلوب النساء فتتسع لحب أكثر من امرأة فى نفس الوقت وبنفس الدرجة من المشاعر والأحاسيس؟ يا سيدتى انها مغالطة فاضحة لا أتصور أن يكون جادا فى الاقتناع بها، فقلوب الرجال كقلوب النساء لا تتسع فى الوقت الواحد إلا لحب حقيقى واحد حتى وإن حملت بعض المودة لغيره. والحب طائر شديد الأنانية لا يقبل شراكة أحد فى نفس اللحظة.. ولا نفس المرحلة من العمر.

ومشكلتك هذه ما كان أسهل على زوجك من حلها لو واجه نفسه بصراحة وشجاعة نفسية، فسألها: هل يحبك حقا كما يؤكد لك أم لا يحبك؟ فإذا كان الجواب بالايجاب فلا مجال لأى مناقشة فى هذا الموضوع العجيب.. واذا كان الجواب بالنفى فليتصرف وفقا لما يراه محققا لسعادته ومحققا للعدل معك ذلك أن أسوأ حقيقة خير لنا من أجمل زيف ونصف شقاء الانسان دائما يرجع فى تقديرى إلى عجزه عن مواجهة مشاكله بواقعية وشجاعة نفسية وأدبية بغير لىّ للحقائق، وبغير الاصرار على أسلوب «حرب الخنادق» التى تطيل معاناته وتعذبه برغائب لا تتحقق.. ولا يتنازل عنها فى نفس الوقت. ففى حرب الخنادق يقف كل طرف فى موقع ثابت ويطالب الآخر بالاستسلام لمطالبه والقبول بها.. فتمضى السنوات وكل طرف عند موقفه لا يغادره ولا يتنازل فى نفس الوقت عن مطالبه مكتفيا بانتظار تهاوى الطرف الآخر وتسليمه برغباته.. ومتكبدا طوال ذلك المعاناة النفسية والآلام !

ولا حل لمثل هذا العذاب سوى أن نتعلم فى بعض مواقف حياتنا المصيرية استخدام هذه القاعدة البسيطة فى التعامل والتى تترجمها هذه العبارة الأمريكية الشائعة خذها.. أو اتركها!

بمعنى أنه إما أن تقبل بما هو معروض عليك وترضى عنه وتكيف

حيـــاتك وفقا له.. واما أن ترفضه وتتحمل تبعات ذلك وتوائم حياتك معها. أما أن تـرفض القبول بالمعـروض وترفض التخلى عنـه فى نفس الوقت لانك تصر على تطويع هذا المعروض لرغباتـك.. فلا معنى له إلا استمرار المعاناة لجميع أطراف المشكلة..

لهذا فلست أرى لك أن تتنـازلى عن زوجك لأخرى ليس لها فيـه بعض ما لك عليـه من حقـوق ولا أرى لك بالطبـع قبول شراكتهـا معك فيـه.. لكنى أطالبك فى نفس الوقت بأن تحددى موعدا نهائيا وعادلا لوضع نهاية لعذاب حرب الخنادق التى لا تحسم موقفا.. ولا نصر فيها ولا هزيمة.

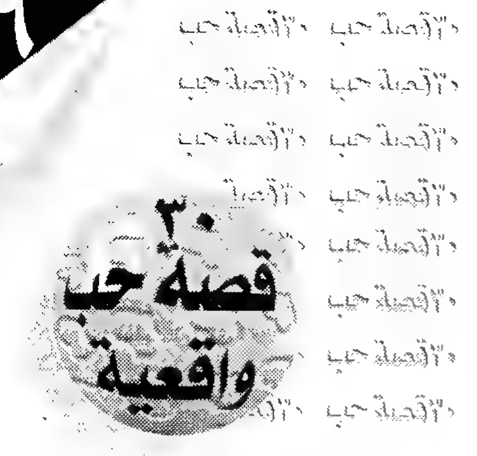
ولأنى استشعر حبك لزوجك وشدة رغبتك فيـه فإنى اطالبـك بإعطائه مهلة أخيرة يثوب فيها الى نفسـه ويخرج من خندقه فيكتفى بك ويطرح عن رأسه هـذه الخزعبلات التى يحاول اقناعك بها، أو يـواجه نفسه بشجـاعة وأمانة ويتصرف معك وفقا لما تمليه عليه هذه الأمانة.

فإذا كان قـد سعد بتنازع امرأتين عليـه بعض الوقت.. فيكفيه مـا أحسه من « انتشـــاء » حتى الآن بسبـب ذلك ولا يجوز لـــه أن يطـالب الاثنتين بـاستمـرار «الـروايـة» أكثـر من ذلك، وان كنت لا أرى أى مبرر للنشـوة والانتشاء.. اذ لا يعدم أى رجل مهما كان شانه أن يجد ذات يوم من ترغب فيه ولا تعـدم أية امـرأة مهما كان شأنها أن تجد طـامعا فيهـا، وما أسهل الضعف والخطأ على ذوى الإرادة الضعيفـة.. ومـا أسهل الترفع عنـه على ذوى النفـوس الكبيرة، وأكبر الكـوارث انما تبدأ دائما بـالأخطـاء الصغيرة لهذا يقـول لنا الشـاعر الانجليـزى وليم بليك انه من الأفضل لنـا أن نقتل مولودا فى المهد من أن نربى رغبات وأهواء لا نستطيع تحقيقها.

وزوجك لم يقتل المولود فى المهـد للأسف.. لهذا فهو يواجـه الآن موقف من ربى رغبـة مستحيلـة لا يستطيع تحقيقهـا.. وبـدلا من أن يـرجع عن خيانته للحب والوفاء ويندم عليها ويعتذر عنها راح يطالبك بمساعدته على تحقيقها بقبـولك زواجه من الأخرى مع استمرارك معـه، لأنه لا يحتمل أن يفقـدك ويضحى بك لتحقيق رغبتـه، ولا يحتمل أن يضحى بهذه الـرغبـة لسبب «رهيب» هو أنـه لا يريد أن يعيـش حياته معك وهـو ينطوى لك على احساس باللـوم أن كانت له ذات يوم «رغبـة صغيرة» فى امرأة أخرى لكنك بأنانيتك فى الحب ـ يا للقسوة ـ قد حرمته منها!

وصدق سبحـانه إذ قال: واذا أنعمنا على الانســان أعرض ونأى بجانبه.. واذا مسه الشر فذو دعاء عريض».

٢٦



الحافة الخطيرة



أنا شابة عمرى ٢٥ عاما حصلت على شهادتى الجامعية من احدى كليات القمة وعملت عملا حكوميا جيدا، وظروفى المادية لابأس بها ولى سيارة صغيرة لكنى لست سعيدة فى حياتى يا سيدى فأبى رحمه الله قد توفى منذ حوالى عشر سنوات.. وبعد رحيله عن الحياة مرضت أمى وعانت فى مرضها كثيرا وعانيت من أجلها كثيرا، فقد كنت أتألم لآلامها ولا أحتمل الحياة حين تشتد عليها آلام المرض ثم ساءت حالتها الصحية وتدهورت كثيرا حتى لقيت وجه ربها منذ حوالى سنة.. ومنذ رحيل أمى عن الحياة لم يبق لى أحد فيها، وأصبت بحالة اكتئاب شديدة وفقدت رغبتى فى الحياة، فأنا أعيش فى مسكن الأسرة مع شقيق يصغرنى ويدرس بكليته وله مشاغله الدراسية وأصدقاؤه وحياته.. فأذهب إلى عملى فى الصباح وأعود إلى مسكنى فى العصر فلا أجد شقيقى لأنه فى كليته أو مع أصدقائه.. وأظل أتجول فى حجرات الشقة، التى طالما شهدت صور حياتنا العائلية حين كان أبى على قيد الحياة وأمى تتمتع بصحتها.. وأنا وشقيقى طفلان نتمتع بحب أبوينا ورعايتهما. فأخرج من حجرة الى أخرى ـ ولا أجد إلا الصمت الموحش والفراغ، وأجلس أمام التليفزيون فلا أرى ما يعرضه. ولا أتابع ما أسمعه، وأدخل إلى فراشى ولما يعد شقيقى بعد فتتناوبنى المخاوف. والهواجس.. ويشرد النوم بعيدا عنى.

ومنذ عامين تعرفت فى عملى بشاب طيب فتبادلنا الاعجاب الصامت لفترة طويلة ثم تطور الاعجاب الى حب عميق لكنه لم يتطور فى طريق الزواج لأن امكانياته المادية ضعيفة.. ولم يستطع أن يقدم لى شبكة فالتقى بأخ أكبر لى يعيش فى مسكن مستقل مع أسرته وشرح له ظروفه ونيته فى خطبتى بعد أن تتوافر له الامكانيات اللازمة، ثم سافر للعمل فى إحدى الدول العربية منذ شهور فخلت علىَّ الدنيا تماما.. ولم يعد يربطنى بالحياة إلا خطاباته ومكالماته التليفونية كل بضعة أيام.

وقد ساءت ظروفى النفسية كثيرا بعد سفره.. واشتد افتقادى لأمى

الحبيبة التى كنت أحكى لها عن كل شىء فى حياتى وتشاركنى همومى وتشير على بالرأى السديد فيما يشغلنى.

فأصبحت أمنيتى الوحيدة فى الحياة الان هى أن يعود فتاى من سفره ويستقر فى مصر مؤقتا ويعمل ونتزوج هنا فى شقتى وهى شقة صغيرة مناسبة بصفة مؤقتة، ثم نسافر بعد ذلك معا إلى أى مكان يتاح له العمل فيه، فأنا مستعدة لأن أعيش معه حتى ولو فى الصين — لكن المشكلة هى أن فتاى كأى رجل شرقى يريد أن يكون قادرا على شراء شقة للزواج ومقتنعا تماما بأن الخلافات بين أى زوجين انما ترجع أساسا إلى الأسباب المادية، ويريد أن يوفر الامكانيات المادية التى تضمن الاستقرار لحياتنا، وقد فشلت فى ان اقنعه بأن خلافات أى زوجين لا ترجع أساسا للأسباب المادية وإنما لعدم التفاهم وعدم الانسجام.

وهو الآن ظروفه غير مستقرة فى الدولة التى يعمل بها ولا يستطيع استقدامى اليها ويخطط لأن يبحث عن عمل أفضل فى دولة أخرى بعد أن ينتهى عقده بعد أربعة شهور وأنا أعرف جيدا أن الزواج يتطلب استعدادات كثيرة لكنى لا آبه بهذه الشكليات.. وأعرف أن ظروفى معه أفضل كثيرا من ظروف شباب آخرين.. فلدينا على الأقل شقتى التى نستطيع أن نعيش فيها مؤقتا.. لكنى أخشى أن يرفض مطلبى منه بالعودة بعد أربعة شهور لنتزوج ويستقر مؤقتا فى مصر يعمل بعض الوقت هنا ولن يتعذر عليه ذلك إلى أن يجد عملا بالخارج يستطيع أن يصطحبنى معه فيه.

إننى لا أريد أن أكون أنانية وأحرمه من حقه فى أن يبنى حياته.. لكنى لا أستطيع ايضا أن أتحمل وحدتى هذه أكثر من ذلك.. ففى كل يوم أعود إلى سكنى فلا أجد فيه سوى الفراغ والحزن والذكريات الأليمة وكل ما اريده هو أن أكون معه هنا أو هناك فهل أطلب منه تضحية كبيرة حين أطلب منه أن نعيش مؤقتا فى شقتى الصغيرة إلى أن تتحسن أحواله؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لا يا آنستى ليست تضحية كبيرة ولا صغيرة أن تطلبى منه أن يعود لمصر بعد نهاية عقده الذى لن يجدده ليرجع إلى عمله السابق ويتزوجك

ويقيم معك فى شقتك الصغيرة بضعة شهور إلى أن يجد فرصة أفضل فى دولة أخرى كما يريد لنفسه ويحلم، بل انها عطاء منك ينبغى له أن يقدره لك ويزداد تمسكا بك واعتزازا، ولا يتعارض قبوله لعطاء الحب هذا مع رجولته ومسئوليته عنك مادام لن يستنيم إلى هذا الوضع وتخمد جذوة الكفاح داخله وإنما سيواصل كفاحه فى الحياة ليبنى نفسه ويشترى الشقة التى يريدها ويتكفل بكل مسئوليته عنك..

وهذا هو الفارق بين قبول عطاء الحب مؤقتا للاستعانة به على الظروف الصعبة وبين الاعتماد عليه وحتى النهاية.. وهو فى كل الأحوال لم يكن ليجدد عقده بالدولة التى يعمل بها وظروفه بها ليست مستقرة ولا تسمح له باستدعائك اليها.. ولهذا يتطلع للانتقال إلى دولة أخرى بعد نهاية عقده إذا أتيح له ذلك.. وهو أمر غير مؤكد.. وحتى لو كان متاحا ومؤكدا فماذا يمنع أن تكون محطته القادمة هى القاهرة وأن يطول توقفه بها شهورا قبل أن يعود لمواصلة كفاحه فى الحياة، لكى يجتمع شملكما ويبعد عنك شبح القلق والتعاسة والاكتئاب؟

إن زواجه منك لن يعترض طريق طموحه لبناء حياته بل ربما يسره له وأعانه عليه.. فالاستقرار العاطفى والعائلى من أهم أسباب النجاح فى الحياة.. والزوجة المحبة المخلصة مثلك قوة دافعة للأمام.. وليس إلى الخلف..

وهناك أولويات لأهداف الانسان ينبغى الا يغيب عنه مراعاتها حرصا على من يهمه أمرهم واستشعارا لأهميتها التنازلية.. حتى لا ينشغل بأهداف لا يعوضه تحقيقها عما خسره من أهداف أخرى لا تعوض . فات أوان الحرص عليها.. فأنت فى حاجة نفسية وانسانية حرجة إلى اتمام زواجكما فى أقرب فرصة.

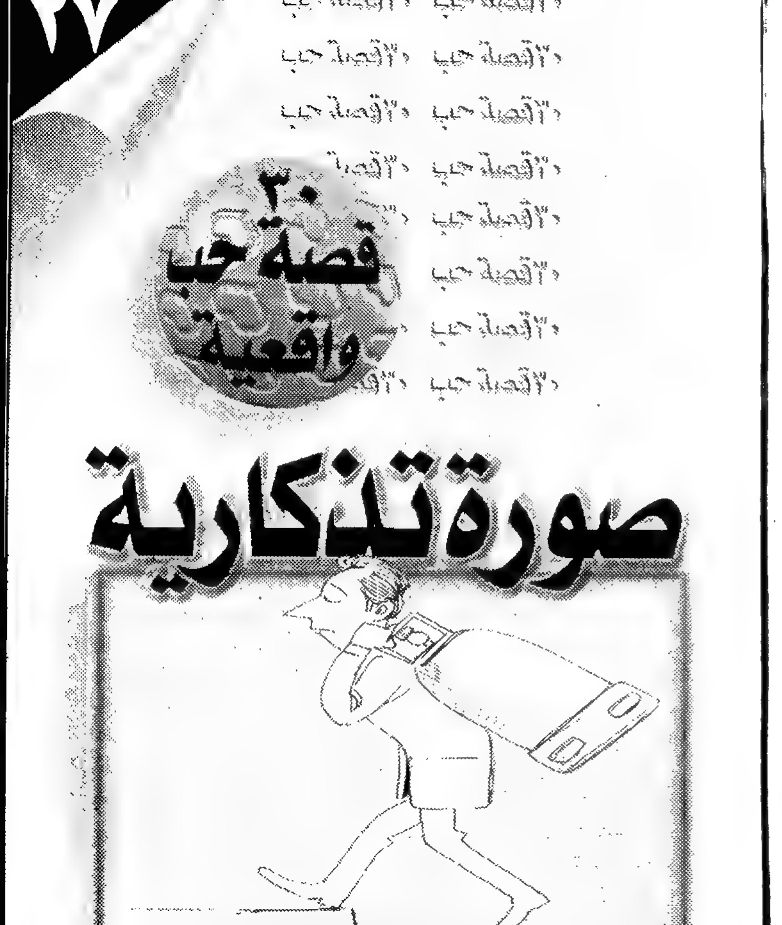
ولو لم يتحقق هذا الهدف فى الوقت الملائم فإن خسائرك النفسية لا يمكن تعويضها بسهولة أو خلال وقت قصير فأنت بصراحة تقفين على حافة الاكتئاب الخطيرة.. وظروف وحدتك وأحزانك وافتقادك لصدر الأم الحنون.. ورعاية الأب.. وخلو الدنيا عليك ترشحك كلها لمضاعفات نفسية لا يمكن تداركها بسهولة.

فى حين أن فتاك إذا رجع وتزوجك.. وتأخر حتى فى تنفيذ خطته للعمل فى دولة أخرى بضعة شهور أو عاما، فإن كل ما يخسره من جراء ذلك يستطيع تعويضه بكفاحه وشبابه.. بلا عناء كبير.. والانسان يستطيع دائما أن يعوض خسائره المادية لكنه لا يستطيع فى أحيان كثيرة أن يعوض خسائره النفسية بغير أن يدفع ثمنا باهظا من سعادته وسلامه. وهذا هو ما أقصده بالاولويات الجديدة بالاهتمام، فظروفكما المادية ليست حرجة بالقدر الذى يعجز كما عن بدء حياتكما والتعاون معا لاستكمال ما ينقصها خلال رحلة الحياة، لكن ظروفك النفسية هى الحرجة فعلا.. وهى الأجدر بأن يضعها فى مقدمة أولوياته إذ لن يستفيد شيئا لو كسب الدنيا كلها وخسرك.. إذا سقطت لا قدر الله فى بئر الاكتئاب، فإذا كان مقتنعا بأن الأسباب المادية وحدها هى المسئولة عن الخلافات بين أى زوجين فليعلم إذن أن لها أهميتها بالفعل فى تيسير الحياة وتجنب أسباب المشاكل، لكنها وحدها لم تخلق يوما السعادة.. ولم تصنع الحب.. ولم تؤمن حياة زوجية ضد أسباب التعاسة.. والشقاق. والنزاع. فالحب الصادق والتفاهم المتبادل أكبر أثرا فى ذلك يا آنستى كما تؤمنين حقا وصدقا مع عدم إغفال أهمية الجوانب المادية فى تيسير الحياة.

فاطلبى منه بلا تردد أن يرجع إلى القاهرة بعد نهاية عقده واعرضى عليه عرضك الكريم بأن تتزوجا على الفور فى مسكنك إلى أن يتاح له بكفاحه الشريف فى الحياة أن ينقلك إلى مسكنه الذى سيشتريه لك بثمار كده وعرقه فى أقرب فرصة.

وتماسكى أنت قليلا يا آنستى خلال فترة الانتظار والفراق حتى لا تعينى عليك أسباب الاكتئاب، ففراق المحبين رغم آلامه ليس شرا كله، والحكيم الفرنسى لارو شفكو يقول لك: ان النسمة الخفيفة التى تطفىء الشمعة هى نفسها التى تُذكى النار .. وكذلك الفراق فإنه يقتل الحب التافه. ويغذى الحب العظيم.

مع تمنياتى لك بالسعادة.. والأمان.


٣٠ قصة حب واقعية
صورة تذكارية

أكتب لك يا سيدى فى احدى مناسبـاتى العائلية لأحكى لك قصتى. فمنذ سنوات طويلة كان أبى موظفا بسيطا بالحكومة تزوج من أمى وانجب منها ابنتين وولدا هو انا، وقبل أن أتم عامى الثـانى رحلت أمى عن عالمنا فتزوج أبى بعد فترة من سيـدة ريفية بسيطة أنجبت له ٥ بنـات فى ٥ سنين وهكذا وجدت نفسـى حين بلغت سن الصبا ولـدا وحيدا على سبع فتيـات ووجدت أسرتى المكونـة من عشرة أفراد تعيش فى شقة صغيرة من حجرتين وصـالة تغـالب قسوة الظـروف وقلـة الدخـل، وحين تزوجت أختى الكبرى كـادت الأسرة تتـوقف عن الحيـاة من التقشف ووطأة التكـاليف، ثم أحيل أبى إلى المعاش بعـدها بعـام واحد فـانخفض الدخل إلى حـوالى النصف وأصبحت الحياة أشد مرارة.

ورغم قلة الـدخل وكثرة الأعبـاء فلقد كـان أبى مصمما على تعليم أبنائه ليجدوا لأنفسـهم موطـىء قدم فى زحام الحياة، ولم تكن ظروفنـا تسمح لنا بترف الرسـوب فى المدرسة فواصلنـا تعليمنا تحت ضغط ظـروف لا ترحم حتى حصلت على الثانـوية العامـة بمجموع كبير رشحنى للالتحـاق بكلية الطب، وهنـا توقفت قليـلا لأفكـر.. كلية الطب؟ ومن أين لى بنفقـات الكتب والـدروس الخصـوصيـة فيهـا. وهل أستطيع أن أعتمـد فيهـا على نفسى وحـدها كما اعتمـدت عليها فى المراحل السـابقـة، وأقنعت نفسى بعد جهـد بأنى أستطيع ذلك فعـلا فالتحقت بكليـة الطب فى مدينتى السـاحلية، لكنى اكتشفت بعـد قليل كذب أوهـامى، فلم أستطع الحصـول على بعض الكتب حتى نهايـة السنة.. وتعـذرت علىّ متـابعة بعض العلـوم بـدون مساعـدة خارجيـة، ولم أجد مليما واحـدا لأدفعه ثمنـا لدرس خصـوصى فضلا عما وجـدت نفسى فيـه من غـربـة داخل مجتمع الكليـة بمظهـرى البـائس وبملابسى التى يرجع تاريخ بعضها إلى المرحلة الاعدادية، وهكذا رسبت فى أول سنة لى فيها رسوبا فاحشا، وانطـويت على نفسى حزينا لمدة ثلاثة أيام أشفق خلالها أبى وأخـواتى علىّ فلم يلمنى أحد، وبعد تفكير طـويل وجدت

اننى أحتـاج لكى أنجح فى الدراسـة إلى العمل لكى أوفـر لنفسـى ثمن الكتب وبحيث لا يـؤثـر عملى على دراستى فبـدأت من شهـور الصيف أعمل وأستذكـر دروسى معا، وكان العمل الـذى اخترته بسيطـا للغاية وقد بدأ بثلاثة جنيهات اقترضتهـا من أبى، فصحوت ذات يوم فى الفجر وذهبت إلى منطقة الملاحات واشتريت من الصيادين «شروة» سمك بساريا وضعتها فى كيس كبير ورحت أطوف على بيوت الأحياء القريبة لأبيعها بالقطاعى للأسر لتستخدمها كطعام للبط والدجاج ولم يسفر اليوم الأول عن ربح يُذكر، وفى اليوم الثـانى شكوت للصيـاد الذى اشتريت منـه بالأمس ذلك وشرحـت له ظروفى فقال لى متألما انـه ظن أنى اشتريت السمك لأسرتى فأعطانى السمك بسعر المستهلك، لكنى مـادمت أشتريه كـوسيلة للـرزق فسوف يخفض لى السعر ويوصى زمـلاءه أيضا بذلك، وأعطانى فى هـذا اليوم السمك بنصف سعر الأمس تقريبا، وهكذا بـدأت رحلتى «كتاجر» سمك صغير على باب الله وبعد أسبوع رددت لأبى القـرض الذى اقترضته منه وبعـد شهرين آخرين بدأت أمد أسرتى ببعض القروش الصغيرة، وجـاء العام الدراسى وانتظمت فى الـدراسـة ولم يتغير فى نظامى شـىء سوى أن أعـود للبيت فى الصبـاح لأبدل مـلابس بائع السمك بمـلابس طالب الطب وان كـانت لا تكاد تفترق كثيرا عنهـا! ثم أذهب إلى الكليـة.. ونجحت فى السنة الاعـداديـة بصعوبـة، وفشلت فى السنــة الأولى ثم نجحت فى العــام التــالى ولحقت بى إحــدى شقيقاتى فى نفس الكليـة وأنا مازلت فى السنـة الثانية، ووجدت عـائد المهنة لا يسعفنى كثيرا فضلا عن طول المشـوار إلى الملاحات فى الفجر وقررت أن ابحث عن عمل آخـر أكثـر إيـرادا، وذات يـوم كنت عـائدا من مشـوارى الصبـاحى فوجـدت أمامى مخزنـا لأنـابيب البوتـاجاز والعمال يضعـون الأنـابيب على عربـات ترولـلى صغيرة وينصرفـون بها. وبلا تفكير وجدت نفسى أتقدم إلى صـاحب المخزن وأسـالـه عما إذا كان يريـد عاملا جـديدا فتفحصنى برهـة ثم قال لى: من أنت يـا ابنى؟ فعرفته بنفسـى وأخـرجت له بطـاقتى الشخصية وبطـاقة الكليـة فتفحصهـا باستغـراب ثم قال لى انـه لا يستخدم إلا من يعـرفه شخصيا من العمال لانـه يسلم كلا منهم عـربة ترولـلى ويضـع انـابيب لذلك فهـو يخاطر إذا فعل ذلك معى، لكنـه رغم ذلك يتوسم فىّ الأمـانة وسوف يستخـدمنى ابتداء من الغـد «ورزقى ورزقه على

الله » ! .. فاندفعت أصافحه بشدة وأهز يده وأشكره من كل قلبي.

وفي صباح اليوم التالي كنت أقف أمام باب المخزن أنتظره حتى جاء، وجاءت عربة البوتاجاز ووزع على كل منا نصيبه ورحت أدفع الترولي أمامي وأطوف على البيوت بعد أن حدد لي المنطقة التي أعمل بها فأدخل أول عمارة وأطرق بالمفك على الأنابيب، فتفتح أبواب الشقق ويجيء النداء فأحمل الأنبوبة على كتفي وأصعد للشقة وأتولى فك الأنبوبة الفارغة وتركيب الجديدة وأقبض الثمن وأنزل وتفرغ حمولة الترولي فأعود مسرعا إلى المخزن لأحضر حمولة جديدة وهكذا واستمررت في هذا العمل أربع سنوات تحسنت خلالها ظروفي وظروف الأسرة قليلا فاشتريت الكتب لكن مظهري لم يتحسن بل ربما ساء رغم انى كنت أحرص على ارتداء الأفرول فوق ملابسي في المخزن.

ولأن للجسم طاقة لا يستطيع تجاوزها، فكثيرا ما كنت أبدو خلال الدروس العملية بالكلية التي تمتد أحيانا إلى ما بعد الظهر منهكا فاقد الحيوية واستلفت ذلك نظر زميلة لي بالكلية رقيقة وجميلة ومهذبة فوجدتها ذات يوم تقول لي: «مالك مبهدل ونايم على نفسك دائما هكذا؟» ثم احسست بالخجل مما قالت وحاولت الاعتذار فهوّنت عليها الأمر ووجدت في سؤالها رغم قسوته نوعا من الاهتمام بي سعدت به، ولست في حاجة لأن اقول لك انني حتى هذه اللحظة وكنت في السنة الرابعة من الكلية لم أكن قد تنبهت بعد إلى أن في الكلية زميلات، أو ان في الحياة فتيات عدا أخواتي، فأنا مشغول بعملي الشاق وبدراستي وبظروف حياتي عن مثل هذا الترف فسعدت جدا باهتمام هذه الزميلة واطمأننت إليه وأصبحت كلما لقيتها احييها وأتبادل معها الحديث.. وازدادت ثقة صاحب المخزن فيّ فأصبح يعطيني عربة بأربع عجلات تتسع لحوالي عشرين أنبوبة وخصص لي صبيا صغيرا يخرج معي ليحرس العربة حين أحمل الأنابيب إلى الأدوار العليا ولم يعد يضايقني شيء في هذا العمل سوى تحكم بعض بوابي العمارات وإصرارهم على عدم السماح لي بحمل الأنابيب بالمصعد وتمسكهم بأن يكون التسليم ولو للدور العاشر عن طريق السلم المرهق.

وذات صباح حملت أنبوبة بوتاجاز إلى شقة الدور الخامس من عمارة فاخرة جديدة أضافها صاحب المخزن إلى منطقتي بعد أن تركها أحد العمال

وسافر للعراق فدخلت إلى المطبخ وفككت الأنبوبة الفارغة وركبت الجديدة وأجريت لها الاختبار التقليدي وغادرت الشقة بسلام وحملت الأنبوبة الفارغة على ظهري ومددت يدي إلى ربة البيت لأتسلم الأجرة فوجدت إلى جوارها فجأة زميلتي بالكلية إياها والتقت عيناي بعينيها في لمحة خاطفة.. فتأكدت من انها عرفتني رغم الأفرول المشحّم والمنديل الذي أربط به راسي، لكنها لم تبد اي انفعال وأسرعت انا أهرول على السلالم.. وأنا لا أكاد أرى طريقي من الضيق والهم ووقفت على باب العمارة لحظات حتى تهدأ أنفاسي، ثم ساعدت الصبي في دفع العربة وأنا شبه غائب عن الوعي والخواطر تتدافع داخلي ماذا ستفعل؟.. هل ستذيع سري في الكلية ويتغامز الطلبة عليّ.. وهل سترحب بصداقتي بعد ذلك أم ستراني غير جدير بها؟.

وأمضيت في البيت ثلاثة أيام لا أذهب خلالها إلى الكلية ولا أكاد أنام.. وبعد يومين سألت نفسي لماذا كل هذا الضيق وأنا لا أخجل من ظروفي أمام أحد؟ ووجدت الاجابة واضحة كالشمس أمامي.. لأني غارق بغير أن أدرى في حب هذه الزميلة الفاضلة حبا صامتا يملك عليّ عقلي وكياني وأتطلع إلى مستقبل أفضل أتغلب فيه على صعوباتي وأصبح فيه جديرا بها وما حدث قد هدم هذه الاحلام!

وبقوة الألم وحدها شققت طريقي إلى الكلية في اليوم الرابع وأنا أتحسب لكل نظرة من زميل أو زميلة فوجدت العيون خالية من أي تعبير ثم جاءت هي بنفس النظرة الهادئة المهذبة التي عهدتها فيها من أول يوم وقالت لي بلهفة: أين أنت؟ أريد أن أتحدث معك! وانتحت بي جانبا من الكلية وسألتني باهتمام عن قصتي فوجدت نفسي أحكي لها كل شيء، وعندما انتهيت كانت نظرة الاحترام تطل من عينيها وهي تؤكد لي انني شاب مكافح شريف وأنها تتمنى لنفسها إنسانا مكافحا أمينا مثلي، وانها لا تعترض على عمل البوتاجاز في شيء إلا في انه مرهق ويسلبني معظم قدرتي على الدراسة والاستذكار لذلك فهي تفضل أن أبحث لنفسي عن عمل أقل مشقة.. واختتمت حديثها قائلة: وسوف نبحث عن هذا العمل معا!.

يا إلهي لماذا لا تأتي السعادة غالبا إلا بعد مكابدة العذاب؟!! لقد عشت ثلاثة أيام في الجحيم.. فإذا بكل آلامي تذوب فجأة وأنا أسمع هذه الكلمات

السحرية وأقبلت على الحياة من جديد وواصلت العمل فى البوتاجاز لمدة شهرين فقط بدأت بعدهما أعمل كمدرس خصوصى لطلبة الاعدادى فى المنازل والمساجد، ورغم انخفاض الدخل فلقد كان ما يأتى به هذا العمل خير معين لأسرتى ولى، وساعدنى بالفعل على إعطاء جهد أكبر لدراستى، وتخرجت فتاتى فى الكلية قبلى بعام ولم تنقطع عنها ولا عنى وتقدم لها خطاب كثيرون رفضتهم جميعا وشجعتنى على انهاء دراستى وتخرجت بالفعل وعادت فشجعتنى على التقدم لأسرتها وأنا مشفق من ظروفى ومن الرفض لكنى استجبت لها وتقدمت وليتنى ما فعلت، فقد سمعت كلاما كوى جسمى وقلبى بالنار، وخرجت مهزوما مدحورا ولم أشأ أن أحملها مالا طاقة لها به، فانسحبت من حياتها ومن المدينة كلها وطلبت نقل سنة الامتياز الخاصة بى إلى أحد المستشفيات فى أقصى الصعيد، وحملت ملابسى القليلة وسافرت إلى هناك ومضت الشهور ثقيلة مريرة وأنا أتابع أخبارها عن طريق شقيقتى طالبة الطب، وانتهت سنة الامتياز وبدأت سنة التكليف فى الصعيد وأفرغت كل طاقتى فى العمل وفى رعاية أسرتى على البعد.

ووجدت فى هذه المدينة الصغيرة البعيدة سلواى عن فتاتى التى لم أحب سواها وافتتحت بعد بضع سنوات عيادة صغيرة جعلت منها مسكنى وعملى، وعرفت وأنا هناك أن فتاتى قد أرغمت على الزواج من رجل أعمال «من بتوع اليومين دول» وانها غير موفقة معه، وحياتها جحيم لا يختلف عن جحيم حياتى.. ومضى عام آخر ونفسى لا تسلوها ولا تغيب عنى صورتها وفى الساعة الرابعة من مساء ذات يوم كنت جالسا فى غرفة الكشف بالعيادة أستعد لاستقبال المرضى حين فتح الباب ودخلت سيدة فرفعت رأسى إليها فإذا بها فتاتى بلحمها وشحمها، وقفزت أرحب بها وجلست تروى لى، بدموعها قصتها، فقالت لى انها حصلت على الطلاق بعد حياة مريرة وزواج غُصبت عليه تحت ضغط الأهل، وانها بحثت عنى بعد الطلاق فى كل مكان من المدينة فلم تجدنى إلى أن عرفت أخيرا مقرى، وأقنعت أهلها بأن يعطوها حريتها فى اختيار شريك حياتها وركبت القطار فى الفجر لترانى.. وتسألنى هل مازلت راغبا فيها، ثم ترجع بنفس القطار بعد ساعة، فوجدت نفسى أقول لها على الفور: لن تعودى إلى مدينتك إلا وأنت زوجة لى على سنة الله ورسوله وتركتها فى العيادة وخرجت وعدت بعد

نصف ساعة ومعى مأذون البلدة وصاحب البيت الذى أقيم فيه وطبيب بالمستشفى الحكومى.. وعُقد القران، وشهد صاحب البيت والصديق الطبيب على العقد وطلبت منها أن تنهض لتلحق بالقطار، فقال لى الحاج صاحب البيت ولماذا تعود كل هذا الطريق فى الليل وهى زوجتك أمام الله والناس.. تعاليا معى إلى شقتى لنخاطب أسرتها فى التليفون ونبلغها بالخبر السعيد ونستأذنها فى بقائها معك إلى أن تنزلا بعد أيام فى اجازة، وسأعد لكما الشربات وعشاء الزفاف على بركة الله.. وفى مسكنه تم الاتصال التليفونى ووزع الشربات، وأطلقت احدى السيدات زغرودة فتساقطت معها دموعى ودموع زوجتى واحتفت بنا أسرته إلى أن نزلنا إلى مسكننا لنرتشف السعادة التى حرمنا منها طويلا ونهجع إلى السكينة بعد طول عذاب.

ثم سافرنا بعد يومين واسترضينا الأهل وباركوا زواجنا وسعدت به أسرتى وعدنا إلى البلدة الطيبة ونقلت زوجتى إليها، ووجدنا بعد شهور شقة أخرى لسكننا، وابتسمت لنا الدنيا أخيرا وتخففتُ من كثير من الأعباء فتخرجت شقيقاتى وأصبح لكل منهن حياتها، وكانت المناسبة العائلية التى أوحت إلىّ بالكتابة إليك الآن هو عيد الميلاد الثالث الذى احتفلنا به أمس لطفلتنا الوحيدة ثمرة الحب والعذاب «وفاء» فلقد وقفت مع زوجتى وبيننا طفلتنا لنلتقط صورة تذكارية لنا فوجدتنى فجأة أستعرض شريط حياتى ابتداء من «شروة السمك فى الفجر إلى سنوات البوتاجاز إلى سنوات الحب اليائس إلى الهزيمة والاندحار.. إلى عودة الحب الذى توجناه بالارتباط وبالطفلة التى اخترنا لها اسم وفاء!».

وقررنا أن نكتب إليك هذه الرسالة لعل البعض يجدون فيها ما يساعدهم على تحمل ظروفهم وما يحفزهم على الا يفقدوا الأمل دائما فى غد أفضل يتحقق بالكفاح والإرادة والحب فنحن مازلنا نكافح لتحسين ظروفنا، لكن الكفاح فى ظلال الحب أهون كثيرا منه فى ظل الشقاء والتعاسة وهذا ما أردت أن أقوله لقرائك والسلام..

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول:**

سعدت بنشر رسالتك هذه رغم انها لا تحمل مشكلة ولا تطلب رأيا، لأن فيها فعلا ما يفيد الآخرين ويهدىء المشاعر ويبعث الأمل فى النفوس، فليس

برسائل المعذبين وحدها نتعلم الحكمة وإنما برسائل السعداء أيضا نثرى تجاربنا الانسانية ونفهم أسرار الحياة، ولو سطر كل إنسان تجربته فى الحياة على الورق سعيدة كانت أم شقية لأضافت بكل تأكيد إلى معرفة الآخرين بالنفس البشرية الكثير.. وفى الحق انه ليست هناك دائما تجارب شقية أو تجارب سعيدة من البداية إلى النهاية، لأن الحياة مزيج عجيب من الاثنين ولا بأس بذلك لأنه سنة الحياة، ولأن المهم هو أن يسقط المطر وينبت الخير فى النهاية لمن بذر الحب والوفاء والعطاء للآخرين كما فعلت. بل ولا عجب أيضا فى أن يعود إليك نصفك الغائب حتى ولو ضل الطريق إليك ثلاث سنوات، لأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان ولأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون !.

ان أجمل ما فى رسالتك ياصديقى هى أنها تخلو من نغمة الرثاء للنفس التى تسود رسائل كثيرين من القراء ربما لم يكابدوا بعض ما كابدته أنت فى حياتك من كفاح ومعاناة، وأروع ما فيها هى أنها تقول للآخرين بالتجربة الصادقة أن الإنسان قادر دائما على أن يحقق لنفسه بعض ما تصبو إليه بالكفاح وبالإرادة والصبر، فلقد استطاع الإنسان أن يتغلب على كوارث الطبيعة ويروض الوحوش ويستأنس الجوارح بقدرته على الكفاح والتكيف وتلمس أسباب السعادة فى أبسط الأشياء، فى حين عجز الديناصور الذى تفوق قوته قوة الإنسان عشرات المرات، عن أن يغالب ظروفه ويتكيف معها فانقرض واندثر وبقى الإنسان ينسج كل يوم قصص حبه وكفاحه ويبنى أعشاشه كل يوم وإلى أبد الآبدين.

لقد كانت رسالتك هذه ياصديقى نسمة رقيقة تنسجها وسط «الأنين» الذى ينبعث من مئات الرسائل الأخرى.. لكن لماذا ياربى لا تخلو حتى رسائل السعداء مما يثير الشجن ؟ ولماذا تخفق قلوبنا معهم وهم يتحدثون عن معاناتهم حتى إذا ما وصلوا إلى لحظة السعادة والتنوير التى يتبدد فيها الظلام ويجتمع الشمل.. وجدنا العين تندى معهم فى أفراحهم كأنه لابد دائما مما يثير الأحزان ولو فى لحظات السعادة !



أرجو أن تصدق كل كلمة اكتبها لك لكى تشير علىّ بالرأى السليم فأنا سيدة فى الثامنة والعشرين من عمرى.. نشأت فى أسرة متوسطة الحال فى حى شعبى، وكعادة أهل الحى كنا نلعب فى الشارع، الأولاد مع البنات معظم ساعات النهار وفى سن مبكرة وجدت نفسى أستكين تحت حماية «ولد» من أطفال الجيران فى التاسعة من عمره بدأ يمارس معى دور الأخ الأكبر فيمنعنى من اللعب مع هذا ويضرب من أجلى ذاك.. ولا أستطيع أن اتصرف أى تصرف بغير مشورته أو أن أذهب إلى مكان إلا بإذنه وكانه الآمر الناهى فى حياتى!

وشجعنى على ذلك انى كنت وحيدة بلا أشقاء ذكور وانى تربيت فى أسرة تعمل فيها أمى وأبى معا فى محل تجارى صغير ولا تشعر كثيرا باهتمام أبى أو بسيطرته فالأم هى التى تعمل معظم ساعات النهار وهى التى تدبر حياتنا، وتشترى لنا ملابسنا أما الأب فغير مبال فى معظم الأحوال، وهكذا وجدت فى هذا الصبى ما افتقدته فى أبى من قوة وحزم ورعاية، ولن أطيل عليك فى سرد ذكريات طفولتى لكنى ساقول لك اننا واصلنا التعليم الابتدائى ونحن مرتبطان بهذا الشكل حتى إذا وصلنا إلى المرحلة الاعدادية كنا قد أصبحنا مشكلة حقيقية بالنسبة لأمى التى كثيرا ما هددتنى للابتعاد عنه وأيضا لأبيه الذى كثيرا ما هدده وضربه ليتوقف عن اعتبار نفسه مسئولا عنى!

وحين وصلنا إلى أوائل المرحلة الثانوية لم يجد أبوه مفرا من أن يصطحب ابنه معه إلى بيتنا ويقابل أبى ويعرض عليه الأمر ضاحكا.. ثم يطلب منه قراءة الفاتحة على خطبتى لابنه لكى يستريح من هذا الصداع! ورحب أبى وتمت قراءة الفاتحة، واعترف بنا الأهل كخطيبين وحين وصلت إلى الثانوية العامة عقدنا القران ودخلت الامتحان ونجحت ونجح هو أيضا والتحق بكلية الزراعة والتحقت أنا بمعهد الخدمة الاجتماعية.

وبعد عامين بدأ خطيبى يستعد لإعداد الجهاز فترك الدراسة مؤقتا

وعمل بائعا فى محل تجارى لكى يوفر متطلبات الزواج، وفى هذه الفترة بدأت معاناتى معه.. فكثرت مشاجراتنا.. وكلما تشاجرنا ترك العمل ويظل هكذا حتى أصالحه، وعرف هو نقطة ضعفى فاستغلها تماما، ونصحنى البعض بأن تكون لى «شخصية» معه لكنى لم أستطع قط يا سيدى، وكلما افلتت أعصابه معى تحملت وقلت لنفسى انه يكافح لإعداد الجهاز ولا أحد يساعده وينبغى علىّ أن أصبر.

ثم تزوجنا بعد ٣ سنوات.. وطالبته بالعودة للدراسة فدخل امتحان السنة الثالثة من الخارج ونجح وحصل على البكالوريوس وحصلت أنا أيضا على شهادتى.

وكان المفروض أن تكتمل سعادتى.. لولا أنى لم أحمل خلال السنوات الخمس التى مضت من الزواج.. ولولا أن طبعه لم يتغير معى، فحياتنا معا دائما مزيج من السعادة والمشاكل فى نفس الوقت! وأيامنا إما سعيدة جدا.. وإما تعيسة جدا ومشحونة بالمشاجرات والغيرة والمشاحنات حول الحمل والانجاب، وكلما تشاجر معى امتدت يده علىّ بالضرب كما سبق أن ضربنى مرة ونحن مخطوبان فى الشارع ورغم ذلك فأنا أرفض تدخل أحد من أهلى أو أهله بيننا.. وواجهت معه مشاكل الحياة فبعد التخرج لم يعمل وإنما افتتح بمساعدة أبيه محلا صغيرا فى مكان بعيد لم ينجح واضطر أن يغلقه ويعود إلى الحى الشعبى الذى نشأنا فيه ويتخذ من «فترينة» على الرصيف مكانا لبيع بضاعته، وتحسنت الأحوال قليلا، لكنى كنت أضيق أحيانا بمشاجراته وضيق العيش فاترك له الشقة وأعود إلى بيت أبى غاضبة.. وأعجب لأننى لا أجد راحتى فى بيت أبى الذى طالما وجدت الراحة فيه من قبل.. أما أمى فتجدها فرصة لتكرار نصائحها لى بأن أنفصل عن زوجى، وأبحث عن الأمان مع غيره مادمت لم أنجب منه ولست مستقرة معه فيدخل كلامها من هذه الأذن ليخرج من الأذن الأخرى بلا أى تأثير، ثم بعد عدة أيام أجدنى أذهب إليه كالمنومة فى الشارع الذى يقف فيه وأشير إليه فما أن أرى ابتسامته حتى أنسى كل ما حدث وأرجع معه إلى البيت.

وذات يوم كانت أخت زوجى فى زيارتنا فخرجت فى الصباح الباكر لأمر ما ثم عادت بعد دقائق حاملة معها طفلا حديث الولادة «بالدم

والسرة» وعرضت حماتى علينـا ان نحتفظ بهذا الطفل ونربيـه لعله يهدىء نفـوسنا ولم اتكلم وتمنيت من اعماقى ان يـوافق زوجى.. فـوافق واخذنـا الطفل فعلا وفرحت بـه فرحة كبرى وبدات انشغل بـه ساعات نهارى التى يغيب فيها زوجى، أما هو فلم يتغير فى شىء.. وراح يضربنى لاتفه الاسباب ولا ينقذنى منه حتى صراخ الطفل.. ورغم حبه لـه فلقد قال لى أكثر من مرة انه يريد طفلا من دمه.

ومضت الحياة بنا بالرغم من ذلـك حتى عرفت انه اقترب من جارة له فى الركن التجارى الذى يقف فيه.. وانه يـريد أن يتزوجها لكى ينجب منها فلم احتمل اكثر من ذلك وحملت «ابنى» وعـدت إلى بيت أسرتى، وطلبت من أبى ان يقـابله ويطلب منـه الطلاق وذهـب إليه أبى واتفق معـه على كل شىء.. وحدد معـه موعدا لكى نـذهب إلى الشقة و«نفك» الاثاث وننقلـه إلى بيتنا ثم نذهب معه إلى مكتب المأذون لنتم إجراءات الطلاق.

وفى صباح اليوم المحدد احضر ابى عـربة نصف نقل واثنين من الاقارب وذهبنـا إلى شقتى لنتسلم العفش.. ووجـدتـه ينتظرنـا واقسمت لنفسى الا اضعف معه مـرة أخرى مهما حدث فحييتـه تحية عـادية وانشغلت مع الموجودين فى فك الاثـاث وتحميله بـالسيارة.. وبجمع الأوانى والصينى فى كراتين صغيرة ومضت ساعة ونحن نعمل وهو يساعدنا حتى انزلنا الاثاث ولم تبق سوى بعض الكراتين فبدات أستعد للانصراف إلى المأذون وقبل أن نغادر الشقـة قلت له فجاة: «ابقى اسال علىّ» فهز راسه صـامتا ثم امسك يدى وقبلها.. فلم اشعر بنفسى إلا وأنا اقبل يده وابكى وأبى واقف مندهش ومذهـول امامنا، وقـريباى والسـائق ينظرون إلينا متعجبين وبعـد دقيقة اخـرى من الصمـت استجمعت إرادتى وطلبت من السـائق وأقـاربى على استحياء أن يعيدوا الأثاث إلى الشقة مرة اخـرى فانفجر ابى فىّ صائحا: هو لعب عيـال؟ والله لا أتـدخل فى أمر لكما مـرة أخـرى وسأنصرف الآن، فإذا بسائق اللـورى يقول لأبى منشرحـا: انصرف انت فى سـلام وقسما لاعيدن هذا الأثاث إليهما بغير أن أتقـاضى من أحد أجر هذه «العطلـة».. فلقد ذقت من قبل «مرار» هـذه اللحظة وأعرف معنى خراب البيـوت! ثم دفع القريبين إلى خارج الشقة وأعـادوا الأثاث خلال دقائق وهم يتضاحكون وسـاعدونا

فى إعادة تركيبه وشكرناهم من اعماقنا وانصرفوا سعداء وهم يوصوننا بالا نفرط فى بعضنا البعض وأن نتقى وساوس الشيطان.

وعدت إلى حياتى مـع زوجى من جديد يا سيـدى.. لكنى اشعر ان شيئا بيننا قد انكسر فانا احبه لكنى اكـره «افعاله» وانا لا استطيع الاستغناء عنه لكنى اريد أن أعيش معه فى سـلام، وهو يحبنى ولا يستطيع الاستغناء عنى لكنه لا يريد أن يحيا معى حياة طبيعية بلا مشاكل ولا مشاجرات.

إننى اقـول لنفسى أحيـانـا اننى يجب ان اتحمل وأعيش معـه وأرضى بالقليل لكى يحس بالأمان ويهدأ ويستقر.

واقول لنفسى فى أحيان أخرى اننى يجب ان انفصل عنه وأتعذب بعض الوقت إلى أن انساه ثم ابدأ حياتى من جديد.

وبين هذا وذاك احترت واحتار دليل وقـد كتبت لك هذه الرسـالة وانا فى اشد حالات الضيق راجية أن تشير علىّ بالرأى السديد واعدك بان أعمل به، لكن ارجـوك الا تطلب منى الطـلاق لأن معنـاه أن احكم على نفسى بـالموت وان احـرم طفلا من اب يمكن ان يـوجهـه التوجيـه السليم حين يكبر حتى ولو قال بعض الناس انه ليس ابننا.. فبماذا تشير علىّ؟

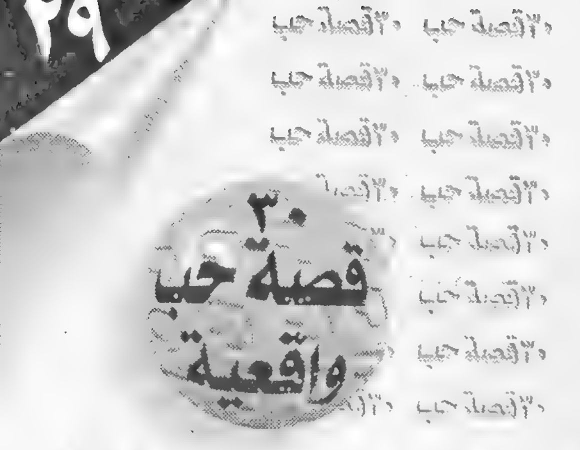
☐ ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لم تدعى لى يا سيدتى مجالا للاختيـار، فلقد حسمت الأمر كله برفضك اساسا لفكرة الانفصـال.. وحسنا فعلت لأنك لن تستطيعى فعلا الانفصال عنه ولن يهدأ لك جانب إذا مـا حُرمت منه، فهو تحت جلـدك وممتزج بدمك وطفولتك وصباك، وأنت ايضا تحت جلده وممتزجة بدمه وحياته حتى ولو لم يدرك ذلك تماما الآن.

إذن فلا مكان لحل الانفصـال فى القصة كلها.. لأنها قصة عمـر وقصة حياة من هذا النوع الذى يقول فيه الشاعر:

كأن لم يكن فى الناس قبل متيّمٌ
ولم يك فى الدنيا سواك حبيبُ

وأنـا اصـدقك فى كل مـا قلت.. وأعجبت كثيرا بشهـامـة هـذا السـائق الانسـان وحكمتـه وأرى ان مثلكما لن يهنأ لـه عيش بعيدا عـن الآخـر ولـو عاش فى قصـور فـاخرة، لأن سفينـة كل منكما لن تلبث أن تعـود إلى



القلعة الحصينة



مرفئها القديم مهما تقاذفتها الأمواج بعيدا عن الشاطىء فلا داعى للتجارب الفاشلة إذن.. ولا داعى لتكرار أخطاء الآخرين ممن تحدّوا انفسهم وجربوا حظهم بعيدا فظلموا انفسهم وظلموا غيرهم وبداوا حياة جديدة مع الغير وقلوبهم رهائن لدى آخرين فشقوا بحياتهم وأشقوا غيرهم.

غير أن آفة هذا النوع من الحب الملتهب هو انه لا يعرف وسطا بين السعادة والشقاء ابدا فإما سعادة لاذعة حرّيفة وإما تعاسة حريفة ولاذعة ايضا، لانه كالنار المتأججة دائما ومع ذلك فحتى التعاسة فيه لها مذاق خاص أرحم كثيرا من النوع الآخر البغيض.

وإذا كانت القاعدة القديمة تقول: ان من يحب اقل يسيطر اكثر، فالواضح انك تحبين اكثر وتسيطرين اقل! لكن لا باس بذلك فليس بين المحبين حساب، والمهم هو أن تتجنبى هذه الحياة «الحريفة» اللاذعة وتستمتعى بسعادتها، ولا مفر أمامك من الصبر عليه إلى أن يزداد نضجا وحكمة وفهما للحياة.. ولا مفر ايضا من أن تحاولى التماسك امامه قليلا لكيلا تشجيعه على تكرار الأخطاء السابقة معك. وأن تتجنبى المشاحنات معه بقدر الامكان، وأن تحاولى إقناعه بانه حين يؤذيك جسديا إنما ينال فى الحقيقة من عمره وحياته ووجوده كله، وانكما قد شببتما عن الطوق ولم تعودا صغيرين يلعبان فى الطريق ويجوز بينهما ما كان يجوز وهما فى سن الطفولة أو الصبا.

وسوف تتحسن الأحوال بإذن الله حين تتحسن ظروفه المادية.. وحين تنضجه الأيام والليالى ويعرف قيمة الكنز الذى اعطته له الدنيا، وحين تعملين ايضا وتساعدينه فى تحمل اعباء الحياة، وحين يأذن الله لكما بالانجاب وحذار ساعتها أن تتخليا عن هذا الطفل المحروم فمن يدرى فلعل الله قد جمع بينكما من جديد وصان عشكما من الدمار حماية لهذا البرىء من الضياع.

أنـا يا سيـدى فتاة فى السـادسة والعشرين من عمـرى أنهيت دراستى بكليـة الطب وأستعـد الآن لدراسـاتى العليـا للحصـول على الماجستير ثم الدكتوراة إن شاء الله ولقد كانت دراستى ومازالت هى اهتمامى الأول لكنه ليس الـوحيد فأنـا حـريصة أيضـا على الاهتمام بمظهرى وقـد وهبنى الله جمالا لا تخطئه العين كما وهبنى القـدرة على حب الناس فكنت دائما ملجأ لزميـلاتى فى أوقات ضيقهن، أما بـالنسبة لزملائى فقـد تقرب إلىّ كثيرون منهم محاولين استمالتى لكنى لم أجـد فى نفسـى أى ميل لـلاستجابـة لهذه المحاولات المهذبة فكانت طريقتى هى الصد بمودة لا تقطع علاقات الزمالة ولكن بحزم أيضـا يمنع الزميل من تكـرار المحاولة بغير مـرارة فى النفوس أو إحساس بـالاهانـة، وكذلك كـان الحال مع من يتقدمون إلىّ عـن طريق الأهل والأصدقـاء ولم أكن أسأل نفسى لماذا لا أميل لهذا أو لذلك فقـد كان قلبى موصدا كباب قلعة حصينـة وكان هذا دائما مثار قلق أبى وأمى ومثار دهشة صديقاتى وأختى الصغرى خاصـة انه لم يكن لدى وجهة نظر قوية أبرر بها رفضى المتكرر لمن يتقدمون لى.

ومنذ شهور لاحظت أن موتور سيارتى ليس على ما يرام فطفت بها على عـدة ورش لميكـانيكا السيـارات لكن خلل الموتـور ظل كما هـو فنصحتنى احدى صـديقاتى بالـذهاب إلى ميكانيكى تعـرفه مدحت لى كفـاءته وحسن معاملته، فأخـذت سيارتى وذهبت إليه وشرحت له مـلاحظاتى عليها فطلب أن اتركهـا له وأعود لأتسلمهـا بعد ساعتين وعدت إليـه فوجدتـه ينتظرنى وشرح لى العيب وكيف انـه بسيط لهذا لم ينتبـه إليـه زمـلاؤه ثم رفض أن يتقاضى مليما مؤكدا انه لم يفعل ما يستحق عنه أجرا.

فغادرته شاكرة.. لكنى لاحظت انى طـوال طريق العودة أفكر فيه.! نعم أفكر فيـه هو هـذا الميكانيكى الشـاب وليس فى أحد من أسـاتذتى بـالكلية ولا أحد من زمـلائى أو أقاربى.. لماذا تتعجب؟.. وأنت بلا شك تعـرف هذه الأمور جيدا وتعرض عليك قصص أعجب منها؟

لقد وجـدت نفسى منجذبـة إليه بطـريقة لم أعهدهـا فى نفسى من قبل فذهبت إليه بعد أسبوع بحجة الاطمئنـان على حالة السيارة ووجدت عينىّ تتعلقـان بـوجهه الطيـب السمح وعينيه الطفـوليتين فتبـادلت معـه بعض العبارات عن السيارة ثم تركته وانا عازمة على الا أعود إليه مرة أخرى حتى أجنب نفسى عنـاء التعلق بـه لكن بعـد يـومين ابلغنى شقيق صـديقتى ان الميكانيكى الشـاب قد عثر على قطعـة غيار لسيارتى سـوف تحل مشكلتها نهائيا فذهبت إليـه بالسيارة وأنا واثقـة من انه يريد أن يـرانى كما أريد أنا أراه.. ووصلت إلى محله فوجدته مهندمـا أنيقا وعلى شفتيه ابتسامة حائرة، وأبلغنى بأننا سنذهب معا إلى محل صـديق له لإحضار قطعة الغيار وركب إلى جوارى فأحسست بأنـه يريد أن يقول شيئـا ولا يجرؤ عليه. وذهبنا إلى محل الصديـق واشترينا القطعـة وعدنا لتركيبهـا وانصرفت وأنـا أعرف فى داخلى انى سأعود إليه مرة أخرى، وعدت بـالفعل وتكرر ذهابى إليه بحجة إصلاح السيـارة وفى كل مرة أراه فيها أكتشـف جانبا جميـلا فى شخصيته لم أكن أتصـور أن أجـده فى شخص يعمل حـرفيـا منـذ صبـاه ووجـدت مشاعرى كلها معه خلال خمسـة شهور فقط. أما هو فقد تعلق بى بصورة حيرتنى وكلما لمح حيرتى قـال لى انه وجـد فى ملامحى أو شخصيتى شيئـا يذكره بحنـان أمه التى فقدها صغيرا وكلما بدأنـا نتحدث فى الزواج وأحس هو مـن كلماتى أن رد فعل أبوىَّ سيكـون معارضـا إلى حد اعتبـار زواجنا ضربا من المستحيل تنساب الدموع من عينيه فى صمت.

والآن أجـد نفسى يا سيـدى عاجـزة تماما عن التفكير وعن التركيـز فى دراستى وعن ممـارسة حيـاتى الاجتماعيـة التى اعتدتها وكل مـا يشغلنى وافكر فيه هو كيف سأواجـه أبى وأمى.. وماذا سيكون موقفهما وهما كأى أب وأم يتمنيـان الحيـاة المستقـرة لأبنـائهما والمشكلـة هى انى لا أضمن لنفسـى هـذا الاستقـرار إلا مع من اختـاره قلبى فكيف أقـول لهما كل ذلك وأقوله لكل مـن ينكر أن القلوب والمشاعر لا تعترف بـالشهادات مع أن من اختاره قلبى ليس أميا ولا جاهلا بل هـو مثقف ثقافة لا يعرفها كثيرون من الجامعيين ويناقش أدق الموضوعات وله رأى صريح فى معظم القضايا التى تتنـاولها الصحف، كما انه مستقـر ماديـا ويستطيع أن يتحمل مسئولية كاملة إذا وافق عليه أهلى.

وأنا الآن يا سيدى أنتظر ردك على رسالتى كالمتهم البرىء الذى ينتظر إما حكم البراءة وإما حكما قاسيا ولن أحاول التأثير على مشاعرك لكن فقط أود أن أذكرك أن ردك سيحدد مصيرى ومصير حبيبى لأنى عاهدت نفسى أن ألتزم به مهما كان مؤلما لى كحل أخير للخروج من حيرتى التى شملت كل شىء فى حياتى.

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

كل قلعة حصينة يا آنستى لها فارسها الذى يدك بابها فى الوقت المناسب فينفتح بابها أمامه على مصراعيه، وهذا ما حدث معك لكنك تواجهين اختيارا صعبا بالفعل وتضعينني أنا أيضا فى اختيار أصعب! ورأيى فى مشكلتك أنى أؤمن بأن السعادة شىء نادر وثمين ويستحق المعاناة للحصول عليه والكفاح الضارى للوصول إلى شاطئه، لكن تجارب الحياة قد علمتنا أيضا ان الانسان لا يتزوج من فتاته وحدها وإنما من أسرتها معها ومن وسطها العائلى والاجتماعى كذلك وان كل إنسان هو ابن بيئته مهما حاول أن يتملص من تأثيراتها عليه. والحياة الزوجية ليست علاقة رومانسية عاطفية فقط وإنما شبكة متداخلة من العلاقات الاجتماعية والانسانية أيضا ويندر أن يصمد الحب على المدى الطويل لمشاكل اختلاف الطباع والعادات الاجتماعية والقيم السائدة بين بيئتين متفاوتتين بشدة اجتماعيا وثقافيا وإن كان ذلك لا يمنع صموده فى بعض الحالات القليلة لأن لكل قاعدة استثناء كما تعرفين. وأنجح الزيجات بصفة عامة هى الزيجات التى تتوافق فيها أحكام القلب مع أحكام العقل.. ويتوافر فيها التكافؤ بين الزوجين من كل الوجوه، وفى عوامل التكافؤ فإنى لا أتوقف طويلا أمام التكافؤ المادى لأنه أضعفها تأثيرا على الحب، لكنى أتوقف دائما عند التكافؤ الاجتماعى والثقافى بين الطرفين لأنه فعلا بؤرة الاختبارات التى تمتحن الحب وتعجم عوده، وفى حالتك فإن التكافؤ المادى متوافر، والتكافؤ الثقافى قد يمكن تجاوزه بصعوبة لأن المعرفة والثقافة متاحة للجميع من مصادر عديدة وهى ليست رهينة بالشهادات العلمية والجامعية وحدها وإنما باستيعاب الانسان لحقائق العصر واهتمامه بمتابعة ما يجرى حوله يبقى إذن العامل الهام وهو التكافؤ الاجتماعى بين

الأسرتين وبين القيم السائدة فى البيئتين وهو كما قلت أصعبها وأكثرها تأثيرا على استمرار الزواج ونجاحه أو فشله وانهزام الحب، لأنه امتحان يومى للتوافق.. أو الاختلاف حول أمور الحياة اليومية.. وأبسط سلبياته هو شعور الاستعلاء والتميز الاجتماعى الذى يمكن أن يحمله طرف تجاه طرف آخر فينعكس لدى الطرف الأخير فى الاحساس بالنقص الذى يفتح الباب لكثير من المشاكل، وغير ذلك كثير، وعلى سبيل المثال فإن ما يعتبر أمرا عاديا فى وسط معين قد يعتبر عيبا فى وسط آخر.. الخ واختلاف العادات والقيم سبب أساسى من أسباب انعدام التوافق وفشل الحياة الزوجية وحقائق هذا العامل بالذات ليست كاملة أمامى وأنت تعرفينها أكثر منى لذلك فإنى أترك لك الحكم عليه.. فإذا توصلت بعد تفكير هادىء إلى أن الوضع الاجتماعى لكل منكما شديد التناقض بما يمكن أن يهدد استقرار الحياة الزوجية فى المستقبل فمن واجبك أن تعترفى بذلك وأن تتخذى قرارك على أساسه، أما إذا توصلت إلى انه ليس متفاوتا بهذه الحدة، فاستجمعى إرادتك وشجاعتك وواجهى أبويك برغبتك فى الارتباط به وتحملى العاصفة حتى تمر.. واحرصى على أن تحصنى سعادتك بموافقة الأهل على زواجك وتأييدهم أو على الأقل قبولهم له. والأهل قد يرفضون ما لا يرونه محققا لسعادة أبنائهم بحساباتهم هم لكنهم إذا استشعروا صدق رغبة الأبناء فيما يريدون لأنفسهم واستقر فى يقينهم انهم لن يسعدوا إلا به فإنهم يسلمون برغبة الأبناء فى النهاية لأنهم لم يستهدفوا أصلا إلا ما تصوروه محققا لسعادتهم ولأنهم أيضا ومهما فعلوا لا يملكون لأبنائهم الراشدين سوى النصيحة والتحذير.

لهذا فالأمر كله بين يديك.. فإن اقتنعت اقتناعا كاملا لا يداخله الشك بأنه يستحق الكفاح مع أبويك لإقناعهما به فلا تترددى فى ذلك. أما إذا داخلك الشك ولو للحظة فى جدارته بالعناء وتحمل تبعاته فلا تترددى أيضا فى أن تضعى السطر الأخير لهذه القصة كلها وفورا لأن جرح الحب فى بدايته سريع الالتئام.. أما إذا تعمق واتسع وأصبح غائرا فإنه يحتاج إلى علاج طويل قبل أن يبرأ القلب منه ويسترد نضارته.. فاختارى لنفسك يا آنستى لأنك أنت من ستتحملين تبعة الاختيار وليس أحدا غيرك. وشكرا.


٣٠
قصة حب
واقعية
٣٠ قصة حب
زورق الحب والسعادة
«قصة
لم يكتبها
أبطالها»

كان صديقى يعيش وحيدا فى شقة من غرفتين بعمارة قديمة بأحد أحياء القاهرة وكان فى ذلك الوقت شابا مكافحا يجاهد لإثبات ذاته وشق طريقه فى العمل ويخطط لنفسه ألا يتزوج قبل عدة سنوات يكون خلالها قد وضع أقدامه على أول طريق النجاح وتوافرت لديه الإمكانات المادية لبدء حياة عائلية لائقة، ثم غادر مسكنه ذات صباح متوجها إلى عمله فرأى فتاة جميلة تنتظر المصعد.. وبحركة عفوية نظر إليها فأحست بطريقة ما بوجوده فى الجوار والتفتت إليه لا إراديا فالتقت العيون وسرى التيار الغامض فى الأثير فتجرأ صديقى وحيّا الفتاة مبتسما فى ارتباك.. وبدلا من أن تنهره الفتاة أو تتجاهله فوجئت بنفسها تومىء برأسها إليه إيماءة خفيفة ردا للتحية فى خجل.

ولم يستطع الشاب احتمال «الموقف» أكثر من ذلك فاتجه إلى السلم وقبل أن يضع قدمه على أولى درجاته التفت إلى ناحية المصعد «فضبط» الفتاة ترقبه فى اهتمام فابتسم مرة أخرى.. وابتسمت.. وهرول على السلم مشغول الخاطر بهذه الفتاة.. من هى.. ولماذا ارتبك حين رآها؟.. وكيف تجرأ على تحيتها وهو الشاب الذى يتردد ألف مرة قبل أن يحيى إنسانا لا يعرفه، ولماذا نظرت إليه وهو يفر هاربا إلى السلم.. ولماذا ابتسمت؟.. وهل يراها مرة أخرى؟ وشغلته تساؤلاته طوال الطريق إلى العمل.

أما هى فلقد دارت برأسها مثل هذه التساؤلات فى نفس اللحظة وتعجبت لنفسها ماذا أعجبها فى هذا الشاب؟ ولماذا خرجت على طبيعتها الخجول معه فأومأت برأسها ردا لتحيته.. ثم تابعته بأنظارها وهو يتجه إلى السلم حتى «ضبطها» وهى تنظر إليه باهتمام؟.

وجاء المصعد فركبته إلى غايتها وهى تسأل نفسها من هذا الشاب ولماذا شعرت بهذا «الضعف» المفاجىء تجاهه وهى التى لا تأبه بنظرات الإعجاب فى كل مكان؟ وماذا دهاها حتى فعلت ذلك وهى الفتاة المخطوبة لشاب آخر تفخر به أسرتها وتعتبره فوزا عظيما!؟

أيكون هذا هو الحب من النظرة الأولى الذى يقولون عنه!؟

لابد أنه «الجنون» بعينه!

لكن «الجنون» أيضا قد يصلح فى بعض الحالات النادرة لأن يكون بداية لقصة سعيدة.

وكان هذا الصديق وهذه الفتاة هما إحدى هذه الحالات النادرة التى صنعها حب النظرة الأولى الذى يراه العقلاء ضربا من الجنون. فلقد التقيا مرة أخرى أمام المصعد فى اليوم التالى فى نفس الموعد.. وفى هذه المرة لم يتردد صديقى فى أن يحييها تحية الصباح ولا هى ترددت فى أن ترد عليه تحيته بابتسامة صريحة ولم يهرول مبتعدا ومتحرجا هذه المرة وإنما «وجد» الكلمات تتقافز على لسانه فسألها: هل أنت من سكان العمارة؟ فأجابته بأنها «ضيفة» مؤقتة على عمتها التى تقيم معه بنفس الدور فى اجازة قصيرة من حياتها ومن أسرتها لأنها على خلاف بسيط معها.

وكان «الخيط» جاهزا للالتقاط فالتقطه وسأل عن أسباب الخلاف وعرف أنها خطبت منذ شهور لشاب ممتاز من أسرة كبيرة يعمل بوزارة الخارجية وجاهز ماديا للزواج فى أية لحظة وقد خطبت إليه بالطريقة العائلية فرحبت بالخطبة فى البداية أملا فى أن يولد الحب بينهما خلال فترة التعارف، لكن اللحظة السحرية التى تولد فيها شرارة الحب فجأة بين شخصين لم تأت.. وتأكدت على العكس من ذلك من نفورها النهائى منه وعدم توافقها معه، وأبدت رغبتها فى فسخ الخطبة فاتهمتها أسرتها بالجنون.. وتعجبت أمها من أمرها كيف ترفض شابا مرموقا كهذا الشاب الذى تتمناه أى فتاة مثلها. وماذا لا يعجبها فيه!؟ وبعد محاولات طويلة اتفقت الأسرة على أن تعطى الفتاة لنفسها فرصة أخيرة للتفكير الهادىء بعيدا عن الجو المتوتر فى بيت أسرتها، ورحبت عمتها باستضافتها خلال فترة التفكير والحسم فجاءت إلى هذه العمارة والتقى «الغريبان» على غير انتظار.

أما المصعد فلقد توقف أمامهما عدة مرات صاعدا وهابطا ولم يفكر أحدهما فى فتح بابه.

وأما «الغريبان» فلقد تبادلا الحديث لفترة طويلة «واتفقا» على تكرار

اللقاء لمزيد من التعارف والتفاهم وأما صديقى فلقد حكى لها فى اللقاءات التالية عن نفسه كل شىء «وأنذرها» بأنه ليس البديل المناسب لخطيبها القادر على توفير الحياة اللائقة لها التى كانت تنتظرها مع خطيبها المرموق لأنه شاب مكافح فى بداية طريقه العملى فلم تزدها صراحته معها إلا تمسكا به.. ثم خاضت الفتاة «معركتها» الخاصة مع أسرتها بإصرار حتى أقنعت أبويها بفسخ الخطبة ورد الهدايا والاعتذار للخطيب السابق.. وبدأت تمهد الطريق لفتاها لدى أسرتها حتى رضيت باستقباله.

وشهدتها أسرتها يوم الزيارة الأولى وهى تتفجر نشاطا وحيوية وبهجة.. ولاحظت بعجب الفرق الهائل بين حالها قبيل زيارة فتاها لأسرتها لكى يطلب يدها، وبين حالها حين كان يجىء خطيبها السابق فتشكو قبل مجيئه «الصداع» وتحاول الاعتذار عن مغادرة غرفة نومها لاستقباله فى الصالون، بحجة المرض.

وجاء الفتى فى زيارته الأولى لأسرتها فكانت هى أول من فتح الباب له واستقبلته بحفاوة ومرح وقدمته لأبويها فى افتخار، وتربصت لكل «بادرة» تحفظ أو فتور من جانب أمها أو أبيها فى معاملته، وتدخلت فى الحديث بلباقة وحسم حين سأله أبوها عن إمكاناته المادية وأجابت هى نيابة عنه بأنه شاب موعود بالنجاح وسوف يبنيان معا عشهما الجميل.. قطعة قطعة.

وسلمت لها أسرتها بما أرادت، فتزوج «الغريبان» بعد صعوبات ومشاكل هائلة.. وأقاما فى الشقة الصغيرة بأحد أحياء القاهرة غير الراقية، وتحول العش الصغير إلى واحة هانئة ينفث الحب فيها عطره الفواح.. وأضفت الزوجة الجميلة على الأثاث القليل لمساتها الساحرة فعوضت بساطة المسكن بعراقة الذوق الجميل.

ومضت الحياة بهما فى طريقها المرسوم فأنجبا طفلين.. وتحمل المحبان بشجاعة صعوبات البداية لسبع سنوات أو أكثر، حتى بدأ الفتى يجنى أولى ثمرات الكفاح فانتقلا من الشقة الصغيرة ذات الغرفتين، إلى شقة من ثلاث غرف فى حى أفضل وأرقى، وواصل الفتى صعوده بخطوات بطيئة فاشترى أول سيارة فى حياته لتنقلات الأسرة، ثم استقام ظهره ورسخت أقدامه فى مجاله المهنى.. فانتقل بأسرته بعد خمس سنوات أخرى

إلى شقة من أربع غرف فى الحى الذى تقيم فيه أسرة زوجته الحبيبة، واشترى كل ماكان ينقصه من أثاث لائق.. وغمر زوجته بالهدايا والملابس الفاخرة وألحق طفليه بمدرسة راقية، وكلما حقق خطوة جديدة على طريق نجاحه.. رجع إلى زوجته طائرا على جناح الحب ليزف البشرى إليها ويستمتع بنظرة الرضا والفخر فى عينيها.. ثم يترقب سماع الكلمات الساحرة التى يطرب لها فى كل موقف مماثل حين تقول له فى اعتزاز جميل

— أرأيت؟ ألم أقل لك من البداية أنك سوف تصبح «أفضل الجميع» فلم تصدقنى وقتها؟

فلا يملك إلا أن يلثم يدها وصدره يجيش بطوفان من مشاعر الحب والعرفان والامتنان.ومازال زورق الحب يشق عباب النهر بصديقى وزوجته وأولادهما فى رحلته السعيدة حتى الآن.

نعم قد يتعكر ماء النهر فى بعض الأحيان كما يحدث فى كل حياة.. لكنه لا يلبث أن يعود لصفائه خلال وقت قصير.. ويشف من جديد عما فى قاعه من جواهر ولآلىء!

وقد تهب عاصفة عابرة تتلاعب بالزورق الصغير وتميل به ذات اليمين وذات الشمال كما قد يحدث فى كل رحلة مماثلة.. لكن قائدى هذا الزورق يتشبث كل منهما عند العاصفة بموقعه ويحتضن أطفاله لكيلا يفزعهما صوت الريح فلا تلبث العاصفة أن تخمد وتنقشع الغيوم العابرة ويهب النسيم العليل.

ومن موقفى على الشاطىء أرقب «بالمنظار البحرى» زورق صديقى المحب هذا وزوجته المفتونة بزوجها وهو يشق ماء النهر فى أيام الصفاء الطويلة.. وأيام «النوّات» القليلة فلا أزداد لهما إلا حبا واحتراما.. فحتى نواتهما النادرة والقصيرة كنت أرى فيها «خلاف الحب»، ولاأرى فيها أبدا خلاف البغضاء أو التشاحن.. أو الأنانية.

وهذا هو الفارق الجوهرى بين زواج الحب الحقيقى وبين كل زواج آخر لم يجمع الحب قبله أو بعده بين قلبى طرفيه.

وإذا كان صوت العقل يقول لنا دائما: إن حب النظرة الأولى هو قرين الجنون، لأن الحب ليس وليد نظرة واحدة وإنما وليد تفاعل بطىء

للمشاعر والأحاسيس فلقد أفلح «الجنون» فى حياة صديقى هذا وزوجته وحقق نتائج باهرة، ربما لايحققها فى الحالات المماثلة.. وكلمات اقتربت من حياتهما ولمست مساندة هذه الزوجة الجميلة لزوجها فى المواقف المختلفة «وإيمانها» المطلق به وبقدراته وتميزه، تذكرت كلمات الشاعرة الأمريكية الزى هى التى تقول:

أومن بك

قدمت حياتى بين يديك

وعاهدتك على السعادة

وحين تهوى النجوم من السماء

وتغطى البحار سطح الأرض

فلسوف تحمى أنت عشنا الجميل

وتسند كل ما يهوى ويسقط

لأن ثقتى فيك تمدك بالقوة

وحبى لك هو انتصارك العظيم!

فإذا سألتنى بعد ذلك.. ألم تغير الأيام وطول العشرة وطبيعة الإنسان الملول من أنغام سيمفونية الحب القديمة هذه.. أوهل يمكن حقا أن يكونا مازالا حتى الآن يتبادلان الحب الرومانسى الجميل الذى جمع بين قلبيهما منذ أكثر من عشرين سنة وبنفس الأحاسيس الرقيقة؟

إذا سألتنى ذلك أجبتك بلا تردد بأن كل شىء يتغير إلا قانون التغير كما قال لنا ذلك الفيلسوف الاغريقى القديم، لكن هناك فارقا جوهريا بين تغير المشاعر.. وبين تغير أساليب التعبير عنها تبعا لاختلاف مراحل العمر.

ولقد شكا لى صديقى نفسه من بعض أعراض هذا التغير الذى أصاب زوجته فى السنوات الأخيرة، فقال لى أنه كان فى مرحلة الكفاح لبناء عش الزوجية بعد عقد القران يقترض أحيانا من بعض زملائه عشرين جنيها لكى يدعو زوجته إلى العشاء فى كازينو صغير على النيل ويأتى الجارسون فيسأل زوجته برقة: ماذا تأكلين ياعزيزتى؟

فتجيبه بحزم: عصير ليمون!

وتفشل محاولاته معها لكى تطلب العشاء.. وتنسى للحظات إجراءات

التقشف التى تفرضها على نفسها وعليه لتدبير نفقات الزواج، فلا يأبى أن يسلم بالفشل بعد حين ويطلب كوبين من عصير الليمون!

أما الآن فإنه حين يدعوها إلى باخرة نيلية ملتهبة الأسعار وقت الغروب ليرقبا معا «القرص الأحمر الدامى» وهو يغيب فى صفحة النهر كما كانا يفعلان فى فترة الخطبة ثم يسألها أمام الجارسون:

ـ ماذا تشربين ياعزيزتى؟

فإنها تجيبه بنفس الحسم القديم:

ـ إسكالوب بانيه!

هاها.. هاها.. هاها

ويضحك صديقى من قلبه.. وتزمجر زوجته وهى تغالب الابتسام.

وازداد أنا حبا للاثنين واحتراما!

هــذا الكتاب

أروع قصص الحب هي القصص الواقعية

التى لم يتدخل خيال أديب فى نسج وقائعها .. أو يفتعل أحداثاً أو انفعالات لابطالها .. فتاتى هذه القصص حية ويشعر القارىء بسخونة أحداثها وصدقها .. ومن خلال هذه القصص أيضا يمكننا ان نحكم على علاقات الناس وخصوصا الرجل والمرأة والتقاليد والحياة الحقيقية داخل المجتمع ..

وعبدالوهاب مطاوع من خلال عمله مشرفا على بريد القراء لاكثر من ١٤ عاماً استطاع ان يحصل على ثقة الناس .. يأتمنونه على أسرارهم ويفتحون له عقولهم وقلوبهم .. وأصبح يملك آلاف القصص الواقعية التى تضمنتها هذه الرسائل التى يحتفظ بها فى أرشيف خاص .. وقد اختار من تلك الرسائل ٣٠ قصة حب .. الهدف ان يكون هذا الكتاب تصويرا حقيقيا للحب هذه الأيام .. والقاء الضوء على علاقة الرجل بالمرأة فى مجتمعنا الحديث ..

انه كتاب مثير وفى نفس الوقت مفيد .

نبيل أباظة

عدد خاص

٥ جنيهات

طبعت بمطابع دار اخبار اليوم